



كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش

ⵜⴰⴳⴷⴰⵢⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵔⵜ ⵏ ⵜⴰⵎⴰⵔⵜ

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Marrakech

مركز دراسات الدكتوراه - centre d'études doctorales

تكوين الدكتوراه: الماء في تاريخ المغرب

أطروحة جامعية

لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

الماء والسلطة بالمغرب

المعاصر: حالة حوز مراكش خلال

القرن التاسع عشر

الأستاذ المشرف:

الدكتور: عبد اللطيف البرينسي

إنجاز:

خولة سويلم

السنة الجامعية:

2023-2022

إهداء

إلى والدي الكريمين أحمد وسعيدة

إلى زوجي عبد الكريم وابني طه

إلى إخوتي أمينة، جمال وحمزة

وباقى أفراد أسرتي الصغيرة والكبيرة

إلى رفيقتي حنان وجميع أصدقائي

أهدي هذا العمل

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذين د.أحمد مهديها و د.عبد اللطيف البرنيسي الذين أشرفا على هذا البحث، بتوجيهاتهما المنهجية طيلة مراحل إعدادة.

كما أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة شعبة التاريخ والحضارة على ما انتفعنا منهم من علم وتوجيه ونصائح طيلة مسارنا الدراسي.

وأتوجه بالشكر الخاص إلى الأستاذ محمد المازوني الذي زودني برزنامة من الوثائق الخاصة بزاوية تامصلوحت ولم يبخل علي بتوجيهاته.

أخيرا أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى كل الذين ساهموا في تصويب وإغناء هذا العمل وأذكر منهم د.عبد الكريم السندوبي، د.عبد اللطيف السندوبي، دة.حنان بالرايس، د.حسن نايت أحمد، د.عبد الصمد الزياتي، د.رشيد الكناني وباقي الأصدقاء فجزاهم الله عنا خير جزاء.

دليل الاختزالات المستعملة في البحث

ك: كناش.

خ ح: الخزانة الحسنية.

م.و.م: مديرية الوثائق الملكية.

ج: جزء.

م.س: مصدر أو مرجع سابق.

ص: صفحة.

م: ميلادية.

هـ: هجرية.

Hes-T : Hesperis-Tamuda.

F.L.S.H : faculté des lettres et des sciences humaines.

T : Tome.

Vol : volume.

Op.cit : opus citatum.

Ibid. (ibidem) : dans le même ouvrage.

P : page.

مقدمة:

1. تقديم الموضوع والتعريف به:

أصبح التفكير في بنيات المغرب الاجتماعية وطبيعة نظمه السياسية موضوعا بحثيا منذ بداية ستينيات القرن الماضي. وشغل مفهوم السلطة بال عدد من الباحثين والمهتمين وعالجوه من نواحي متعددة ورؤى مختلفة، باعتباره مفهوما عاما ولا يتحدد إلا باستحضار حمولته التاريخية التي لا مناص منها لضبط معالمه.

وقد ساهمت مجموعة من العوامل في فهم ورسم تاريخ السلطة بالمغرب وتداخلت بين ما هو سياسي وعسكري واجتماعي واقتصادي، وبرز عنصر الماء الذي أثبت مساهمته الفعالة في رصد التحولات الاجتماعية والاقتصادية بالأساس ومن تم تاريخ النفوذ والسلطة بالبلاد بوجه خاص.

كان الماء ولا يزال أحد عناصر التحكم في المجال واستغلاله، فهو أساس الحياة ومنبع قيام الحضارات، ولطالما كان أداة في يد المتمكنين من السلطة لتطويع العامة وفرض نفوذهم وسيطرتهم على المجتمع ككل. ذلك أن الاهتمام بهذا المعطى الطبيعي ودوره في صيانة وصياغة المشهد التاريخي لم يحظ بعد بما يستحق من البحث والدراسة، عكس ما كان عليه الأمر بالنسبة للعوامل السياسية والعسكرية والدينية، فكان لزاما لتجديد البحث في مفهوم السلطة التركيز على الماء كأحد مفاتيح التاريخ المغربي، بغية إعادة قراءة وفهم أحد آليات تحريك بنية المجتمع والسياسة في الآن ذاته. وفي إطار الإسهام في تسليط الضوء على بعض المساحات التي لم يعرها الباحثون المغاربة الاهتمام المطلوب رغم وجاهة ما تطرحه من قضايا وإشكالات انبثقت فكرة تعميق البحث في تاريخ العلاقة بين الماء والسلطة على اعتبار الأول عنصرا طبيعيا وحضاريا بينما تتبدى السلطة كأداة صياغة وتوجيه للواقع والحدث التاريخي.

يطمح هذا البحث إلى محاولة النباش في العلاقة القائمة بين مكونات السلطة بالمغرب (المخزن- الزاوية- القبيلة) وعنصر الماء، في محاولة جادة لتجديد البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر، وذلك عبر رصد أوجه

تدبير وتنظيم الشأن المائي من طرف أقطاب السلطة بالمنطقة، مع محاولة إبراز العلاقات القائمة بينها حول الماء وتأثير هذا التداخل على بنية المجتمع.

إن الهدف الأساسي من البحث هو دراسة تأثير نفوذ كل من المخزن والقبيلة والزاوية في تنظيم وتدبير المسألة المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر. ومن هنا تأتي إشكالية الموضوع المتمحورة حول سؤال مركزي يتمثل في: البحث عن جدلية علاقة الماء والسلطة بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

وعن هذه الإشكالية المركزية يمكن صياغة عدة تساؤلات تصب في سياق واحد وهو الوقوف عند مدى التداخل والتفاعل بين الماء كمعطى طبيعي ومختلف أقطاب السلطة (المخزن، الزاوية، القبيلة). فكيف ساهم الماء في تثبيت دعائم السلطة بالمجال؟ وكيف حدد الماء طبيعة العلاقة بين المخزن ككيان سياسي، والقبيلة كبنية اجتماعية، والزاوية كمؤسسة دينية ذات طابع اجتماعي واقتصادي؟ وهل تمكنت هذه المؤسسات من السيطرة على المجال من خلال معطى الماء؟ وكيف ساهم نفوذ وسلطة هذه المؤسسات في الاستيلاء على الحقوق المائية؟ وكيف تم تدبير الرأسمال الرمزي المائي لمؤسسات المخزن والزاوية خلال القرن التاسع عشر؟ وما الذي جعل من الماء رهانا لإخضاع المجتمع وضبطه؟ وهل ساهمت الظروف التاريخية للفترة المدروسة في ذلك؟ وبالمجمل كيف أثر عنصر الماء على بنية السلطة داخل مجتمع الحوز خلال هذه الفترة؟

تأتي أهمية مشروع هذا البحث -إلى جانب ما سبقت الإشارة إليه- من بعده الموضوعي والذاتي، فمن حيث الموضوع كثيرا ما ترددت قضايا السلطة في الدراسات التاريخية وتحقق بذلك تراكم نسبي في الفترات الأخيرة، إلا أن الربط بين ثنائية السلطة وعنصر الماء تبقى من المواضيع التي لم تحظ بعد بما تستحق من الاهتمام باستثناء بعض المقالات أو فصول دراسات بشكل مختصر¹، ومن هذا المنطلق كانت فكرة اختيار هذا

1- نذكر دراسة كل من:

- برادة ثريا، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

- الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2008.

الموضوع كمحاولة لتقديم الإجابة عن الإشكالات التاريخية المرتبطة بتشكيل السلطة بالمغرب بوجه عام والحوز بوجه خاص، وذلك وفق رغبة طموحة لتقديم الجديد والكشف عن جوهر العلاقة بين عنصر الحياة "الماء" وأهم أقطاب السلطة في المغرب؛ المخزن، الزاوية، القبيلة، ومن هنا تتأتى جدة البحث وجديته.

أما الدوافع الذاتية فإن الطموح إلى تعميق البحث في ظاهرة الترابط بين الماء والسلطة بمفهومها العام، نابع من الرغبة في استكمال مشروع الماستر الذي تناول علاقة الماء بالسلطة السياسية أي المخزن، كما أن ما تمكنت من الوقوف عليه أثناء إنجاز هذا العمل من إشكالات وتساؤلات كان حافزا أساسيا وراء اقتراحي إتمام العمل عليه عبر تعميق البحث في منظومة السلطة بالمغرب وأهمية تفاعلاتها كثنائي (مخزن- زاوية- قبيلة) والماء كمعطى طبيعي في مجال ذي مميزات تاريخية وموروث مائي حضاري وتركيب بشري متنوع كالحوز.

ككل عمل واجه إنجاز هذا البحث مجموعة من الصعوبات، يمكن إجمالها في قلة الإشارات الخاصة بالماء ضمن نصوص المصادر، وهو ما فرض البحث عن بدائل لتعويض هذا النقص فاتجهنا نحو الوثائق غير أن الأزمة الوبائية التي شهدتها العالم "وباء كورونا" حالت دون تحقيق الأهداف المنشودة، فقد أدى هذا الوباء إلى إغلاق جميع المؤسسات والأرشيفات لمدة تزيد عن الأربع سنوات ونخص بالذكر هنا الخزنة الحسنية التي أوصدت أبوابها في وجه الباحثين حتى بعد تخفيف إجراءات حالة الطوارئ وبالتالي اكتفينا بما حصلنا منها في السنة الأولى من البحث أي قبل حلول كوفيد 2019م، واستعنا بجمع الوثائق من مديرية الوثائق الملكية والتي فاق عددها 200 وثيقة تم استخدامها في البحث فأغنت ولا شك وساعدت في الإجابة على العديد من الإشكالات المطروحة، وإلى جانب الوثائق الملكية كان من الصعب الحصول على وثائق من الساكنة المحلية، وما

- بن بوسلهم خديجة، المخزن والمجتمع في النصف الثاني من القرن لتاسع عشر عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام 1822-1859، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق، الرباط، الطبعة الأولى 2013.

استطعنا الاطلاع عليه تناول فترة ما بعد الاستعمار، وبناء على ذلك تم الاكتفاء ببعض الزيارات المحلية للوقوف عند بعض الآثار وكذا التقنيات المائية المستعملة.

تحديد مجال البحث وزمنه:

وبالنظر إلى تنوع بنيات المجتمع المغربي في الفترة المدروسة، فإنه لا مناص من استحضار الإطار المجالي للبحث والذي تم تحديده في مجال الحوز، كمجال استقرار عدد من القبائل والمراكز الدينية (الزوايا)، ناهيك عن تنوع مكوناته وموارده المائية، زيادة على ما يزخر به تاريخه الهيدرولوجي من إرث تقني وعرفي يمكن من خلاله رصد تفاعل مختلف مكونات السلطة به خلال القرن التاسع عشر، خاصة وأنه شهد عددا من المتغيرات التاريخية والتحولات الحضارية، إلى جانب ضمه لأحد أهم مراكز صنع القرار السياسي بالمغرب المتمثل في حاضرة مراكش. فما حدود حوز القرن التاسع عشر التي تم الاشتغال عليها؟

قبل الحديث عن الحدود الجغرافية لا بد من التعريف بمجال الحوز، فهو لغة مصدر للفعل "حاز" بمعنى الحيازة والتملك، ويستخدم للدلالة على الأرض إذا أعلمتها وأحييت حدودها¹، أما اصطلاحا: فيدل على الضاحية²، ويطلق على السهل المحصور بين الأطلس والجبال³، ويمتد على مساحة 120 كلم من الشرق إلى الغرب، وعلى 30 إلى 40 كلم من الشمال إلى الجنوب⁴، يسود به المناخ المتوسطي شبه القاري الذي يتميز بعدم انتظام التساقطات من منطقة إلى أخرى⁵، إذ تراوح معدلها ما بين 300 إلى 700 ملم في السنة. وقد اختلف التحديد الجغرافي لمجال الحوز باختلاف الإشارات التاريخية، إذ وردت الإشارة

1- ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، 1994. ص. 341.

2- أحمد أخريف، الحوز، معلمة المغرب، ج11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2000، ص. 3630.

3- حسن المبارك، الري وتشكيل المجال المائي بالمنطقة الجافة: حالة سهل الحوز، الدراسات المجالية، الماء ورهان التنمية المستدامة، طبعة أبريل 2012، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص. 26-47.

4- هوزالي أحمد، "مادة حوز مراكش"، معلمة المغرب، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989. ص. 3630.

5- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز مراكش، مصلحة تدبير شبكة الري وصرف المياه، ملحقة الحوز الاوسط، المركز الفلاحي تحناوت رقم: 429.

الأولى حسب بول ياسكون Paul pascon في إحدى رسائل يحيى أوتغوفت حوالي 1514م حين قال "ونحن ترانا بالحوز محاذين الواد" والغالب أنه يقصد بالواد واد تانسيفت¹، وأشار ليون الإفريقي بدوره إلى حدود الحوز قائلا: "تبتدئ هذه الناحية غربا من جبل نفيفة وتمتد شرقا إلى جبل أنماي، ثم تتحدر نحو الشمال إلى قرب وادي أسيف أنوال، حيث تبتدئ بلاد حاحا شرقا"²، أما الناصري فقد أورد ذكر الحوز في معرض حديثه عن الصراع بين الوطاسيين والسعديين في معركة أبي عقبة بوادي العبيد "وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجون على الوطاسيين دار ملكهم بفاس، وجاء أبو العباس السعدي في قبائل الحوز بحلها"³.

يلاحظ من خلال هذه الإشارات عدم وجود حدود مضبوطة ومتفق عليها لمجال حوز مراكش حتى القرن التاسع عشر، عكس ما أصبح عليه الأمر خلال القرن العشرين حيث اتسع مدلول الحوز ومجاله عندما شرع في وضع الخرائط الإقليمية من طرف سلطات الحماية، فقد أصبح ممثدا "بين سلاسل الأطلس الكبير جنوبا وشرقا والجبيلات شمالا وهضاب حاحة والشيظمة غربا"⁴، وتم تقسيمه إلى ثلاث: الحوز الغربي، الحوز الأوسط والحوز الشرقي⁵. وعموما فالتحديد الجغرافي الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة يمتد حسب الرسائل المخزنية من "واد العبيد" إلى الصويرة، ومن جدار الأطلس الكبير إلى مشارف واد أم الربيع، وهو نفس التحديد الذي وضعه لكديم الصوصي⁶.

أما من الناحية الزمنية فإن البحث في فترة القرن التاسع عشر، ليجد أهميته ومرجعيته من قوة التحولات التي عرفها الجهاز المخزني المغربي في هذه الفترة والتي مست المجتمع المغربي نتيجة مجموع المتغيرات السياسية، الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، أفرزها الضغط

¹ - PASCON,P, **le Haouz de Marrakech**,T1, ouvrage publié avec le concours du (CURS, CNRS, INAV), Rabat, 1983. P.20.

²- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، دار الغرب الإسلامي والشركة المغربية للنشر المتحدين، بيروت، الطبعة الثانية 1983، ص.122.

³- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج 4، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997. ص 153.

⁴- هوزالي أحمد، "مادة الحوز"، **معطمة المغرب**، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989. ص.3630.

⁵- زروال أحمد، النظام الخطاراتي: أسلوب من أساليب تدبير المياه الباطنية بالحوز المراكشي، **الماء بتانسيفت: تاريخ وتقنيات**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2002. ص.41.

⁶- لكديم الصوصي إبراهيم، سهل الحوز، محاضرات غير منشورة، ص. 1.

الاستعماري، ومحاولات المخزن للحد منها ما دفع بالمغرب إلى التوجه نحو تطوير المجال العسكري والقيام بعدة إصلاحات هدفت إلى "تأجيل الكارثة" أي الحماية حسب تعبير عبد الله العروي، إلى جانب التغيرات المناخية التي عرفت البلاد خلال نفس الفترة والتي كان لها كبير الأثر ليس فقط على المجتمع بل على نجاعة التدابير المتخذة للحفاظ على استقلال القرار المغربي.

إن اختيار القرن التاسع عشر يجد أساسه في مميزات هذه المرحلة من تاريخ المغرب التي وصفت بالانتقالية، حيث وصلت البلاد حسب الاستاذ محمد المنوني خلال "القرن التاسع عشر إلى غاية كبيرة من الانحدار"¹، جعلت البير عياش ينعتها بالبلد الذي "تطنى عليه سمات المجتمعات القروسطوية..."²، وهو ما أغرى العديد من الباحثين لتسليط الضوء على هذه الفترة من تاريخ المغرب. ويكاد يجمع الباحثون في تاريخ مغرب القرن التاسع عشر على واقع انتشار الاضطرابات والأزمات التي عمت مختلف مناطق المغرب قبيل فرض الحماية، والتي أثرت ولا شك على بنية ومضمون السلطة بالبلاد، ففي الوقت الذي فقد فيه المخزن جزءا من مصداقيته وسلطته في نفوس العامة، فإنه بالمقابل زكى إلى حد ما نفوذ عدد من شيوخ الزوايا الذين سمحت لهم الفرصة بلعب دور الوساطة في حل النزاعات وتكديس رأسمال رمزي مائي مهم.

¹- المنوني محمد، لماذا القرن التاسع عشر، مجلة المشروع، العدد التاسع. 1988. ص. 69.
²- ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي، نور الدين سعودي، دار الخطاب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1985. ص. 51.

II. بيبليوغرافية تحليلية:

لقد تم بناء هذا البحث بالاعتماد على جملة من المصادر والمراجع، نقف عند أهمها لإبراز بعض معطيات هذا البحث حسب طبيعتها؛ وثائق، مصادر أو دراسات، ووفق ترتيب كرونولوجي، بداية بالوثائق فالمصادر ثم الدراسات.

وثائق مديرية الوثائق الملكية: اعتمدنا ضمنها على حوالي 200 رسالة إلى جانب اعتماد بعض الرسائل الواردة في مجلة الوثائق الصادرة عن نفس المديرية ابتداء من المجموعة رقم 2 إلى المجموعة رقم 19، حيث تم الوقوف عند الحقوق المائية المخزنية وكذا الإنعامات المائية التي حظيت بها كل من الزوايا والقبائل على حد سواء، ورصد كم لا بأس به من الرسائل التي تناولت المنازعات المائية بين مختلف أقطاب السلطة (المخزن، الزاوية، القبيلة)، وكيفية تدبيرها من طرف الجهاز المخزني.

وثائق خاصة: أمدنا الأستاذ د. محمد المازوني بثمان وثلاثين (38) وثيقة حول المسألة المائية بزاوية تامصلوحت منذ العهد السعودي وحتى فترة الدراسة، بدءاً بوثيقة القسمة بين ورثة مؤسس الزاوية عبد الله بن حسين، وانتهاء برسائل الإنعامات المخزنية التي تمتعت بها هذه الزاوية، وهو ما مكننا من الوقوف عند مختلف الحقوق المائية التي حظيت بها، ومن تم رصد وتتبع كيفية تشكل الرأسمال الرمزي المائي لهذه المؤسسة.

وثائق الخزنة الحسنية: حيث تم الاعتماد على بعض الكنائيش التي تهتم فترة القرن التاسع عشر، والتي همت الجبايات المحصلة من مختلف قبائل المغرب بما فيها حوز مراكش إلى جانب الكنائيش التي كشفت عن مسار الحركات المخزنية والطرق التي سلكتها ونقاط الماء التي تم الوقوف عندها بمجال الحوز.

1- **المصادر:** فرضت علينا ندرة الدراسات المنجزة حول الموضوع، الرجوع إلى جملة من المصادر التاريخية الخاصة بفترة القرن التاسع عشر التي شكلت نصوص إشارات لها مادة خام لبناء البحث. وساهمت في الكشف عن مجموعة من الجوانب الهامة في الموضوع، ومن جملة المصادر المستعملة في هذا الإطار نذكر:

مخطوط "الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر" لمؤلف مجهول، وقد تناول هذا المخطوط تاريخ المغرب على عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822-1859م)، واستطرد الحديث عن الأعلام وكبار خدام المخزن، إلى جانب بعض الأحداث في المشرق كإصلاحات محمد علي باشا في مصر ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب بالحجاز، إلا أن ما يهمننا من هذا المخطوط الذي اهتم بالتاريخ الاجتماعي للمغرب، هو إشارات له لبعض الأزمات المائية التي ضربت البلاد خلال هذه الفترة من موجات جفاف وأوبئة، وعلى رأسها طاعون 1799م، كما يمدنا المخطوط ببعض الإشارات حول مدى تأثر البنية الديموغرافية للمجتمع المغربي بالظروف الطبيعية خلال الفترة المدروسة.

أكنسوس أبو عبد الله محمد بن أحمد (1211-1294هـ / 1797-1877م)، "الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي"، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996. في جزأين، وقد اعتمدنا بالخصوص على الجزء الثاني حيث اهتم المؤلف بذكر جل الأعمال التي قام بها كل من السلطان عبد الرحمان بن هشام وخليفته محمد بن عبد الرحمان، وانطلقنا من خلال المعطيات التي جاء بها، لجرد أهم الأعمال ذات العلاقة بموضوع الماء كتنظيم الحركة وما ارتبط بها من ترتيبات ومشاكل.

الناصري أحمد بن خالد (1835-1897م)، كتاب "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997. في تسعة أجزاء، وقد اعتمدنا فيه على الأجزاء الثلاث الأخيرة (7-8-9) الخاصة بالدولة العلوية خاصة الجزء التاسع الذي لامس بشكل كبير موضوع الدراسة، حيث عرض المؤلف لبعض سنوات الجفاف ومظاهرها وكذلك انعكاساتها على المجتمع، إلى جانب جرد مجموعة من التمردات والتي نجد ضمن ثناياها ما يرتبط بشكل كبير بموضوع الماء، كما عرض هذا المؤلف جوانب من التدابير المخزنية لمواجهة الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية كذلك.

ابن زيدان عبد الرحمان (1295-1365 هـ / 1878-1946م)، في مؤلفيه "العز والصولة في معالم نظم الدولة"، المطبعة الملكية، الرباط. 1961. في جزأين. و"اتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس"، تحقيق عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008. في خمسة أجزاء. ففي ما يخص المؤلف الأول اعتمدنا بشكل كبير على الجزء الأول منه، حيث رصدنا جل التدابير التي كان يتخذها المخزن لتنظيم الحركة في علاقتها بالماء. أما في المؤلف الثاني فقد استفدنا كثيرا من الجزأين الثالث والخامس، حيث عالجا عدة مواضيع تهم الاقتصاد والمجتمع بالمغرب من خلال رسائل مخزنية، ووجدنا ضاللتنا في ما يخص عدد من المنشآت المائية إلى جانب التدابير التي اتخذها المخزن لمعالجة الأزمات المائية، هذا إلى جانب ذكر مجموعة من ردود الفعل الاجتماعية التي جاءت نتيجة العوامل الطبيعية والظروف الاقتصادية والسياسية للبلاد.

2- **الدراسات:** خص عدد من الباحثين المغاربة والأجانب فترة القرن التاسع عشر بدراسات قيمة وتناولوا خلالها جملة من المواضيع والقضايا التاريخية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، ومن خلال وقوفنا عند عدد من هذه الدراسات تمكنا من الحصول على كم من التحليلات والآراء التي ساعدتنا كثيرا في بناء البحث، وفي ما يلي بعض من الدراسات والأبحاث المعتمدة في هذا الصدد:

PASCON Paul, **le Haouz de Marrakech**, ouvrage publié avec le concours du (CURS, CNRS, INAV), Rabat, 1983.

شكل هذا الكتاب مرجعا أساسيا لدراسة المشهد المائي بالحوز، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في فهم دور الماء في نسج وتفاعل العلاقات الاجتماعية ودور المخزن في تدبير المسألة المائية داخل المجال، وقد أمدنا بأسكون خلال هذه الأطروحة بمجموعة من المعلومات والوثائق حول كيفية تدبير الموارد المائية خلال فترة القرن التاسع عشر وخاصة بالجزء الثاني من المؤلف، حيث أرفقه بملحق لمجموعة من الوثائق التي همت الزاوية المصلوحية وبعض القياد الكندافي وكذلك بعض قبائل الكيش.

MIEGE,J.L , **Le Maroc et l'Europe (1830-1894)**, presses universitaires, France, 1961.

يقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء اعتمدنا فيه على الجزء الثاني بوجه خاص، والذي من خلاله تم الوقوف عند السنوات ذات المحاصيل الضعيفة ونظيرتها الجيدة نسبيا، مع تتبع تذبذبات الأسعار والرسوم الجمركية، إلى جانب رصد نسبة الإنتاج المغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتأثيره على البنية الديمغرافية من خلال جرد بعض الهجرات.

Alfred Georges Paul Martin (1863- 1938), « **quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912**», Edition la porte, Paris. 1923.

تناول هذا الكتاب تاريخ الجنوب المغربي في الفترة الممتدة من 1504 إلى 1902م، وذلك بالاعتماد على الوثائق المحلية، واستفدنا منه كثيرا في رصد مجموعة من الذعائر المفروضة على المخالفين حسب ما تصرح به الوثائق المحلية، كما استعنا به كذلك في الوقوف على جوانب من النظام الضريبي لمغرب القرن التاسع عشر.

BERQUE Jacque, **Structure sociales du Haut- Atlas**, presses universitaires de France, Paris, 1^{er} Edition 1955.

عمل المؤلف خلال هذه الدراسة على البحث في البنيات الاجتماعية بالأطلس الكبير، وخلال دراسته هاته توقف عند بعض أنظمة وتقنيات جمع وتوزيع المياه، كما رصد خصوصيات تنظيم وتدبير شؤونه والأعراف المرتبطة به، وكذا العلاقة بين الماء والتنظيمات الاجتماعية من أحلاف وزوايا وغيرها من المؤسسات التي تسهر على تسيير موارد الماء وتوزيعها، كما توقف الباحث عند مجموعة من الصراعات ومظاهر الخلل في تدبير هذه الثروة الطبيعية، وقد سقنا في هذا البحث بعض النماذج من الصراع حول الماء

الواردة في هذه الدراسة والتي همت فترة القرن التاسع عشر، إلى جانب الكشف عن تدخل المخزن والمؤسسات الاجتماعية المحلية للفصل فيها.

التوزاني نعيمة هراج، "الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290-1311هـ / 1873-1894م مساهمة في دراسة للنظام المالي بالمغرب"، مطبعة فضالة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1979. عالجت الباحثة في هذا الكتاب موضوعا جديدا في حقل البحث التاريخي، وهو مسألة النظام الضريبي وتحصيل المداخل الجمركية، وعبره توقفت الباحثة عند جانب من الإصلاح المخزني، والذي هم الشق المالي والاقتصادي للمغرب عهد السلطان الحسن الأول، ووصف جهاز الأمناء والفروق الحاصلة ما بين الأمناء المركزيين والأمناء المحليين وأمين الحسابات والأمناء المكلفين بجمع الأموال من الأقاليم وادخارها وغيرهم، وسمحت لنا معطيات هذه الدراسة في الوقوف على بعض مداخل المخزن، ومن خلال تذبذبها بين الارتفاع أحيانا والتراجع في أحيان أخرى أمكننا التأكيد على المظاهر الاقتصادية الناجمة عن موجات الجفاف، التي عرفت البلاد بين الفينة والأخرى.

بورقية رحمة، " الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب"، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1991. عملت الاستاذة من خلال هذه الدراسة على معالجة مسألة العلاقة بين السلطة والمجتمع نهاية القرن التاسع عشر ثم مرحلة ما بعد الاستقلال، والتي يتبدى من خلالها أنها لا تتأني إلا من منظور رمزي يزوج له داخل المجتمع المغربي، وفيما يخص موضوع السلطة والماء فقد أشارت إليها المؤلفة في سياق الحديث عن تضرر بعض القبائل وعلى رأسها قبائل زمور من الظروف الطبيعية والسياسة الضريبية للمخزن خلال فترة القرن التاسع عشر، وقد استفدنا من هذه الدراسة كذلك فيما يخص حديثها عن مختلف الضرائب المفروضة آنذاك، إلى جانب مسألة الحركة وكيفية تمويلها ومدى انعكاس ذلك على الاقتصاد والمجتمع.

البزاز محمد الأمين، "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الرباط، 1992. تضمنت هذه الدراسة جانب من تاريخ مغرب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، اعتمادا على المصادر والمراجع المغربية والأجنبية، وقد اهتم المؤلف بجزء الأوبئة والمجاعات التي عرفها المغرب خلال هذه الفترة، وتقديم إحصائيات وأرقام تقريبية اعتمادا على تقارير القناصل والأطباء الأجانب بالمغرب، إلى جانب استغلال الإشارات الواردة في المصادر المغربية، وقد خولت لنا معطيات هذا البحث الإحاطة ببعض الجوانب من الأزمات المائية التي عرفت البلاد خلال الفترة قيد الدراسة، ورصد انعكاساتها خصوصا على المستوى الديموغرافي، وكذلك الوقوف على بعض التدابير المخزنية لمواجهة آثار الأزمات المائية.

الشابي مصطفى، "الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2008. في جزأين، تناول هذا الكتاب مختلف التحديات التي شهدتها الجيش المغربي خلال القرن التاسع عشر، وحاول المؤلف الإحاطة ببنية الجيش المغربي والأصول الاجتماعية للعناصر المشكلة له وكذلك علاقته بالمخزن، وقد استعنا به كثيرا في التطرق لمسألة الحركة وكذا إنعامات السلاطين المائية على رجال الكيش.

جادور محمد، "مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب"، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011. عمل هذا المؤلف على إنجاز مقارنة بين المخزن على عهد كل من السلطان السعدي المنصور الذهبي والسلطان العلوي المولى إسماعيل، ومحاولة المقارنة بين مختلف تنظيمات وترتيبات هذه المؤسسة خلال هذين العهدين ورصد نقط الالتقاء والاختلاف، ومن خلالها يتبين مختلف الأدوار التحكيمية للمخزن، وكذا العلاقة التوجيهية التي جمعتها (مؤسسة المخزن) بالقبيلة بين الزجر والرافة، إلى جانب إنعامات المخزن العلوي على رجاله، كما تطرق المؤلف إلى الجانب الضريبي وقدم إشارات حول الحركة وكيفية تنظيمها وتمويلها، وكذلك تنبه إلى التقنيات الفلاحية وتأثيرها الكبير

على الاقتصاد، فكانت جل هذه القضايا والمحاور ذات إضافة نوعية لموضوع بحثنا، إذ شكلت منطلقات لفهم بعض قرارات مخزن القرن التاسع عشر وكذا تفاعل المجتمع معها. وإلى جانب هذه العينة من المصادر والدراسات، فقد تم الرجوع إلى عدد من المراجع والمقالات، سنأتي على جردها نهاية البحث ضمن قائمة الببليوغرافيا المعتمدة.

وعموما فمعالجة موضوع الماء والسلطة بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر تطرح مجموعة من الإشكالات والقضايا التاريخية التي تستوجب الدراسة والبحث، وبناء على تصورنا النظري للموضوع وعلى المادة التي مكنتنا منها الوثائق والمصادر المطلع عليها، قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثلاث أبواب تتضمن مجتمعة تسعة فصول مسبقة بمقدمة ومذيلة بخاتمة وملحق، وفق ترتيب يراعي معالجة إشكالية الموضوع.

الباب الأول: قسم إلى ثلاث فصول؛ الأول تناول الحقوق المائية التي امتلكها المخزن في مجال حوز مراكش، حيث تم جرد عدد من السواقي وبيان كيفية تدبير مياهها سواء تعلق الأمر بالإصلاحات المتكررة أو تدبير النزاعات التي نشبت حولها، في حين خصص الفصل الثاني لرصد جبايات القرن التاسع عشر حيث تم الكشف في النقطة الأولى عن الوضعية المالية للمخزن خلال الفترة المدروسة والتحديات التي واجهته، ثم الوقوف عند تأثير الماء على التحصيل الجبائي بحوز مراكش، ليتم تخصيص الفصل الأخير لجرد الأزمات المائية التي عرفها حوز مراكش والتدابير المخزنية المتخذة للحد من آثارها وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية.

الباب الثاني: خصص للحديث عن قطب من أقطاب السلطة بالمغرب والتي لعبت دورا مهما خلال القرن التاسع عشر، وهي مؤسسة الزاوية وعلاقتها بعنصر الماء، بل والوقوف عند الرأسمال الرمزي المائي الذي راكمته خلال هذه الفترة، فتناول الفصل الأول من هذا الباب للحديث عن موقع الزوايا ودور الماء في اختياره، ثم رصدنا العلاقة القائمة بين هذه المؤسسة والمخزن لننتقل إلى الفصل الثاني المعنون بالرأسمال الرمزي المائي للزوايا بمجال الحوز حيث تم الوقوف عند الانعامات المائية التي تمتعت بها زوايا حوز مراكش ونخص بالذكر زاوية تامصلوحت إلى جانب ظواهر التوقيير والاحترام التي حمت

حرمها ومصالحها الاقتصادية من تطاول رجال المخزن والقبائل على حد سواء، ثم تتبع كيفية تدبير الزاوية لأراضيها وحقوقها المائية، في حين خصصنا الفصل الثالث للصراع حول الحقوق المائية للزوايا التي عانت من ترامي بعض القبائل خاصة فترات الجفاف ورصد سبل تدخل المخزن لحل هذه المنازعات.

الباب الثالث: تم تقسيمه بدوره إلى ثلاث فصول؛ تمحور الفصل الأول حول العلاقة الجدلية التي ربطت القبيلة بالماء من خلال الحديث عن التقنيات المائية الأكثر استخداما بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر لنكشف بعد ذلك عن أثر الأزمات المائية على البنية القبلية للحوز سواء تعلق الأمر بالجانب الديمغرافي أو بأداء الضرائب والهجرة من المجال فترة الجفاف والمجاعات، أما الفصل الثاني فقد تناول العلاقة بين المخزن والقبائل حول عنصر الماء وذلك من خلال الكشف عن دور الماء في ولاء هذه القبائل خاصة قبائل الكيش، ما حثها على الاشتغال في أراضي المخزن وإصلاح سواقيه، ليمتدحور الفصل الثالث حول مختلف النزاعات المائية التي نشبت بين القبائل فيما بينها وحتى بين بعض رجال المخزن والقبائل، ورصدنا كيف تدخل المخزن باعتباره صاحب السلطة واليد الكبرى لتدبير هذه النزاعات عبر مجموعة من الإجراءات كتعيين أرباب البصر والمعرفة، وفي بعض الأحيان الخروج في حركات لتأديب هذه القبائل، وبما أن الحركة حظيت باهتمام المخزن من حيث كيفية تدبيرها والتخطيط المسبق لتفاصيلها وطرقها، فقد تم رصد جل الاستعدادات ذات العلاقة بموضوع الماء والكشف عن المسار الذي اتخذته معظم الحركات في مجال الحوز والذي كان ذا صلة وثيقة بتواجد الماء.

الباب الأول: الماء والمخزن بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

تقديم:

يعتبر الماء أحد عناصر التحكم في المجال واستغلاله بالمغرب، فنفوذ وسلطة المخزن لعبا دورا مهما في تدبير المسألة المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، ومن تم التحكم -إلى حد بعيد- في هذا المجال خاصة بمناطق وجود الأملاك المخزنية المتمثلة أساسا في الأراضي الزراعية وما ارتبط بها من حصص مائية، وقد ارتبطت قوة المخزن بما توفر من مداخل الضرائب الفلاحية، ولما كانت هذه الأخيرة مرتبطة بعنصر الماء، فإن السنوات الجافة أثرت على قيمتها مما انعكس دون شك على الخزينة المالية للمخزن، والتي كانت تعاني بدورها من عجز كبير خلال القرن التاسع عشر إثر هزيمتي إيسلي 1844م وتطوان 1859-1860م، وهكذا فالسياسة الضريبية لعبت دورا كبيرا في مدى تحكم المخزن في المجال إبان الفترات الجافة.

نسعى في هذا الباب إلى إبراز العلاقة الجدلية التي ربطت مؤسسة المخزن بعنصر الماء، والأهمية التي حظي بها هذا الأخير في تدبير الشؤون الاقتصادية بالمغرب عموما ومجال الحوز خاصة، ومدى تأثير الأزمات المائية على بنية المجتمع وكيفية تدبير المخزن لها. فما علاقة المخزن بالماء؟ وكيف دبر الأزمات المائية التي عرفها حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

للإجابة عن السؤالين، تم الرجوع إلى نصوص المصادر التاريخية وبعض الرسائل السلطانية التي اهتمت بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر. وانطلقنا منها لتحديد جدلية العلاقة بين الماء والمخزن، وذلك من خلال ثلاث نقط أساسية وهي:

- الحقوق المائية للمخزن.
- الماء والجبايات المخزنية.
- الأزمات المائية والتدابير المخزنية.

الفصل الأول: حقوق المخزن المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

أشارت بعض الوثائق والرسائل السلطانية إلى الأملاك المخزنية بعبارات مختلفة مثل: بلاد/بلادات المخزن، الجنات السعيدة¹، الأملاك السعيدة، الكرنات/الجرانات² وغيرها من الإشارات الدالة على ملكيات المخزن، نجد كذلك ضمن هذه الرسائل إشارات إلى حقل المعجم المائي وعلى الخصوص امتلاك المخزن لبعض السواقي الكبرى، حيث وصفت الوثائق ملكيتها غالبا بعبارة: "سواقي المخزن"³، "السواقي السعيدة"⁴، وفي أحيان أخرى تتم الإشارة فقط إلى حصص الماء المخزنية مثل ما ورد في الرسالة التالية "قدر الماء الذي بجانب المخزن من الساقية الشهيرة ثمانية فردية"⁵. يتضح أن للمخزن حقوقا مائية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر. ففيما تمثلت هذه الحقوق؟ وكيف تم تدبير الأملاك المرتبطة بها والقائمين عليها؟ وكيف حافظ المخزن على هذه الحقوق إبان الأزمات المائية؟

1- رسالة بتاريخ 16 رجب الفرد الحرام عام 1308هـ/ 25 فبراير 1891م، الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة التاسعة عشرة، 2014. ص.53.

2- المقصود بها هي الجنات أو حقول الحبوب، مفردا جران/كران، من المرجح أن كتاب المخزن كانوا يطلقون هذه الكلمة تحريفا للكلمة الأمازيغية "إيكر" و"إكران" في صيغة الجمع بمعنى الحقل أو الحقول. انظر: نجيدي محمد، "أملاك المخزن بالبادية في عهد السلطان مولاي الحسن"، ندوة البادية المغربية عبر التاريخ، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1999. ص.104.

3- رسالة بتاريخ 3 شوال سنة 1301هـ/ 26 يوليوز 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:6.

4- مثل ما جاء في رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد ابن الجليلي السريغيني حول ضياع بعض المحاصيل "فقد طالعا تقويم ما فرط فيه حتى فسد من حيوب الجنات والسواقي السعيدة التي في نظركم". رسالة من السلطان المولى الحسن إلى الخديم ابن الجليلي السريغيني وابن دريسة في 4 جمادى الأولى 1302هـ/ 3 مارس 1884، خ.ح، الرباط، ك رقم:360، نقلا عن نجيدي محمد، "أملاك المخزن بالبادية في عهد السلطان مولاي الحسن"، م.س. ص.109.

5- رسالة بتاريخ 24 رمضان عام 1300هـ/ 28 يوليوز 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

1. الحقوق المائية المخزنية بحوز مراکش "السواقي نموذجاً".

تمثلت الحقوق المائية أساساً بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر في السواقي وبعض العيون، ولقطة الوثائق التي تناولت الموضوع فقد تم الاقتصار على السواقي كنموذج صريح وواضح للأمالك المائية المخزنية.

وقبل التطرق إلى مختلف الحقوق المائية والأمالك المرتبطة بها، لا بد من الوقوف أولاً عند أصل هذه الحقوق. فما أهم السواقي المخزنية بحوز مراکش؟

1- مصدر الأمالك:

دأب المخزن على إحصاء أملكه من حين إلى آخر، فنجدته على سبيل الذكر يطالب عامله بمراكش الحاج أحمد امالك "بالنظر فيما هو لجانب المخزن بأغظيم سقوا وبورا وما فيها من الغروس والجنانات على التوالي أن يقف مع المكلفين بالاكوانات في جميع الحالات"¹.

تمدنا هذه الإشارة بمعلومات عن أصول الأمالك المخزنية بمجال حوز مراکش، وتكمن خصوصاً في ثلاث مصادر أساسية: البناء أو الإحداث، الشراء، التتريك والمصادرات.

✓إحداث السواقي:

أحدثت أغلب السواقي الكبرى بمجال حوز مراکش بإشراف من المخزن، ذلك أن استمرار عملها (السواقي) كان رهين بوجود سلطة قوية تعمل على صيانتها وحمايتها من التخريب. هكذا إذن ساهمت سلطة المخزن ونفوذه في تعبئة اليد العاملة من مختلف القبائل لإحداث السواقي، كما هو الحال بالنسبة لساقيتي تاركة وتاسلطان، فالساقية الأولى قد تم إحداثها على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان "ومنها كذلك إجراء النهر المسمى بتاركى المستمد من وادي نفيس فإنه ضاهى به النهر القديم السلطاني المسمى بأسكجور، وهذا النهر المحمدي الجديد أنفع منه وأوسع مجالا. فقد أحيا الله به تلك البساتن التي بين

¹- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى أحمد امالك في 22 رمضان 1308 هـ/ 1 مارس 1891م، خ.ح، الرباط، كناش رقم:632. نقلا عن نجدي محمد، م.س. ص.108.

مراكش وواد نفيس"¹، وأما بالنسبة لساقية تسلطانت فقد تم إحداثها سنة 1850م عبر تكليف رجال القبائل المجاورة على القدوم والعمل فيها بمعدل أربعة أيام لكل قبيلة وفقا لعملية تناوب دقيقة². هكذا إذن يتضح أن سلطة المخزن وقوته ساهمت في إلزام القبائل على العمل في حفر وبناء عدد من السواقي الكبرى، وبهذا شكلت السواقي الكبرى أحد أهم الأملاك المائية المخزنية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

✓ الشراء:

كان المخزن يحوز بعض الأملاك عن طريق الشراء إما لصالح نفسه -أي مؤسسة المخزن- أو لصالح السلطان كما هو الحال سنة 1889م، حينما اقترح محتسب مراكش على السلطان المولى الحسن شراء إحدى الجنانات التي وصفها بـ "الأملاك المعتبرة التي لا ينبغي أن تكون إلا للجانب الشريف... لجانب سيدنا أو لجانب نجله الأعز مولانا عبد العزيز"³.

ويلاحظ ارتفاع عمليات شراء المخزن للأملاك وما ارتبط بها من حقوق مائية خلال القرن التاسع عشر تزامنا مع بروز ظاهرة الحماية القنصلية، خاصة خلال النصف الثاني من الفترة المذكورة، فاتخذ المخزن عدة إجراءات أهمها عملية شراء الأراضي بغية تجنب سيطرة الأجانب والمحامين عليها.

عارض المخزن بشدة مسألة الحماية القنصلية⁴، نظرا لما ترتب عنها من مشاكل سياسية واقتصادية¹، تمثلت أساسا في حرمان بيت المال من مداخيل مهمة نتيجة تملص

انظر:

1- أكنسوس أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ج 2، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996. ص. 27.
- الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 9، م.س. ص. 126.
- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج 3، تحقيق عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008. ص. 654.

2- PASCON,P, le Haouz de Marrakech,T1, op.cit. P.91.

3- رسالة من محتسب مراكش إلى السلطان الحسن الأول بتاريخ 5 رمضان 1306هـ/ 4 ماي 1889م، خ. ح، الرباط، ك 154. ص. 111. نقلا عن نجيدي محمد، م.س. ص. 107.

4- حول تسلط الأجانب على العقار، انظر: بنمنصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968. ص. 142.

المحميين من أداء الضرائب، أضف إلى ذلك أنه مع توالي سنوات الجفاف لجأ الناس إلى الاقتراض من الأجانب وأحيانا أخرى بيع أملاكهم بأبخس الأثمان مقابل بعض المواد الغذائية.

هكذا إذن عرفت عملية تفويت أو بيع الأملاك للأجانب² زمن القحوط انتشارا كبيرا، مما ساهم في نشوء ما يعرف بالملكية الزراعية الأوروبية منذ تلك الفترة³، فعقب جفاف سنة 1883م على سبيل المثال قامت القبائل المجاورة للمراسي لَمّا "... توالى عليهم بالمحل هذه السنون وأتت على ما بأيديهم من الظاهر والمكنون، تسارعوا إلى بيع الأملاك والمزارع مطلقا من غير مراعات ولا اعتبار، وتواطؤوا على تفويتها بغير موجب بأبخس ثمن ... وتمليكهم إياها للآفاقين الأجانب عن قبائلهم..."⁴، الأمر الذي دفع بالمخزن إلى البحث عن وسائل للحيلولة دون بيع الأملاك للأجانب. فما أهم الإجراءات المتخذة في هذا الإطار؟

ركز السلطان الحسن الأول بشكل أساسي على الأولوية التي تحتلها الفلاحة في الاقتصاد المغربي، "...فغير خاف أن الإيالة المغربية ليست كغيرها من الإيالات في المتاجر وضروب الصناعات ومواد الانتفاعات وأن قوام أمر أهلها وحصول معاشهم ودوام نفعهم ... إنما هو بالفلاحة واكتساب الماشية،..وخصوصا أهل البادية..."⁵، ونظرا للأهمية التي

1- الهراس المختار، تطور المجتمع القروي بالمغرب من 1873 إلى 1912م، مدخل إلى تاريخ المغرب من عصر الحسن الأول قدس الله روحه إلى عصر الملك الحسن الثاني نصره الله، إشراف عبد الحق الميريني، دار المناهل ووزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1996. ص.31.

2- كان تملك الأجانب للعقار بالمغرب يتم وفق إجراءات متفق عليها بين المغرب وممثلي الدول الأجنبية، منها الإذن الإداري للوالي الذي يوجد العقار في دائرته، ومنها شهادة العدول وإعلام القاضي بعقود البيع، غير أن القناصل والمستوطنين الأجانب بدأوا يتعاملون عن تلك الشروط، مكتفين بالعقود التي يضع عليها كل من البائع والمشتري خط يده. انظر:

- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى نائبه في الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش، مؤرخة في 23 صفر الخير عام 1296هـ/ 16 فبراير سنة 1879م، الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الخامسة، 1981م. ص.115.

- رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول إلى وزير الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش. الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الرابعة، 1978م. ص.447.

3- البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبنة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992. ص.236.

4- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى القائد الرجراجي الذوبلالي، مؤرخة في أبريل سنة 1883م، الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الرابعة عشرة، 2010. ص.77-80.

5- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى القائد الرجراجي الذوبلالي، مؤرخة في أبريل سنة 1883م، الوثائق، م.و.م، المجموعة الرابعة عشرة، م.س. ص.77.

اكتسبتها الأراضي بالبوادي خاصة، فقد منع المخزن بيعها خلال فترة الجفاف للتجار المحميين أو اليهود أو الأجانب، وأن لا يتم ذلك إلا بعد استشارة المخزن "... أصدرنا أمرنا الشريف بأن أراضي تلك الإيالة وعقارها لا يباع إلا بإذن المخزن..."¹.

وقد أصدر السلطان أوامره بشراء الأراضي المعروضة للبيع خلال فترة الجفاف بغية تجنب بيعها إلى الأجانب، وهو ما أكدته الرسالة الموجهة إلى النائب العربي بريشة خلال جفاف 1883م، وفيها: "فأما خرق تفويت الأملاك الذي ذكرت .. اتسع في المدينة فضلا عن البادية فلأجله قدمنا لك أمرنا الشريف بأن تتلافاه... والتي ثبت ملكها للمتصرف فيها بالشروط الشرعية واضطر لبيعها بالخصاصة الناشئة عن شدة المحل والقحط، وفوتها بموجب بأبخص ثمن سواء كان ممن إلى نظرك أو إلى نظر القبائل المجاورين للمرسى، تشتري لجانب بيت المال على يدك ويد أمناء المرسى فامض على ذلك..."². من خلال هذه الإشارة يتضح أن المخزن كلف أمناء المراسي بشراء الأراضي من الرعية خلال فترة الجفاف³، بهدف الحيلولة دون بيعها إلى الأجانب.

✓ التتريك أو المصادرات:

تعددت أشكال المصادرات المائية بين سحب امتياز أو انتزاع حق أو تعطيل استغلال. وعمد المخزن إلى مصادرة أملاك عدد من القياد⁴، باعتبارها من الامتيازات والحقوق الممنوحة على وجه الانتفاع لا التملك، حيث تبقى ملكيتها بيد المخزن وعليه فله الحق في

1- جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة قاضي وجدة محمد بن الهاشمي، مؤرخة في رجب الحرام عام 1301هـ/ 25 ماي 1884م، الوثائق، م.و.م، المجموعة الرابعة عشر. م.س. ص. 277.
2- انظر:

- جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة النائب العربي بريشة، بتاريخ في 22 شعبان الأبرك عام 1300هـ/

28 يونيو سنة 1883م، الوثائق، م.و.م، نفس المجموعة. ص. 103.

- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، م.س. ص. 112-113.

- كنيب محمد، المحميون، جامعة محمد الخامس أكاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي

رقراق، الرباط، الطبعة الأولى 2011. ص. 140-142.

3- بخصوص مصادر أملاك المخزن، بصفة عامة، أنها كانت تفد من مصدرين اثنين: أحدهما يتمثل في مصادرات أملاك الموظفين المخزنيين أو إقالتهم من مهامهم، والآخر يرتبط بأملاك المنقطعين، ممن لا وارث لهم. والحال أن هناك مصدرا آخر يتعلق بالشراء. انظر: الخليلي عبد العزيز، مدينة الرباط في القرن التاسع عشر (1818-1912) جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، جامعة محمد الخامس-أكاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2012. ص. 202.

4- فنيتر المصطفى، عيسى بن عمر قائد عبدة 1879-1914، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، مطبعة الرباط نت. 2005. ص. 60.

مصادرتها متى شاء¹، هذا إلى جانب حيازة المخزن للأملاك التي ليس لها وارث كما أشار إلى ذلك السلطان المولى الحسن في إحدى الرسائل المخزنية المؤرخة في أبريل 1883م بقوله "وعليه فالبلادات والأملاك والراع التي مات المتصرفون فيها ولم يتركوا وارثا وصارت لبیت المال، وهي المعنية بقولنا المفوتة بغير موجب تحاز لجانبه"².

يبدو أن النفوذ الذي مكن بعض القياد من امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي مع ما ارتبط بها من حقوق مائية لم يكن ليحميهم بصفة مطلقة من مصادرة أملاكهم³. وعلى سبيل المثال فالمخزن لم يتردد في انتزاع أملاك القائد عبد القادر أشعاش كبير عائلة أشعاش التطوانية لما عامل أهل إيالته بالقسوة والجور، وقد بلغت ممتلكاته حوالي "واحد وثلاثون فدانا وأربعة عشر من الأجنة ومائتان وأربعون من الأبقار وأربعمائة من رؤوس الغنم وستون من رؤوس المعز وخمسة عشر من الخيل"⁴.

كان المخزن يصادر جميع ممتلكات القائد إما بعد عزله أو وفاته وهو ما يصطلح على تسميته بالتتريك، وهي العملية التي يقوم بها المخزن إبان وفاة القائد، فيتم تعيين لجنة تحصي ما خلفه القائد المتوفى، كما حدث سنة 1300هـ/ 1883م، حيث تم جرد وإحصاء ما خلفه قائد أمزميز نواحي مدينة مراكش، فتمت مصادرة كل إنعامات المخزن بما فيها "ما ألفى من الزرع قمحا ببيت بالدار وخراريب مراكشية...وبباب العرصة التي بالدار 3 مظامير مملوءة من شعير"⁵.

أمر السلطان الحسن الأول القائد محمد بن حم المراكشي سنة 1301هـ/ 1884م بحيازة جميع ممتلكات القائد حم بن حماد والقبض عليه لأسباب غير واضحة وذلك بحضور عدلين من عدول مدينة مراكش، فتمت حيازة جميع ممتلكات القائد المذكور بما فيها الثياب

1- العلوي العبدلاوي رشيد، محاولة تركيب للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للبوادي المغربية خلال القرن التاسع عشر، بحث مرقون لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، السنة الدراسية 1982-1983. ص.59.

2- رسالة دورية صادرة عن السلطان مولاي الحسن موجهة الى عدد من عمال المراسي، أبريل سنة 1883م، الوثائق، م.و.م، المجموعة الرابعة عشرة، م.س. ص.77-80.

3- اكنينج العربي، آثار التدخل الأجنبي في المغرب في القرن التاسع عشر نموذج قبيلة بني مطير (آيت نظير)، مطبعة أنفو-برينت، فاس، 2004. ص.188.

4- الشابي مصطفى، النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر، جامعة محمد الخامس الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995. ص.131-132.

5- رسالة بتاريخ 1300هـ/ 1883م، خ ح، الرباط، ك رقم:36. ص.1-2.

والكنائش المخزنية "دفينة مشجرة وأخرى متلاشية، ثلاثة اقمصاء بالصوف... سجلات..."¹. تكرر نفس الأمر مع عبد القادر المختار في السنة عينها، حيث تمت مصادرة جميع أملاكه إلى جانب الإنعامات المخزنية التي تصرف فيها، ومن ذلك " صرة بها ريالاً 21 بسيطة وطابع المكاتب وبطابق... رسوم وظاهر [ظهائر] شريفة وكناشين صغير وأصغر منه، وحبوب"².

عمد المخزن أيضاً في بعض الحالات إلى مصادرة أملاك رجاله بعد إحصاء ممتلكاتهم والتمييز فيها بين الممتلكات الشخصية وتلك المنعم بها عليهم، كما هو الحال بالنسبة للخديم الحسن المزميري بقبيلة جدميوة الذي تمت مصادرة أملاكه سنة 1321هـ/1902م، امثالاً للأوامر السلطانية القاضية بحيازة الأملاك وكذلك "الدور التي له بمراكش وأذن له التصرف فيها لجانب المخزن... ما عدى الأملاك التي تبث أنها إرث للمزميري عن آبائه فتبقى له ولا تحاز"³.

لم تتوقف المصادرات المخزنية عند فئة القياد ورجال المخزن بل شملت كذلك كبار رجال الدولة وأثرياءها، وفي هذا الإطار ساق الكنسوسي نموذج الحاج الطالب بن جلون ووصفه على أنه كان "ركنا شديدا من أركان الدولة"⁴، والذي عقب وفاته تمت مصادرة جميع ممتلكاته -كاد بها أن يملك نصف أملاك فاس من ربايع وعقار- من طرف السلطان المولى عبد الرحمان في مقابل "ما بذمته من متاع المخزن، لأنه كان يخوض في مال السلطان طولا وعرضا"⁵.

هكذا إذن فالمخزن عمداً إلى مصادرة ممتلكات خدامه بعد وفاتهم أو عزلهم بسبب جورهم أو فسادهم، كما حدث مع القائد عبد القادر أشعاش، و تجدر الإشارة في هذه النقطة إلى غياب الإشارات حول إذا ما كان المخزن يحصي ممتلكات خدامه قبل تنصيبهم أم لا-

¹- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى القائد أبي عبد الله محمد بن حم بن داود المراكشي، مؤرخة في ثالث جمادى الأخير عام 1301هـ/ 1884م، خ ح، الرباط، ك رقم: 96. ص. 45- 46.

²- نفس الرسالة.

³- رسالة بتاريخ 20 ذو الحجة 1321هـ/ 08 مارس 1902م. انظر:

PASCON, P, T2. Op.cit. P.113.

⁴- الكنسوسي محمد، الجيش العرمم الخماسي، ج2، م.س. ص. 36.

⁵- نفسه.

باستثناء إشارة مصادرة أملاك المزميزي السالفة الذكر-، وذلك للتمييز بين مالهم الخاص ومال المخزن. وفي هذا الإطار أشار أحد الباحثين إلى أن المخزن في بعض الأحيان تغاضى عن فساد ونهب العمال للرعية وابتزازهم لها، لأنه كان على دراية بأن هذه الأموال ستؤول في نهاية الأمر إليه¹.

عموما يمكن اعتبار عمليات مصادرة المخزن للأملاك والحصص المائية أحد مظاهر التدبير المخزني للشأن المائي بمغرب القرن التاسع عشر²، وبهذا عرفت الأملاك المخزنية زيادات مستمرة شكلت المصادرات المحصلة من تركة رجال المخزن (القياد، العمال،...) جزء أساسيا منها.

¹ - Weisgerber, **Au seuil du Maroc moderne**, Rabat, 1947. P.39.

² - انظر:

- أرنو لويس، زمن لمحات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و1912م، ترجمة محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002. ص.34-35.
- بوشعراء مصطفى، الاستيطان والحماية بالمغرب 1280-1311هـ / 1863-1894م، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1984. ص.22-23.

2- السواقي المخزنية بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر:

تحكم المخزن في السواقي الكبرى بمجال حوز مراکش وفي مقدمتها "سعادة، أسكجور، الباشية..."¹، وهذه الأخيرة تعتبر من أكبر سواقي واد غيغاية، إلى جانب عدد من السواقي الأخرى التي تناولتها نصوص الإشارات الواردة في الرسائل المخزنية، مثل تلك التي تناولت موضوع الساقية الجديدة ووصفت تصرف المخزن فيها منذ القديم، ونص الإشارة كالآتي: "كانت الساقية الجديدة التي ببلد الصراغنة لبيت مال المسلمين عمره الله يتصرف فيها الملوك بالحرث والكرء من قديم الزمان"²، وكذلك إشارة السلطان الحسن الأول إلى حرص ما حرث بالسواقي المخزنية: "تاركة وتمزكلفت، تسلطانت"³، والتي تم تخصيص أغلب مياهها لسقي عزبان-أراضي المخزن ورجال السلطة.

ونظرا لعدم وجود إحصائيات نستشف من خلالها مجموع السواقي والعيون التي كانت تحت سلطة المخزن خلال القرن التاسع عشر في مجال حوز مراکش، فقد تم الرجوع إلى مختلف الإنعامات والتنفيذات التي قام بها المخزن سواء لصالح خدامه، أو قبائل الكيش التي كانت تحت نفوذه أو الزوايا الموالية له، بغرض وضع إحصاء تقريبي لمجمل الأملاك المائية المخزنية بمجال الدراسة خلال هذه الفترة.

وتجدر الإشارة إلى أن الإنعامات المخزنية لم تكن على سبيل التملك بل كحق للانتفاع والاستغلال لا غير، حيث تبقى ملكيتها بيد المخزن يمكنه مصادرتها متى شاء⁴، وهو ما أكدته السلطان الحسن الأول في ظهير خاص بقبيلة الرحامنة سنة 1884م وفيه: "أقرنا العمل في بلادنا خدامنا قبيلة الرحامنة السقوية على عدم البيع والشراء فيها. وأمرنا عمال القبيلة المذكورة أن يمنعوا مريد ذلك من النازلين بها"⁵، وفي نفس السياق دائما أنعم السلطان سنة 1891م على القائد مبارك بن الشليح الشراذي بفردية من ماء ساقية تمزكلفت لسقي أراضيهم ومغروساتها، ولما نقله المخزن إلى منطقة أزغار تم توزيع الحقوق المائية

1- PASCON, P, T2, op.cit. P.98.

2- رسالة بتاريخ 25 شوال 1200هـ/ 10 غشت 1786م. انظر:

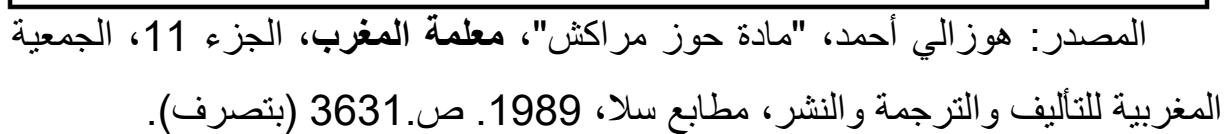
ibid, P.150.

3- رسالة بتاريخ 7 شوال عام 1300 هـ/ 10 غشت 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:4.

4- العلوي العبدلاوي، م.س. ص59.

5- ظهير من السلطان المولى الحسن الأول إلى قبيلة الرحامنة، بتاريخ 3 ربيع الأول عام 1301هـ/ 1 يناير 1884م. نقلا عن: الصديقي عبد الرزاق، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850-1900، مطبعة بابل، الرباط، 1997. ص.167.

خريطة رقم 1: وديان حوز مراکش.



29

تركزت سواقي المخزن بمجال حوز مراكش في ثلاث وديان أساسية وهي: نفيس، غيغاية وأوريكة، وهو ما يوضحه الجدول أسفله:

جدول رقم 1: السواقي المخزنية بمجال حوز مراكش

الساقية	الواد/المنبع	مجالها	المصدر
تاركة	واد نفيس	الحوز الأوسط ¹	انظر: رسالة بتاريخ 7 شوال عام 1300 هـ / 10 غشت 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4. PASCON,P, T1,op.cit. p.98.
سعادة			
اسكجور			
الساقية الجديدة	سواقي خلف واد نفيس		رسالة بتاريخ 7 شوال عام 1300 هـ / 10 غشت 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4. رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان إلى القائد علي بن عبد النبي اليموري بتاريخ 8 جمادى 1264هـ/1848م. ظهير السلطان المولى عبد الرحمان بتاريخ 6 ربيع الأنور النبوي 1268هـ / 1851م. انظر: PASCON, P, T2, op.cit. pp.142- 144.
خمس فرديات			
من ساقية أمزري			
ساقية تسلمت			
ساقية تيننت			
ساقية تراونت			
تمزكلفت			
الساقية الجبلية	سواقي أمام واد نفيس		رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان إلى القائد علي بن عبد النبي اليموري بتاريخ 8 جمادى 1264هـ/1848م. انظر: PASCON, P, T2, op.cit. p.142.
ساقية الخندق			
ساقية تركاك			
ساقية تمكلت			
ساقية الغاف			
الباشية	الضفة اليمنى من واد غيغاية		رسالة بتاريخ 7 شوال عام 1300 هـ / 10 غشت 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4. الناصرى، الاستقصا، ج9، م.س. ص. 14- 15. PASCON, P, T1, op.cit. p.170.
أغواطيم			
تسلطانت ²	واد اوريكة		

1- وديان الحوز الأوسط: نفيس، غيغاية، أوريكة، يسيل، المالح، غذات، الزات، لاغ.

2- اتخذ السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام عزيب قرب مراكش خصص إنتاجها من حبوب وفواكه وخضر لتموين القصر السلطاني، وأمدّها بمياه ساقية تاسلطان، كما جعل على الساقية عددا من المطاحن المائية، وعندما آل العزيب

تابوهنيث			
ساقية تملالت	واد تساوت	الحوز الشرقي ¹	الصديقي عبد الرزاق، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850-1900، م.س. ص.28.
ساقية تاركة	سكساوة	الحوز الغربي ²	رسالة بتاريخ 9 محرم 1296هـ/ 2 يناير 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 3.

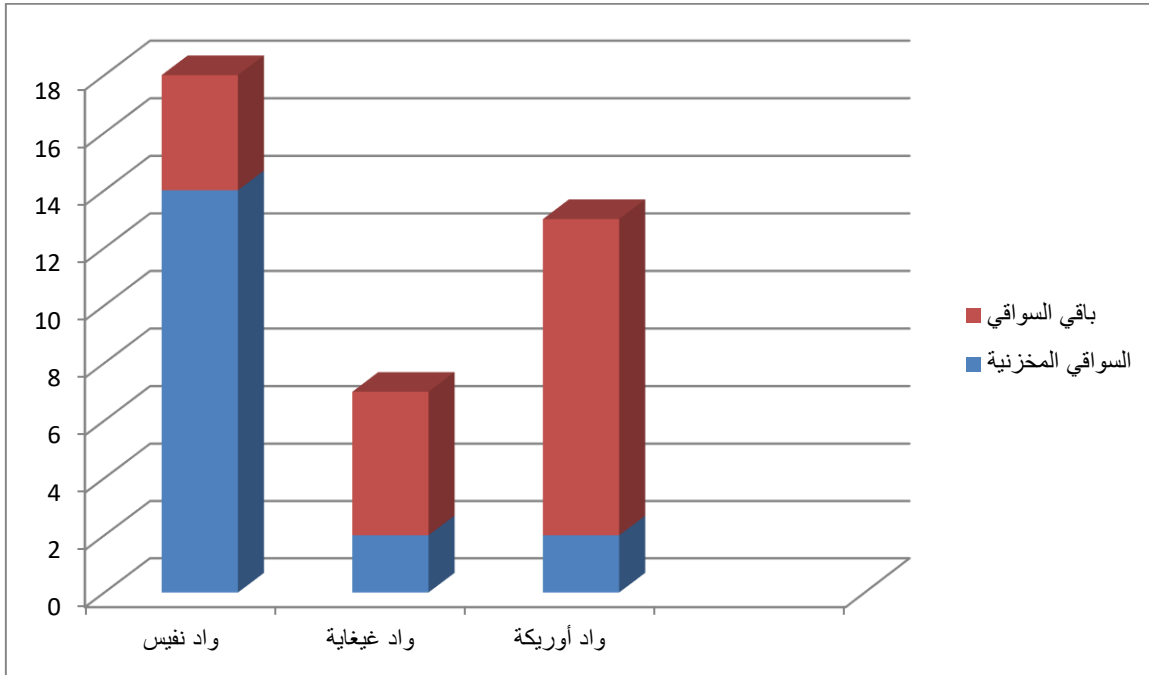
من خلال الجدول أعلاه يتضح أن أغلب سواقي المخزن خلال القرن التاسع عشر تركزت بواديان الحوز الأوسط وعلى الخصوص بواد نفيس، غيغاية وأوريكة، حيث كان المخزن يملك معظم مياه السواقي الكبرى أو يتصرف في بعض نوباتها لسقي أراضيهم أو أراضي رجاله. وفيما يلي رسم مبياني للسواقي المخزنية بالحوز الأوسط والتي تهم الوديان الثلاث التي تناولتها نصوص الإشارات.

إلى السلطان مولاي الحسن أولى عناية كبيرة لساقيته لما لها من أهمية في توفير الماء. انظر: الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الحادي عشر. 2006. ص.165-166.

1- وديان الحوز الشرقي: تساوت، تيديلي والأخضر.

2- وديان الحوز الغربي: امتنانوت، سكساوة، أسيف المال، وادكر، أمزميز أنكال.

مبيان رقم 1: أهم السواقي المخزنية بالحوز الأوسط¹.



يمكن تفسير تركيز السواقي المخزنية بمجال الحوز الأوسط بعدة عوامل من بينها: طبيعة المناخ السائد وكذا كمية الصبيب السنوي المختلف داخل الحوز²، فمعدل الجريان السنوي لأودية الحوز الغربي (امينتانت، سكساوة..) تبلغ حوالي 163.7 مليون م³، بينما معدل الجريان السنوي لأودية الحوز الأوسط (نفيس، غيغاية، أوريقة..) حوالي 724 مليون م³، في حين بلغ معدل الجريان السنوي لأودية الحوز الشرقي (تساوت، تيدلي، إيسيل..) حوالي 910 مليون م³.

لعبت طبيعة الأراضي أيضا دورا كبيرا في امتلاك المخزن للسواقي، ذلك أن الحوز الأوسط عرف بتركز كبير للخطارات والسواقي وكذلك بسيطرة النطاقات المسقية، كما أشارت إلى ذلك إحدى الرسائل المخزنية المؤرخة في 1283هـ/1866م "وعلمنا ما ذكرت

¹- تم الاعتماد على المعطيات الواردة في الرسائل المخزنية وكذا بعض المراجع، وقيل ذكرها من الأفيذ وضع جرد بسواقي الوديان الثلاث المذكورة، فسواقي واد نفيس كالتالي: تاركة- سعادة- اسكجور- الجبلية- تيننت- تازوينت- تسليمت- أمزري- الجديدة- أكفاي- تمزكلفت- تسنزا) أما سواقي واد غيغاية فهي: أغواطيم- الباشية- تارزينت- تاوريكت- مولاي الحاج- شديدة- طوك الخير، وأخيرا سواقي واد أوريقة وهي توهينة- تيوهنيبت- تكفاي- تغموت تاوولت- مسديفة- تمنناخت- تاوجريكت- تامزكليت- تالغومت- تسلطانت. انظر:

- رسالة بتاريخ 7 شوال عام 1300 هـ/ 10 غشت 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص.14- 15.

- PASCON, P, T1, op.cit. pp.134-170.

²- هوزالي أحمد، "مادة حوز مراكش"، معلمة المغرب، م.س. ص.3633.

من مزارع السقي كالحوز وشيشاوة وضعف الصابة في بعض المزارع البورية"¹، عكس الحوز الشرقي الذي تميز بقلّة الأراضي المسقية وكثرة الأراضي المتحجرة على الرغم من وجود أودية ذات مياه وفيرة².

هكذا إذن يظهر تركّز معظم السواقي المخزنية بواديان الحوز الأوسط، إلا أن هذا الأمر لا ينفي وجود سواقي مخزنية في الحوزين الشرقي والغربي، غير أن ما عثر عليه من رسائل مخزنية ونصوص مصدرية لم يسمح بالاطلاع على باقي الأملاك المائية المخزنية الموجودة فيهما، باستثناء بعض الإشارات كتلك التي تناولت جمع محصول القمح والشعير من الأراضي المخزنية المحروثة بمياه ساقية تملأت (واد تساوت في الحوز الشرقي) على يد القائد السيد الحاج عبد السلام الزمراني سنة 1307هـ/1890م³، إلى جانب إشارات تؤكد تدخل سلطة المخزن لحل النزاعات المرتبطة بعنصر الماء في مجموع مناطق الحوز، لكنها لم تشر إلى امتلاك المخزن لتلك المياه.

¹ - رسالة بتاريخ 15 محرم 1283هـ/30 ماي 1866م، م.و.م. الرباط، محفظة مراكش رقم:2.

² - هوزالي أحمد، "مادة حوز مراكش"، م.س. ص.3635.

³ - الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص.28.

II. تدبير الحقوق المائية المخزنية

كانت الأراضي الزراعية تتطلب عناية دورية من طرف المخزن، بما في ذلك عمليات الحرث أو الغرسة وكذا مراقبة منسوب المياه في السواقي والتدخل كلما قل لتأمين المياه وإنقاذ المحاصيل المخزنية.

1- التدبير المخزني لحقوقه المائية والمشرفين عليها:

كان يتم تدبير الأملاك المخزنية في مجموع المغرب من طرف (العمال، أمناء الأملاك، أمناء المستفاد، الفلاحون...) كما هو الحال في حوز مراكش حيث كانت مسؤولية تدبير أملاك السلطان وأراضي المخزن على حد سواء مع ما ارتبط بها من حقوق مائية تقع على عاتق القيادة¹ بتكليف مباشر من السلاطين، وفي بعض الأحيان طالب بعض خدام المخزن بهذه المسؤولية، كما هو الحال حين طالب محتسب مراكش عبد الله البوكيلي سنة 1892م من السلطان الحسن الأول الترخيص لابنه إبراهيم البوكيلي بالإشراف على أملاك الأمير مولاي عبد العزيز في مراكش ونواحيها².

وقد تم تدبير الأملاك المخزنية بطرق مباشرة من طرف رجال المخزن (قياد، شيوخ...)، وبطرق غير مباشرة عن طريق الكراء، التويزة، الشركة...، حيث أجر المخزن لمحميي الأجناس أملاكه الموجودة في آسفي، كما هو موضح في الرسالة التالية "أخبر أمين المستفادات بآسفي أن أهل حماية الأجناس الذي بأيديهم أملاك المخزن في الثغر المذكور كلهم يدفعون الريال في كرائها بالسوم المجعول له"³.

دفع اهتمام المخزن بأملاكه في حوز مراكش إلى تسخير مجموعة من الفعلة والمختصين لتدبيرها، فكان أحيانا يرسل ذوي الخبرة لغرس مختلف أنواع المزروعات⁴،

1- انظر: - الشابي مصطفى، النخبة المخزنية، م.س. ص. 65.

- نجدي محمد، م.س. ص. 113.

2- الشابي مصطفى، م.س. ص. 120.

3- رسالة بتاريخ 7 ربيع الأول 1295هـ / 10 مارس 1878م. م.و.م. الرباط، رمز: A17-016-003.

4- هناك مجموعة من الرسائل التي تهم هذا الموضوع ونعرض منها على سبيل الذكر لا الحصر، تلك التي بعث بها حم بن الجيلاني جوابا على رسالة السلطان مولاي الحسن المتعلقة بغرس شتلات بعض الفواكه: " ننهي لكرم علمه الفخيم انه ورد علينا كتاب شريف امرنا فيه مولانا بقبول ما ياتي لنا من نقلة الشين من عند عامل الزراينة ونقله الاجاص. من عند عامل تطوان نقلة التفاح من عند عامل القصر، ودفعها للحاج السعدي غريط على ان يتولى غرسها بالجنات

كما هو الحال حين أصدر السلطان الحسن الأول أوامره القاضية بتوجيه سبائك من العنب المعروف باسم "المسكي" لغرسها في أكادال، وتعيين فلاح من ذوي الخبرة للقيام بهذه المهمة، ونص الرسالة كالآتي: " فيأمرك مولانا أيده الله أن توجه من سبائك دوالي العنب المسكي...بقصد غرسها بأجدال السعيد....ووجه من هناك معلما فلاحا صحبة ذلك ليغرس ما ذكر"¹.

تكررت عملية غرس الكروم بأكدال سنة 1885م، فهل تمت إضافة مساحة جديدة أم أن عملية الغرس الأولى لم تتكلل بالنجاح؟ لم تفصح الرسائل عن السبب الرئيسي، فكل ما تمت الإشارة إليه هو توجيه السلطان مولاي الحسن رسالة إلى عامل سلا محمد بن سعيد السلاوي يأمره فيها بتوجيه خبير بغراس الكروم إلى مدينة مراكش مفادها: " أن يوجه لخدمنا الحاج احمد بوستة بمحروسة مراكش رجلا عارفا بتربية العنب وغرسه، مع خمسمائة جدر من المسكي منه ثمة. وكتابنا الشريف لأمناء العدوتين بحمل تلك الجدر 500 وكراء ركوب الرجل المذكورة وتزويده يصلك طيه والسلام."².

يتضح من خلال هذه الإشارات اهتمام السلطان الحسن الأول بمدينة مراكش من خلال إحياء الأراضي وعمليات الغرس وإصلاح السواقي، كما تدل على ذلك وثائق كثيرة همت مجال الدراسة خاصة ومجموع المغرب عموما، كتلك التي همت مدينة مكناس حيث وجه السلطان رسالة إلى باشا فاس عبد الله بن أحمد يأمره فيها بتوجيه شتلات قصد غرسها بمدينة مكناس³.

كما عمل المخزن خلال القرن التاسع عشر على تكليف خدامه بمجال حوز مراكش ببيع المحاصيل التابعة لأملاكه، والتي أطلق عليها في الرسائل المخزنية مصطلح الأملاك

السعيدة، وذلك بمحضر عدلين...". انظر: وثيقة رقم: 2530، بتاريخ 16 رجب الفرد الحرام 1308هـ/ 25 فبراير 1891م، الوثائق، المجموعة التاسعة، م.س. عشرة ص.53.

1- رسالة من الوزير الصدر محمد بن سعيد السلاوي بتاريخ 18 صفر 1299هـ/ 9 يناير 1882م، الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، المجموعة الثالثة عشر. 2008. ص.14-16.

2- رسالة بتاريخ 3 جمادى الأولى 1302هـ/ 18 فبراير سنة 1885م، الوثائق، م.و.م، المجموعة الرابعة عشرة، م.س. ص.345.

3- رسالة بتاريخ 5 ربيع الأول 1300هـ/ 13 يناير 1883م، نفس المجموعة. ص.16.

السعيدة، الكرانات السعيدة...، وفيما يلي جدول بأهم المنتوجات الفلاحية التي بيعت سنة 1309هـ/1891م على سبيل المثال.

جدول رقم 2: أسعار بيع بعض منتوجات المخزن الزراعية بحوز مراكش سنة 1309هـ/ 1891م.

المواد	سعر البيع	المكلف بالبيع	المجال
الزيت ¹	527 ريال ونصف ثمن	الحاج مصطفى جسوس	مراكش
غلل ²	1403 ريال	عبد الله	بمراكش
	102 ريال ونصف ثمن		تملايت
	103 ريال		واد نفيس
كرم وغيره ³	26 ريال		الحوز
الغلل	1252 ريال ونصف	عبد الله	مراكش
الصيفية ⁴	120 ريال		تملايت
الفول ⁵	210 ريال و25 أوقية	عبد الله	حوز مراكش
الكرموس ⁶	223 ريال	عبد الله	حوز مراكش
ثلث بحاير النوار ⁷	881 ريال		تسلطانت بباب قاعة الخضر
غلل ⁸	105 ريال		أرض المنارة على ساقية تاركة

- 1- رسالة بتاريخ 12 ربيع الثاني 1310هـ/ 4 أكتوبر 1892م، م.و.م، الرباط. محفظة مراكش رقم:9.
- 2- رسالة بتاريخ 21 ربيع الثاني 1310هـ/ 13 أكتوبر 1892م، م.و.م. نفس المحفظة.
- 3- نفس الرسالة.
- 4- رسالة بتاريخ 22 ربيع الثاني 1310هـ/ 14 أكتوبر 1892م، م.و.م. نفس المحفظة.
- 5- نفس الرسالة.
- 6- رسالة بتاريخ 23 ربيع الثاني 1310هـ/ 15 أكتوبر 1892م، م.و.م. نفس المحفظة.
- 7- نفس الرسالة.
- 8- نفس الرسالة.

يبدو أن أملاك المخزن بحوز مراكش قد تعرضت لعدة أضرار منها الناتجة عن عوامل طبيعية وأخرى بفعل عوامل بشرية، كالضرر الذي أصاب أكدال نتيجة المطر الغزير والبرق والرعد مما أدى إلى إفساد بعض المزروعات التابعة للمخزن، وهو الأمر الذي أفصحت عنه الرسالة التالية "وقع بنواحي مراكش مطر غزير ورعد وبرق كبير فافسد بعض الأجرانات السعيدة وبعض أشجار أجدال السعيد البران وغير ذلك من زروع القبائل وعليه فنأمرك أن تبحث في تلك الأشجار هل آل الأمر إليها وتعلمنا بالواقع"¹.

كما تعرضت أملاك المخزن والغلات التابعة له في بعض الأحيان إلى السرقة من طرف المشتغلين فيها، مثل ما وقع سنة 1310هـ / 1892م، حين تجرأ ثمان خماسة² من العاملين في إحدى أراضي المخزن بتسلطانت على سرقة خمسة وخمسين خروبة من الشعير، وهو ما أفصحت عنه الرسالة التي وجهها الحاج محمد بن إبراهيم إلى السلطان المولى الحسن الأول "تنهي لكريم علم مولانا الشريف أن الخماسة المقيدون طرته من خماسة أكران مولانا أيده الله الذي إلى نظر المجاطي بتسلطانت الذي أمر مولانا بإبقائهم بمصباح حتى يؤدوا الخمسة والخمسون خروبة من الشعير التي للجانب العالي بالله مما كانوا نهبوا الأجران المذكور..."³. يبدو أن تعدد المسؤولين عن تدبير الأراضي كان يؤدي غالبا إلى ضياع المحاصيل جراء تقصيرهم في خدمتها، فقد تضررت أشجار الفواكه بأكدال نتيجة التفريط في حرثها وسقيها، وهو ما نبه إليه محتسب مراكش عبد الله البوكيلي في رسالة بعث بها إلى السلطان مولاي الحسن، نصها كالآتي: "أن أكدال السعيد ضعفت ولادة أشجاره... تبين فيه الضرر لأشجاره من عدم الغبار والحرث مع التحطيط الواقع بها، وأن جلها لم يلد لأجل التفريط وعدم الخدمة... ويظهر لسيدنا أيده الله من ثمن لتشين هذه السنة مع عام أول و عام أول. وأن كل سنة يقع النقص عن الأخرى... ولا يخفى علم مولانا أن غلل أكدال السعيد في الماضي كانت تكفي مراكش، وتفاحه يسافر به للبلدان بعد كفاية البلد منه، وأن كثير أشجاره الآن يبست من عدم القيام بخدمتها، وأن الرباعة ليس

1- رسالة بتاريخ 20 شوال 1310هـ / 07 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

2- وهم: محمد بن العربي بن موسى، الجيلالي بن علال، عمر بن لحميم، إبراهيم بن المعطي، علال بن الحاج محمد، الفاطمي بن العوينة، محمد بن عمر، بن الحبيب.

3- رسالة بتاريخ 7 جمادى الأولى 1

310هـ / 27 نونبر 1892م، م.و.م، الرباط. محفظة مراكش رقم:9.

بقيام لقبض الماء على القاعدة المعهودة، وإنما يطلقونه ليلا فيبيت بالترايع ويذهب كل منهم لحاله... والحامل على الإعلام به هو تكلفي ببيع غلله، فخفت أن يقع نقصان في أثمانها فيحوج إلى السؤال عن السبب"¹.

هكذا إذن حرص المخزن على تدبير أملاكه عبر تكليف رجاله والمختصين بالمجال الفلاحي، بهدف الحفاظ على أراضيه وتحقيق أرباح مادية مهمة، غير أن كثرة الفاعلين في هذه العملية أدى إلى نتائج عكسية كضياع المحاصيل وتلف المزروعات مثل ما حدث بجنانات أكدال سنة 1889م، ما نجم عنه خسائر مالية مهمة.

2- إصلاح السواقي²:

حظيت السواقي الكبرى باهتمام المخزن سواء تعلق الأمر بتنظيم كيفية السقي "النوبة"، أو خرص³ الأراضي المسقية بمائها، أو حتى إصلاحها بين الحين والآخر، وهكذا شهدت السواقي المخزنية على الخصوص مجموعة من الإصلاحات المتتالية.

تعرضت السواقي المخزنية بين الحين والآخر إلى التخريب بفعل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية؛ فأما الطبيعية فتتمثل في تساقط الأمطار بغزارة مثل ما حدث سنة 1301هـ، حيث بعث القايد أحمد أمالك رسالة إلى السلطان الحسن الأول يخبره فيها "بافتقار السواقي للإصلاح لتوالي الأمطار عليها بالمساء والصباح..."⁴. وأما البشرية

1- رسالة من محتسب مراكش عبد الله البوكيلي إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 3 شوال 1306هـ / 2 يونيو 1889م، الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الثامنة عشر، 2013. ص. 100-101.

2- الساقية هي تقنية استخدمها الإنسان في محاولاته لضبط واستغلال المياه، وهي من المنشآت المائية التقليدية البسيطة الشكل، والأكثر استخداما انظر:

- PASCON,P, T1, op.cit. P.84.

- الحسني التهامي بن عبد الله، الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي، تحقيق حسن حافظي علوي، مراكش، 2001. ص. 26.

- الشرقاوي أحمد، "أنظمة السقي في التراث المغربي: حالة المصطلحات والمفاهيم الخاصة بأنظمة السقي بسهل تافيلالت"، دفاثر جغرافية، العدد الثالث والرابع، 2007. ص. 75.

3- عبارة عن ضريبة المراد بها تقدير الإنتاج قبل نضج الثمار، وتحديد القدر الواجب دفعه، وعملية الخرص هذه كانت تتم على يد شخصين أحدهما أجنبي عن القبيلة والآخر منتمي إليها، ومزودان بتعليمات من المخزن حول المقاييس التي يجب اعتمادها. انظر:

- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى عامل سلا محمد بن سعيد السلاوي، م.و.م، الوثائق، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة السادسة عشرة، 2011. ص. 425.

- الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص. 193-194.

4- رسالة بتاريخ 17 جمادى الثانية 1301هـ / 13 أبريل 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 5.

فتتجلى في إقامة السكان أكوكات¹ على السواقي مما كان يؤدي إلى تخريب بعض أجزائها، ويفرض على المخزن إصلاحها بشكل متكرر.

دأب المخزن على إصلاح ما تهدم من السواقي التابعة له، ولنا في مراكش وأحوازها نماذج عديدة أشارت إليها نصوص الرسائل المخزنية، وفي مقدمتها ساقية تسلطانت التي أمر السلطان سنة 1297هـ/ 1880م بإصلاح ما احتاج منها إلى ذلك من طرف القبائل وكذلك رجال المخزن.

أشار السلطان الحسن الأول في رسالة إلى عامله بمراكش أحمد بن مالك البخاري بأنه أمر " عاملي مسفيوة وعامل وريكة بخدمة ساقية تاسلطان. فأخبر القايد عبد الرحمان المسفيوي بأن العادة الجارية في خدمتها عند القبائل هو أن وريكة يقومون بها من بلادهم إلى المحل الذي بينهم وبين مسفيوة، ومنه إلى الخراجات يقوم به مسفيوة، ومن الخراجات إلى أكدال السعيد يقوم به سكان تسلطانت"²، يتبين من خلال نص الرسالة أن إصلاح -أو ما اصطلح على تسميته بخدمة- ساقية تسلطانت كان يتم وفق عملية تناوب دقيقة وتشاركية بين القبائل (وريكة، مسفيوة، تسلطانت)، في حين يتكلف المخزن بإنجاز ما تبقى من العمل الذي تجهل القبائل كيفية القيام به وهو ما تم توضيحه في نهاية الرسالة "وأن الخراجات نفسها المخزن هو الذي يقوم بخدمتها، لكونها بالخطاطر تحت الأرض والوادي فوقها والقبائل لا معرفة لهم بذلك"³.

استعان المخزن بعدد من أرباب المعرفة والمختصين كالخطاطرية لإصلاح ساقية تاسلطان، وهو ما أشارت إليه الرسالة التالية: "بلغنا أن خراجات ساقية تسلطانت مفتقرة إلى الخدمة والإصلاح فأمرنا العمال المسمين بمنته بخدمة ما عدى الخراجات منها على العادة وأما الخراجات نفسها فنأمركم أن توجهوا المعلمين الخطاطرية بإصلاحها لكونها

¹- أكوك: وهو سد تحويلي، يكون على مرتفع بسيط، وهو الحلقة الأولى في الساقية كوحدة تقنية. انظر:

- OUHAJOU Lekbir, **Espace Hydraulique et societe au Maroc cas des systèmes d'irrigation dans la vallée du dra**, publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, el maarif al jadida, Rabat, 1996. P.101.

- الهاشمي أحمد، المصطلح المائي في الطونيميا الأمازيغية كتاب المصطلحات الجغرافية الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2011. ص.51.

²- الوثيقة رقم: 1328، الوثائق، م.و.م، المجموعة الحادية عشر، م.س. ص. 167-168.

³- نفس الوثيقة.

تحت الأرض والوادي فوقها"¹. من خلال هذه الرسالة يتضح أن المخزن اهتم بإصلاح السواقي والوقوف على ذلك من خلال إرسال العمال و"الخطاطرية" العارفين بكيفية ذلك إلى جانب التكلف بالمصاريف، وهو ما أكدته السلطان في نهاية الرسالة بقوله: "فقد أمرنا بذلك وتقوموا بصاير إصلاحها"² والضمير هنا يعود على عمال المخزن المشار إليهم في طرة الرسالة وهم: الحاج أحمد أمالك، المسفيوي والوريكي.

من جهة أخرى حظيت ساقية تاركة "بالحوز الأوسط" بعدة إصلاحات، بعد أن تعرضت للتخريب إبان فيضان واد البعجة سنة 1303هـ/1886م، والذي "قد أضربها غاية، وكلما أصلحت من محل أفسدها من محل آخر"³، وسبب ذلك حسب رسالة القائد القرشي بن محمد الوريكي الموجهة إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 ذي الحجة عام 1303هـ/الأربعاء 22 شتنبر 1886م "أن السكان الذين عليه يطلعون منه أكاكات للسواقي التي ينتفعون بهم ويحرثون عليهم قبل الخراجة، وصار وقت ما حمل الواد يجد أكاكات متعرضين له فيسير منهم على الساقية"⁴، مما كان يفرض على المخزن إصلاح الساقية ما بين "مرتين أو ثلاثة في السنة وأكثر ما يسيل على قسمتنا فيها"⁵.

أمر السلطان جراء هذه الأحداث الحاج أحمد بن مالك بكف الناس عن إحداث الأكوكات، وأن يقوم أيضا "بإصلاح المحل الذي يسيل منه الواد ويكلف السكان المذكورين بترك أكاكات الذين يتعرضون للواد"، غير أن السكان لم يمتثلوا للأوامر المخزنية كما هو موضح في آخر الرسالة "...فتركوهم ما تيسر ورجعوا لما كانوا عليه"⁶.

توالت عمليات الإصلاح التي حظيت بها ساقية تاركة، ففي سنة 1298هـ/1880م نجد السلطان قد أمر الباشا أحمد أمالك: "بأنك أخذت بالحزم والعزم في القيام بخدمة

1- رسالة بتاريخ 28 ذو القعدة 1297هـ/ 31 أكتوبر 1880م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من القائد القرشي بن محمد الوريكي إلى السلطان مولاي الحسن، بتاريخ وفي 23 حجة الحرام 1303هـ/ 22 شتنبر 1886م، الوثائق، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص.288.

4- نفس الرسالة.

5- نفس الرسالة.

6- نفس الرسالة.

النصف الواجب عليك من قنطرة ساقية تاركة عملا بأمرنا الشريف لكم في ذلك"¹، تكررت عملية الإصلاح من جديد سنة 1300هـ/1883م، نتيجة توقف "ساقية تاركة على الخدمة... وصار بالبال أما خدمة الساقية فقد أمرنا العمال المكلفين بها بخدمتها"².

أما بمجال الحوز الغربي فقد حرص المخزن على إصلاح ساقية تسمى كذلك بتاركة، حسب ما أشارت إليه العديد من الرسائل المخزنية، وفيما يلي نص الإشارة الأولى "وافاني بما تشكى به على الحضرة الشريفة القائد الحسن السكسيوي والقائد محمد الدويراني من أنهما قاما بخدمة واجبهما في إصلاح ساقية تاركة ولم يبق إلا القنطرة فلم يقدرُوا على إصلاحها وحدها وأن المزوضي والكنتافي والجرجوري والجدميوي اتفقوا على الذهاب لحال سبيلهم... وأمرني سيدنا أعزه الله بالزامهم الرجوع لإكمال العمل إن كانت عادتهم القيام بإصلاح القنطرة كلا أو بعضا فقد امتثلت أمر سيدي وجمعت العمال المكلفين بالساقية وتفاوضوا بينهم فثبت أن الأمر بخلاف ما تشكى به السكسيوي والدويراني لأن التراضي الذي وقع الإشهاد به عليهم بالرسم المشار إليه ألغاه سيدنا أيده الله وأبطل العمل به وأقرهم على ما تركهم عليه سيدنا المقدس بالله من أن مزوضة وفروكة وكدميوة ووزكيته يقومون بخدمة أعلا الساقية ما بين رحي مولاي سعيد إلى أكوك الساقية ومن الرحي المذكورة إلى أسفلهما يقوم به سكساوة ودويران وإيالة الحاج أحمد أمالك حسبما بكتاب شريف أدلى به القايد علي المزوضي..."³.

يمكن الخروج بثلاث ملاحظات من خلال نص هذه الرسالة: الأولى مفادها أن عملية الإصلاح كانت تتطلب تكثيف الجهود من طرف مختلف عمال المخزن حيث تمت الإشارة إلى كل من السكسيوي، الدويراني، المزوضي الكنتافي، الجرجوري والجدميوي، أما الملاحظة الثانية فهي أن عملية الإصلاح كانت تتم باشتراك مع القبائل عبر تقسيم العمل فيما بينها، بحيث أن أعلى الساقية كانت تتكلف به كل من قبائل مزوضة، فروكة، كدميوة ووزكيته، والجزء الآخر من الساقية تصلحه قبيلتا سكساوة ودويران، أما الملاحظة الأخيرة

¹- رسالة بتاريخ 7 محرم 1298هـ/ 10 دجنبر 1880م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

²- رسالة بتاريخ 26 ذو الحجة 1300هـ/ 28 أكتوبر 1883م، م.و.م، نفس المحفظة.

³- رسالة بتاريخ 9 محرم 1296هـ/ 3 يناير 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

فترتبط ببعض المشاكل التي تشوب عملية الإصلاح كالتملص من الخدمة مثل ما فعل بعض عمال المخزن، أو حدوث مشاكل جراء تغيير مخطط الإصلاح، بحيث أن هذه الخطة تتغير في بعض الأحيان حسب كل سلطان، مثل ما جاء في الرسالة " لأن التراضي الذي وقع الإشهاد به عليهم بالرسم المشار إليه ألغاه سيدنا أيده الله وأبطل العمل به وأقرهم على ما تركهم عليه سيدنا المقدس بالله". تمت عملية إصلاح ساقية تاركة خلال نفس السنة -سنة 1296هـ/1879م- بعد مرور عشرة أشهر، ونجد في إحدى الرسائل أن "القايد السكسيوي والقايد محمد الدوراني أخبرا علمه الشريف بأنهما قاما بخدمة واجبهما... في إصلاح تاركة"¹.

كما أشارت إحدى الرسائل السلطانية المؤرخة في 1300هـ/ 1882م إلى إصلاح ساقية السويقية المتواجدة في مراكش والتابعة للمخزن كما هو موضح في النص التالي: "قد ورد على الخديم أمره المنيف ءامرا بالقيام بإصلاح ساقية السويقية التي إلى نظر ساداتنا الشرفاء الأزكية"² والتي تم الشروع في "خدمتها بالمعلمين الحجارة أرباب المعرفة" تحت إشراف القايد المهدي المزميزي.

اهتم المخزن إلى جانب إصلاح السواقي وكنسها بإصلاح العيون التابعة له، وحياسة ما يرتبط بها من أراضي، ولا أدل على ذلك من إشارة صريحة ضمتها إحدى الرسائل حول " عين ازد التي قوم اصلاحها بستة آلاف مثقال³ وثلاثمائة مثقال وثلاثين مثقالا عين من عيون المخزن...وأشار بأن تقسيم هذه الأرض التي يراد سقيها من هذه العين ويحوز منها المخزن حظه ويكون بسقي من ساقية المحمديين لكونها لجانب المخزن بقرب هذه

1- رسالة بتاريخ 8 ذو حجة 1296هـ/ 2 يناير 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

2- الوثيقة رقم:1605، الوثائق، المجموعة الثالثة عشر، م.س. ص.437-438.

3- المثقال: كان أساس النظام النقدي قبل القرن 19م، بلغ وزنه 4,25 غرام، خلال القرن التاسع عشر بدأ في التراجع والاختفاء بسبب تراجع كميات الذهب في المغرب، بتراجع عائدات بلاد السودان وعائدات التجارة الخارجية وغرامة حرب تطوان الثقيلة، وقد عوض إصلاح محمد بن عبد الله المثقال الذهبي بالفضي. أفا عمر، "مشكلة النقود ومحاولات الإصلاح في مغرب القرن التاسع عشر"، أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:7، الدار البيضاء، 1986، ص. 76 - 77.

العين وأن لا يتصرف فيها إلا من بيده ظهيرنا الشريف بذلك... فنأمركم أن توجهوا معه أرباب البصر ومن يقف من قبلكم على قسمة تلك الأرض وحياسة حظ المخزن فيها"¹.

ومنه نستنتج أن المخزن حرص على إصلاح السواقي في إطار إشرافه على تدبير الأملاك المخزنية، لما له من فائدة على الخزينة المالية من جهة، ومن جهة أخرى لإظهار عظمة المخزن بحيث "أن حقل الخيال الرمزي للمجتمع المغربي هو حقل يولد وينتج ويروج الرموز، كما تروج السلع. من هنا سيكون الإسراع نحو امتلاك واحتكار الرموز الهامة"²، وإبراز دور المخزن كمؤسسة فعالة لا يمكن الاستغناء عنها، وترسيخ قيمته الرمزية في ذهنية الأفراد، من خلال امتلاكه لأحد المحركات الخفية للسلطة وهي الماء، ذلك أن التحكم في هذه المادة الحيوية ساعد المخزن على تدبير المجال والسكان عبر تنظيم عملية الاستفادة من المياه المخزنية، وهو ما كان يعود عليه بالنفع ويسمح له بتوسيع دائرة أملاكه أحيانا نتيجة امتلاكه مصدر السقي، كحياسة بعض الأراضي التي تسقى بماء "عين أزد" حسبما أشارت إليه الرسالة السابقة.

3- سلطة الماء³:

تحكم المخزن في مياه السواقي الواقعة بمجال حوز مراكش منذ تأسيسها وحتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ذلك أن إحداث مثل هذه المنشآت الكبرى لا يتم إلا بوجود سلطة قوية قادرة على حمايتها وحسن تدبيرها، كما هو الحال بالنسبة لسواقي تسلطانت وتاركة...، وقد تمثلت سيطرة المخزن على المياه بالحوز عن طريق البيع، الكراء أو الإنعام بها على جهات موالية له خلال السنوات المطيرة، أما زمن الجفاف والندرة فقد عمد المخزن إلى احتكار مياه هذه السواقي لسقي أراضيها، فسلطته وقوته خولت له حق الأسبقية دون غيره بمجال الحوز.

سمح امتلاك المخزن لحصص كبرى من المياه في مجال الحوز بالتصرف فيها كيفما شاء، فقد عمد إلى كراء مياهها لبعض القبائل، وفي أحيان أخرى يقل منسوب مياه

¹- رسالة بتاريخ 6 ربيع النبوي عام 1298هـ/ 7 مارس 1881م، م.و.م، الرباط،، محفظة مراكش رقم:4.
²- زيادة خالد، "المجتمع القبلي بين المخزن والدولة والمجتمع"، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، العدد 17، 1992. ص.263.
³- أدى تحكم المخزن في مياه بعض السواقي الكبرى إلى فرض سلطته ونفوذه بمجال حوز مراكش.

السواقي وينخفض معه ثمن كراء مياهها ومنفعتها، يقوم المخزن ببيعها مثل ما حدث سنة 1200هـ/ 1786م بالنسبة للساقية الجديدة التي "عدم نفعها وقل كراؤها اقتضى نظر مولانا المنصور بالله بيعها ودفع ثمنها لبيت مال المسلمين فباعها نصره الله لأولاد... والجافات وأولاد سالم بن عامر... على يد خديم سيدنا القائد محمد الصغير بثمن قدره لجميعها ستة آلاف مثقال"¹، من خلال هذا الرسالة تم الإفصاح عن الجهة التي اشترت الساقية، كما تمت الإشارة إلى ثمنها المتمثل في ستة آلاف مثقال أودعت في بيت مال المخزن.

ساهم حرص المخزن على ضمان المياه لأراضيه أوقات القلة والجفاف في تعطيل إنعاماته المائية على مختلف المستفيدين منها، حيث جمد المولى عبد الرحمان ما أنعم به أسلافه على زاوية تامصلوحت من ماء ساقية تامزكلفت²، فتلك الإنعامات كانت مشروطة بالظروف المناخية، بحيث إذا قل منسوب المياه في الساقية "ولم يبق الا مقدار اربعة مصارف فيرفع مولاي سعيد واخوانه ايديهم عنها ويتخلوا عنها لمجاظ حتى تعمر بالماء وحينئذ يرجعون للتصرف في المصرف المذكور"³.

أحيانا كان المخزن يطلب بشكل ودي من بعض الجهات تسريح المياه لأراضيه، كما هو الحال حين طلب من الحاج محمد بن سعيد المصلوحي سنة 1299هـ/ 1882م بتسريح فردية من المياه المنعم بها على الزاوية بغية سقي مزروعات المخزن التي بأراضي السويقية بمراكش نظرا لقلة الماء حسب ما تضمنته الرسالة التالية: "لحرتنا الذي بالسويقية لأنه أشرف لنا على الهلاك وصار للضياع من قلة الماء"⁴.

وفي فترات الجفاف عمد المخزن إلى تسخير سلطته لتوفير الماء لأراضيه الخاصة على حساب القبائل المتواجدة في نفس المجال، وهو ما أكدته إحدى الرسائل السلطانية

¹ - رسالة بتاريخ 25 شوال 1200هـ/ 10 غشت 1786م. انظر:

PASCON, P, T2, op.cit. p150.

² - العبدلاوي، م.س. ص.60.

³ - ظهير السلطان عبد الرحمان بن هشام مؤرخ في 23 ربيع الأول 1263هـ/ 10 مارس 1847م. انظر:

PASCON, P, T2, op.cit. P.40.

⁴ - رسالة بتاريخ 19 جمادى 1299هـ. انظر:

ibid. P.67.

الموجهة إلى محمد بن المعطي الوريكي، وفيها يأمره الوصيف محمد أمور بالزيادة في مياه ساقية "تبوهنيت" لسقي أراضي السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام "لنسقوا به زرعهم فقد لحقه العطش غاية ولا بد متى وصلك كتابي هذا زد لنا في الواد قدر ستة أيام بليلها حتى يكتفي زرع مولانا الخليفة وفقه الله ولا بد ولا بد بوصوله إليك هبط الماء بلا عطلة والسلام"¹.

كما دفع الجفاف بالمخزن في بعض الأحيان إلى إلغاء الحصص المائية المنعم بها على بعض الجهات، كما حدث مع الزاوية التيجانية التي كانت تستفيد من مياه عين عتيق المحبسة على أوقاف الرباط منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، إلا أن الظروف المناخية المتمثلة أساساً في الجفاف دفعت بالمخزن سنة 1889م، إلى قطع مياه هذه العين عن كل الدور والزوايا باستثناء المساجد².

سخر المخزن رجاله لتوفير المياه لأراضيه وهو ما ظهر جلياً في عدة رسائل، كذلك التي تناولت موضوع إصلاح ساقية تاركة، والتي ضمت إشارة إلى أن عامل مراكش أحمد بن مالك البخاري قطع الماء عن باقي أراضي القبيلة في مقابل تسريحه لأراضي السلطان "وحينئذ غلقت مجاري الماء بالزرب والتراب، وأجزته لمحل حرث لجانبنا العالي بالله حيث لم يسعك تأخير السقاء وصيرت على ذلك وصار بالبال. فلا تضيع لك الخدمة بحول الله"³.

تحكم المخزن في مياه الحوز وبسط سيطرته عليها، عن طريق الإنعامات التي كان يمنحها لبعض خدامه سواء تعلق الأمر برجاله، أو بالزوايا أو بالقبائل الموالية له، وعلى سبيل الذكر فقد أشار المولى الحسن الأول في أحد ظهائره الصادر بتاريخ 12 حجة عام 1310هـ/27 يونيو 1893م إلى حيازة المخزن للحقوق المائية التي كان يتمتع بها الخديم بودلاحة قبل وفاته، ونص الظهير كالتالي: "نوبات من الماء بعين تصاغت في شركة

¹-رسالة بتاريخ 25 رجب 1271هـ/ 13 أبريل 1855م. انظر:

PASCON, P, T2, op.cit. P.154.

²- الخليلي عبد العزيز، مدينة الرباط، م.س. ص. 122-123.

³- جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة عامل مراكش أحمد بن مالك البخاري بتاريخ 17 محرم 1298هـ/ 20 دجنبر 1880م. الوثائق، المجموعة الحادي عشر، م.س. ص. 299-301.

الخدم بؤءلاحة رحه الله بنوبة ونصف وثن ونصف. ولما توفي حيزت لجانبنا العالى بالله¹، فطالب محتسب مراكش وهو يومئذ عبء الله بن إبراهيم البوكلى بالتصرف فىها كما هو موضح فى آخر الظهير "من جملة أملاكه طالباً الإنعام علىك بالإشفاع بها وصار بالبال"².

هكذا سمحت السلطة التى حظى بها المخرن بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر فى التحكم ببعض القبائل عن طريق استمالتها بواسطة الإنعامات أو تأديبها بانتزاع أراضيها مع ما يرتبط بها من ماء، وهو ما حدث مع قبيلة الرحامنة عقب تمردھا سنة 1278هـ/1862م³، حيث تمت حيازة أجود الأراضي السقوية لصالح المخرن والتى منها "تبهنيت...وعين دادة... وكذا ما ببلاد تامصلوحت... وتاركة من الجنات والأراضي سقوية وبعلىة... وكذا ساقية تاسلطان... وعين السويهلة وبلدها"⁴.

نستنتج من خلال ما سلف أن الجفاف كان وراء حرمان عءء من المستفءءء من الإنعامات المائية فى مقابل سقى أراضي المخرن، سواء تعلق الأمر بالزوايا أو القبائل، ولعل هذا ما يؤكد سلطة المخرن المائية وأحقىته فى السقى زمن الأزمات المائية.

هكذا إذن مكن عنصر الماء المخرن من إحكام سيطرته وبسط سلطه على معظم الأراضي الخصبة بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، بحيث خولت له حقوقه المائية الاستحواذ عليها، كما حدث بالنسبة للأراضي المجاورة لعين أزد التى كان يملكها المخرن والتى بفضلها بسط يءه على أراضي جديدة، كما هو مبين فى نص الإشارة التالية: "بقرب هذه العين وأن لا يتصرف فىها إلا من بيءه ظهيرنا الشريف بذلك... فنأمركم أن

1- ظهير بتاريخ 12 حجة عام 1310هـ/27 يونيو 1893م، أورءه: الشابى مصطفى، النخبة المخرنية، م.س. ص.136.

2- نفس الظهير.

3- الصءىقى عبء الرزاق، م.س. ص.63.

انظر:

4- الناصرى، الاستقصا، ج9، م.س. ص.111-112.

- بوءربالة نجيب، القانون بين القبيلة والأمة والدولة جءلية التشريع: العرف، الشريعة والقانون، ترجمة وإعداد محمد زرنين، أفريقيا الشرق، الءار الببضاء، 1999. ص.166.

- الصءىقى عبء الرزاق، م.س. ص.65.

توجهوا معه أرباب البصر ومن يقف من قبلكم على قسمة تلك الأرض وحياسة حظ
المخزن فيها"¹.

¹- رسالة بتاريخ 6 ربيع النبوي عام 1298هـ/ 7 مارس 1881م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

III. المخزن والصراع على الماء "السواقي المخزنية":

لم تسلم السواقي من الصراع بين القبائل والمخزن، ولعل هذا الأمر يبرز الأهمية التي حظي بها الماء داخل قبائل الحوز التي لجأت إلى سرقة مياه المخزن والدخول معه في نزاع متجاوزة بذلك سلطته ونفوذه، ولنا في نصوص المصادر بعض الإشارات إلى ذلك.

لقد شكل إنعام المخزن ببعض الحقوق المائية على قبائل أو جهات معينة أحد أسباب الصراع، فتلك الإنعامات كانت تتم على حساب جهات أخرى مستقرة في تلك المجالات، مما ساهم دون شك في نشوب صراعات حول توزيع واستغلال المياه، الأمر الذي حتم تدخل سلطة المخزن لفضها.

1- النزاعات حول السواقي المخزنية

• نزاع حول ساقية تسلطانت:

رفضت قبيلة مسفيوة تحويل مياه واد أوريكا باتجاه الحوز الأوسط، مما نتج عنه نشوب صراع بينها وبين المخزن الذي طالبها سنة 1852م بالامتثال للأوامر القاضية بـ"الإغلاق الدوري لجميع سواقي المنبع في وادي أوريكا من أجل استخلاص الحد الأقصى من ساقية تاسلطانت، ومطالبة قبيلة مسفيوة بالإغلاق كذلك بهدف ري الجزء السفلي من تابوهنيث"¹.

وقد أكد الناصري بدوره على أهمية ساقية تسلطانت بالنسبة للمخزن، ذلك أن السلطان مولاي عبد الرحمان "لما شرع رحمه الله في غرس البستان جلب له العين الآتية من بلاد مسفيوة المسماة بتسلطانت وهي من أعذب العيون ماء وأخفها وأنفعها للبدن"²، أي أن هذه الساقية كانت المزود الأساسي لجنانات أكدال.

تجدد صراع المخزن مع قبيلة مسفيوة حول مياه تسلطانت، بحيث أن خطيب القبيلة المسمى بـ"بوخبزة"، كان -حسب إشارة بول باسكون- يحرصهم على سرقة المياه، مما اضطر المخزن إلى تأديب القبيلة غير ما مرة، واستمر هذا الصراع إلى غاية 18 شتنبر

¹- PASCON, P, T1, op.cit. P. 170.

²- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص. 14- 15.

1859م، حيث أعلن حاكم مراكش إبراهيم كراوي عن اعتقال بوخبزة " أكبر مسؤول عن المشاكل في مسفيوة هو خطيبهم بوخبزة الذي خان سيدنا...الآن تم القبض عليه وألقي به في السجن"¹.

هكذا يتضح أن المخزن عانى من تعرض بعض القبائل لحقوقه المائية في تسلطانت، وتأتي قبيلة مسفيوة على رأس هذه القبائل، بحيث أشارت العديد من النصوص المصدريّة والرسائل المخزنية إلى ترامي مسفيوة على مياه المخزن، مما دفع به إلى استخدام سلطته ونفوذه لردعها.

• نزاع حول نوبة مائية من ساقية أسكجور:

عانى المستفيدون من الإنعامات المائية من تعدي بعض المتأثرين سلبا منها، فقد تحولت الزوايا إلى أكبر متضرر من عمليات قطع وسرقة المياه من طرف القبائل التي تمر السواقي بمجالها، وكانت العزبان المنعم بها على الزوايا تتعرض للمضايقات سواء من خدام المخزن أو القبائل المجاورة لها، كما هو الحال بالنسبة للزاوية المصلوحيّة التي انتهك عزيها بمنطقة أسكجور من طرف فرع من قبيلة آيت إيمور، فرفع على إثر ذلك شيخ الزاوية المذكورة سنة 1300هـ / 1883م شكوى للسلطان المولى الحسن الأول بهدف التدخل وحل النزاع، فبادر هذا الأخير بمكاتبة القائد أحمد بن مبارك اليموري للفصال في الموضوع². ولعل مثل هذه المشاكل هي ما دفعت أحيانا بشيوخ الزوايا لمطالبة السلطان بإسداء ظهائر التوفير والاحترام على زواياهم، لأن هذه الظهائر كانت تعد تحصينا لهم من مضايقات محتملة من أعيان المخزن وكذلك القبائل.

نشبت نزاع جديد حول مياه ساقية أسكجور سنة 1884م، لكن هذه المرة بين القائد الحاج أحمد امالك وشيخ زاوية تامصلوحت محمد بن سعيد، ما دفع بالسلطان الحسن الأول إلى التدخل لفض سبب النزاع والتأكيد على الحقوق المائية للزاوية بساقية "أسكجور"، كما يظهر من نص الظهير المؤرخ في 15 جمادى الثانية 1301هـ / 12 أبريل 1884م، والذي

¹ - PASCON, P, T1, op.cit. P.171.

² - المازوني محمد، "عزبان الزوايا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر بين التفويض وسلطة شيخ الزاوية ملاحظات أولية"، مجلة أمل، الدار البيضاء، العدد 35، السنة السادسة عشر 2009. ص.8-9

جاء فيه بعد الحمدلة والصلاة المحمدية: "وصيفنا الأرضي الحاج احمد امالك وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وبعد فنأمرك ألا تتعرض على ما هو منفذ للمرابط السيد محمد بن سعيد المصلوحي بظهيرنا الشريف من نوبة ليلة الجمعة ويومها من ساقية اسكجور وألا تعود بتحريك الكلام فيها أصلا وإذا قرأت كتابنا هذا رده له يتمسك به والسلام في 15 جمادى الثانية عام 1301"¹.

• نزاع حول ساقية تمزكلفت:

احتدم النزاع بين أفراد قبيلة مجاط وأفراد من زاوية تامصلوحت حول اقتسام مياه ساقية تمزكلفت، وقد كانت الزاوية المذكورة تستغل مياه الساقية والأراضي المجاورة لها بموجب ظهائر سلطانية، فتدخل السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام سنة 1847م حيث أمر بالتوافق بين الطرفين وكتب بذلك قائلا: "يعلم من هذا الكتاب... الفصل الواقع بين الشريف حفيد الولي الأشهر مولاي عبد الله بن حسين دفين تمصلوحت... ما أنعم به عليهم أسلافنا قدسهم الله حسبما بظواهرهم في ساقية تمزكلفت وأرض الحراثة المسماة أقفاي لما طال النزاع في ذلك بين الفريقين على أن يختص الشريف المذكور وإخوانه ببلاد أقفاي المعروفة لحرانتهم ومصرف الماء المسمى بالغيطس من ساقية تمزكلفت بشرط عمارتها بالماء فان قل منها ولم يبق إلا مقدار أربعة مصاريف فيرفع مولاي سعيد وإخوانه أيديهم عنها ويتخلوا عنها لمجاط حتى تعمر بالماء وحينئذ يرجعون للتصرف في المصرف المذكور. إمضاء تاما والواقف عليه يعلمه ويعمل به"².

هكذا إذن دفع تضرر بعض الفئات جراء نقصان حصصها المائية لصالح فئات أخرى، إلى التعدي على هذه الأخيرة وفي مقدمتها الزوايا، مما اضطر المخزن للتدخل من أجل تحقيق التوافق بينها.

1- PASCON, P, T2, op.cit. P.72.

2- رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 23 ربيع الأول 1263هـ / 11 مارس 1847م، أوردها: PASCON, P,T2, op.cit. P.40.

• نزاع حول ساقية سعادة:

لم يقتصر النزاع حول تقسيم الأرض وما ارتبط بها من حقوق مائية، فقد طرح استغلال هذه الحصص المائية -على ما يبدو- جملة من المشاكل، فقد نشب نزاع حول حيازة الأرض وحصص الماء المرتبطة بها بين: حفدة سيدي عمرو بن غفير النازلين بأرض باحولي بالسويهلة، وعبدو والمنابهة وحربيل النازلين بساقية سعادة، فكلف السلطان قيادا من فرق كيش قسبة المنشية بمراكش للبت في النزاع "على ان يبينوا قدر كم عند كل واحد من المنفذين بها من الأزواج والماء"¹، فكان لمحمد الصغير بن العربي الجامعي وزير الحرب، "تسع من زوجات الحرث"²... بالإضافة إلى نوبة من ماء ساقية سعادة"³، في حين كان للطالب المهندس محمد بن محمد الجباص حق الانتفاع من نصف فردية ماء لسقي أراضيها، والمقدر مساحتها بحوالي 45 هكتارا⁴.

هكذا إذن تكون الإنعامات المائية عنصر تمييز وسبب توتر اجتماعي داخل القبائل، إذ أنها غالبا ما تؤثر سلبا على الفرق والقبائل المتواجدة سلفا في ذلك المجال، فكان أن يحدث النزاع بينهما. وقد كتب الخليفة إبراهيم المجاطي أحد قياد منطقة الحوز، مجيبا على تساؤل واستغراب السلطان من الانخفاض الكبير الذي طرأ على عدد زوجات الحرث المستخدمة في حرث الأراضي المخزنية، يقول: "وليعلم سيدنا أن الإيالة كانت متسعة في البلد والماء قبل، ولما طرأ المنتفدون، ضاق الناس في البلد والماء إلى الآن، وبسبب ذلك ارتحل جلهم"⁵.

انعكست الإنعامات المخزنية على كمية المياه التي كان يستغلها أهل المنطقة من فرق الكيش في سقي أراضيهم، قبل أن يشاركهم في الاستفادة منها هؤلاء المنتفدون (الطارئون) ممن أقطعهم السلطان الأرض والماء، وفي هذا السياق يذكر كاتب الرسالة السالفة الذكر أن الماء كان ينقسم في الماضي على نحو 20 فردية، وصار ينقسم بفعل

1- وثيقة مؤرخة بتاريخ 24 جمادى الأولى 1310/ الموافق لـ 14 دجنبر 1892م، خ ح، الرباط، ك رقم: 404. ص 35.

2- أي حوالي 180 هكتار، إذا ما قدرنا مساحة الأرض المناسبة هنا لزوج الحرث بـ 10 هكتارات.

3- الشابي مصطفى، الثابت والمتحول في تاريخ المغرب المعاصر -الواقع والتأويل-، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2009. ص 203.

4- PASCON, P, T1, op.cit. P.86- 87.

5- رسالة بتاريخ 3 صفر 1303هـ/ 11 نونبر 1885م، خ ح، الرباط، ك رقم: 94. انظر: الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج1، م.س. ص 425.

دخول المنتفذين إلى 35 فردية، أي أن الدورة المائية انتقلت من 10 أيام في الدورة الواحدة إلى 17 يوم ونصف¹، وبالتالي لم يكن هذا الأمر ليمر دون مشاكل وصراعات خاصة حينما تكون الحصص المتضررة من نصيب الأشخاص والقبائل غير المخزنية.

2- التحكيم المخزني:

شكل الصراع حول الماء أحد أوجه التدبير الاجتماعي لعنصر الماء بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، وعلى الرغم مما كانت تلعبه مجموعة من المؤسسات والأعراف والتشريعات الدينية²، فإن التنازع حول الماء ظل مستمرا، ويتجدد كلما سمحت الظروف بذلك، ولا أدل على ذلك مما ذكره صاحب الاستبصار بقوله: " إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فتعلم أنهم في أمر الماء"³، ما كان يستلزم تدخلا متكررا من الجهاز المخزني للبت في هذه المنازعات وفق منظومة من الأعراف والتقاليد المائية.

أ- بعض تدخلات المخزن:

خضع توزيع الماء داخل القبائل لأكثر من نظام، ما نتج عنه نشوب عدة صراعات تطلبت تدخل المخزن لحلها، فكان يتم ذلك غالبا عبر استصدار ظهائر سلطانية للحسم في أسباب الخلاف وإجبار الأطراف على الانصياع للأوامر المخزنية تفاديا لتطور الأمر وخروجه عن السيطرة.

1- الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج1، م.س. ص.426.
2- دفع موضوع الماء وقلته أحيانا ببعض الفئات إلى تجاوز الأعراف التي درجت على الانضباط عليها، فجاك بيرك أشار أنه كانت هناك أعراف تراعي التقسيمات السكانية على طول الوادي من الأعلى إلى الأسفل بالأطلس الكبير الغربي، وقد كان حق التصرف في المياه للأعلى أولا وما فضل منه للأسفلين بالتدريج، وفي حالة الشح وتقلص مياه الواد يتم اللجوء لعرف التصرف على وجه الخير، وذلك بأن يراعي أصحاب العالية ترك نصيب من المياه لأهل السافلة وأن لا ينفردوا بها كلها أو يحبسوها عنهم، وبالرغم من هذه الأعراف فقد نشبت نزاعات حول الماء خلال هذه الفترة. انظر:

- BERQUE Jacque, **Structure sociales du Haut- Atlas**, presses universitaires de France, Paris, 1^{er} Edition 1955. P.107-108.

- زرهوني محمد، "النزاع حول الماء الأرض و الماء بمنطقة الأطلس الكبير الغربي في ستينيات القرن التاسع عشر"، مجلة امل، العدد 9، السنة الثالثة 1997م. ص.33.

- زرهوني محمد، العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر (1863 /1280 - 1873 /1290)، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1998. ص.290-296.

3- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985. ص.152 - 153.

فعلى سبيل الذكر استقرت قبائل ايت إيمور بحوز مراكش، ولعل هذا الاستقرار أدى إلى نشوب صراع مع القبائل المجاورة وكذلك بين أفراد القبيلة نفسها حول تقسيم الأراضي وما يرتبط بها من ماء، فتدخل المخزن في شخص السلطان المولى عبد الرحمان سنة 1848م للحسم في النزاع، حيث أمر قائد ايت إيمور عله بن عبد النبي اليموري بالتقاسم العادل للأراضي وذلك بحضور **"..جميع قبيلتك عمائرها وبطونها وأفخاذها وفصائلها ويرضون منهم رجالا عقلاء... ويقتسموا فيما بينهم جميع بلادهم الكائنة خلف الواد المذكور (نفيس) وأمامه... حتى تقع التسوية بين القوي والضعيف والشريف والمشروف...ومن عين له سهمه... يتصرف فيه بجميع أنواع التصرفات من هدم وبناء وغرس"**¹.

لم تقف تعليمات السلطان عند هذا الحد بل أمر كذلك بالتوزيع العادل للحصص المائية، عبر تحديد **"ما يسقى خلف الوادي المذكور من السواقي الطالعة منه الساقية الجديدة ومصرف الناصر وخمس فرديات من ساقية أمزري وساقية تسلمت وكذا ما يسقى من السواقي أمام الوادي المذكور الساقية الجبلية.. وساقية الخندق وساقية تراكك... وبتحديد بلدكم البورية... وبشد العضد الى ان تنجزوا قسمة سائر بلادكم"**². يتضح إذن أن المخزن حرص إلى جانب منح الإنعامات المائية لقبائل الكيش على ضمان التوزيع العادل لها، وفي حالة آيت إيمور نجد أن القائد المذكور قد امتثل لأمر السلطان عبد الرحمان حسب ما أكدته الرسالة التالية: **"وصل كتابك في شأن ايقاع القسمة بين إخوانك قبيلة آيت إيمور وبوقوف أهل المعرفة والبصر على كافة حدود بلاد السواقي والبور وفقما صدر به أمرنا الشريف"**³.

¹- ظهير السلطان عبد الرحمان بن هشام مؤرخ في 8 جمادى الأولى 1264هـ/ 12 أبريل 1848م. انظر: - PASCON, P,T2, op.cit. P.142.

²- ibidem.

³- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد عله بن عبد النبي اليموري، مؤرخ في 10 ذو القعدة 1265هـ/ 27 شتنبر 1849م:

-ibid. P.143.

أصدر السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان بدوره سنة 1868م ظهيرا يقضي بحسم الخلاف القائم بين كل من قبيلة أولاد أبي السباع ودويران وسكساوة منذ 1866م¹، حين عمدت القبيلتان الأخيرتان (دويران وسكساوة) إلى قطع المياه عن قبيلة أبي السباع²، فقدم قائد هذه الأخيرة عدة شكايات للسلطان المولى محمد بن عبد الرحمان خاصة بعد امتناع القبيلتين على تنفيذ الأوامر الأولى للسلطان بتمرير مياه وادي القهرة على وجه الخير³، فأصدر السلطان على إثر ذلك ظهيرا يأمر فيه "بتفويت الخمس لأولاد بو السبع والباقي للأولين"⁴ بهدف الحسم نهائيا في هذا الصراع.

عمل المخزن أيضا على تقسيم مياه غيغاية كما جاء في ظهيري 7 ربيع الأول 1254هـ/31 ماي 1838م، وظهر 5 ذو حجة 1270هـ/29 غشت 1854م إلى قسمين متساويين أحدهما لغيغاية والآخر لسكتانة⁵.

هكذا إذن عمل المخزن على التدخل في مختلف النزاعات التي كان طرفا فيها سواء بشكل صريح أو ضمني، وذلك عبر استصدار عدة ظهائر تنشبت بها القبائل وتدلي بها عند الاقتضاء، لتأكيد حقوقها المائية المعترف بها من طرف سلطة المخزن.

ب- آليات التحكيم المخزني:

يخضع تدخل المخزن في المنازعات المائية لتراتبية تنظيمية ترتكز بالأساس على توصية قياده المحليين، بداية بالنظر في شأن النزاع وموافاته بتفاصيل الأحداث، لينظر في شأنها السلطان أو أحد أفراد السلطة المركزية من قياد كبار ووزراء وغيرهم، فيراسلون القائد بما يكون عليه الأمر، وفي حال استعصاء إيجاد حل نهائي فإن المخزن يعتمد إلى إرسال لجنة مكونة من أرباب البصر وأهل المعرفة لمعاينة المشكل وإبداء النصيحة أو

1- زرهوني محمد، "النزاع حول الماء الأرض و الماء"، م.س. ص.33-34.

2 - BERQUE,J, op.cit. P.107.

3- رسالة بتاريخ 22 ربيع الأول 1283هـ/5 غشت 1868م. زرهوني محمد، "النزاع حول الماء الأرض و الماء"، م.س. ص.34.

4 - BERQUE,J, op.cit. P.106.

5 - PASCON, P, T1, op.cit. P.200.

المشورة قبل اتخاذ القرار الحاسم، وقد يمنح السلطان أعضاء لجنة المعاينة صلاحية الحسم في المشكل.

وعموماً فإن تدخل المخزن لمعالجة المنازعات المائية لا يخرج عن طريقتين: إما توصية قادته المحليين بمعالجة المشكل وفق توصياته¹، أو إيفاد لجنة للنظر في الأمر ومعالجة المشكل، فأما الطريقة الأولى فكثيراً ما كانت تحدث عندما تقع صراعات وخلافات بين القبائل والعشائر حول الرعي والسقي والأسواق، فكان السلاطين يسعون في إصلاح ذات بينها بالنصح والموعظة²، عبر إصدار أوامر إلى قياد القبيلة المعنية، وفي حال إصرار القبيلة على غيها أمر جيرانها بالتضييق عليها، كما هو الحال حين أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عدداً من قبائل السراغنة وعشائرها بشد عضد القائد علال بن محمد الشرقاوي في التضييق على قبيلة الرحامنة التي كثر عيثها وعظمت أذيتها لمن حولها من القبائل: "وجهنا عاملكم خديمنا القائد علال الشرقي، فكونوا عند الظن بكم في تنفيذ ما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة، وكونوا يدا واحدة مع إخوانكم الساورة على ضرب الفساد الرحامنة الذين طغوا في البلاد"³.

اقتصرت المخزن في أحيان أخرى على إصدار الأوامر إلى قائد القبيلة المعنية فقط، كما هو الحال بالنسبة للقائد القرشي بن محمد الوريكي سنة 1886م، حيث أمره السلطان الحسن الأول بإصلاح ساقية تاركة التي تضررت جراء "الأكوكات" التي أقامها عليها

1- كان الجهاز التنفيذي المخزني في القبيلة يتميز ببساطته من حيث العناصر البشرية التي كان يتكون منها، غير أن هذه البساطة لم تكن تتنافى مع إجراء الأحكام والتعجيل بتنفيذها، وفي هذا الإطار تدخل سلطة القائد الممثل الأوحد للمخزن ومخاطبه في شؤونها الجبائية والعسكرية، ومن خلال ظواهر ورسائل التعيين تتبدى المهام التي كانت تناط بمنصب القائد، وعلى رأسها النظر في أمور القبيلة والسهر على تنفيذ الأوامر المخزنية. انظر:

- التوفيق أحمد، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر - إينولتان 1850-1912م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 2011. ص. 487.

- الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص. 167.

- حنداين محمد، "الزعامات المحلية بسوس في القرن الثامن عشر بين مجال الطاعة ومجال البيعة"، ندوة **السلطة المركزية والزعامات المحلية بالجنوب المغربي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 164، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1431هـ / 2010م. ص. 61.

- آيت عدي مبارك، "قيادات طاطا في عهد السلطان مولاي الحسن قيادة على بونعيلات الدوبلاي نموذجاً"، ندوة **السلطة المركزية والزعامات المحلية بالجنوب المغربي**، م.س. ص. 101.

2- جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة النائب محمد بن العربي الطريس، بتاريخ 20 ربيع الثاني عام 1304هـ / 16 يناير سنة 1887م، **الوثائق**، المجموعة السادسة عشرة. م.س. ص. 323.

3- رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى قبائل السراغنة وعشائرها، بتاريخ 13 ذو القعدة 1278هـ / 11 ماي 1862م، **الوثائق**، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الثانية، 1976م. ص. 393.

سكان الحوز، فصار "وقت ما حمل الواد يجد أكاكات متعرضين له فيسير منهم على الساقية، فتحتاج إلى الإصلاح مرتين أو ثلاثة في السنة وأكثر ما يسيل على قسمتنا فيها"¹، فامتثل القائد المذكور لأوامر المخزن القاضية بإصلاح الساقية ومنع الناس من إنشاء الأكوكات عليها.

أحيانا كان النزاع حول الماء يفوق حدود تدخل القائد، بل كان يلزم على المخزن التدخل بشكل مباشر لحل النزاع وذلك عبر إرسال لجنة من ممثلي السلطة وكذا ذوي الخبرة وهي الطريقة الثانية التي اعتمدها المخزن لمعالجة المشاكل والمنازعات المائية، حيث عمد إلى الاستعانة بجملة من عناصر جهازه التنفيذي، كالقياد والقضاة إلى جانب الاستعانة بمجموعة من ذوي الخبرة وأرباب البصر من الحرفيين وأهل الصنائع.

تدخل المخزن سنة 1868م عبر إرسال لجنة لفك النزاع الذي دار حول مياه اسيف المال بين مجاط وفروكة، بسبب محاولة فروكة السيطرة على ثلث الماء الذي كان من حق قبائل أخرى، ليطال النزاع جميع المستفيدين من الوادي وهم كالتالي: كدميو المتواجدة على وادي اسيف المال، مجاط، فروكة، ومزوضة، فأرسل السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان لجنة مكونة من عدلين عن السلطة القضائية و قائد يمثل السلطة المركزية وأرباب المعرفة يمثلون أصحاب الخبرة وبعض أعيان كل فريق من القبائل الأربعة، فأمر السلطان بناء على ما توصلوا إليه بـ "اقرار أهل اسيف المال على ثلثهم المعين لهم من قبل، من الماء المذكور على حاله من غير إدخال نقص عليهم فيه، ثم قسمت الثلثين الباقيين بين مجاط و فروكة ومزوضة أثلاثا سوية بينهم"².

هكذا إذن يتضح أن المخزن عند احتدام الصراع حول الماء لجأ إلى تشكيل لجنة لمعاينة الضرر والوقوف عليه، وكذلك اقتراح الحلول وأحيانا أخرى الفصل في الأمر، وعموما لا تخرج مكونات هذه اللجنة عما ذكر من أرباب البصر وممثلين للسلطة كالخليفة الحاج أحمد الرايس والأمين الحاج عبد السلام المقرري الذين عينا إلى جانب أحد النظار

¹- جواب القائد عن رسالة السلطان مولاي الحسن، بتاريخ 23 ذو الحجة 1303هـ/ 22 شتنبر 1886م، الوثائق، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص.288.

²- رسالة بتاريخ 4 شعبان 1285هـ/ 20 نونبر 1868م. أوردها: زرهوني محمد، "النزاع حول الماء الأرض و الماء"، م.س. ص.35.

والحرفيين خاصة منهم القنويين والرحويين العارفين بمجاري المياه، وفي بعض الأحيان انضافت بعض العناصر الأخرى إلى جانب العناصر المذكورة كالتجار¹ وغيرهم من أهل الذمة حين يكون اليهود طرفاً في النزاع حول الماء².

¹- جواب محمد بن عبد الله عن رسالة والده باشا فاس عبد الله بن أحمد البخاري، مؤرخ في 27 ربيع الأول 1301هـ/ 26 يناير 1884م، الوثائق، المجموعة الرابعة عشرة، م.س. ص.226.

²- التوفيق أحمد، م.س. ص.484.

الفصل الثاني: الجبايات المخزنية في ظل الأزمات المائية:

ارتبطت قوة المخزن -إلى جانب عوامل أخرى- بما توفر من مداخل الضرائب الفلاحية، التي كانت بدورها رهينة الظروف الطبيعية، بحيث أثر توالي سنوات الجفاف وحوادث فيضانات بشكل سلبي على بيت مال المخزن، مما سبب بلا شك عدم قدرة الناس على أداء الجبايات.

ومن المعلوم أن المغرب خلال القرن التاسع عشر عرف مشاكل مالية كانت نتيجة مجموعة من العوامل الطبيعية والعسكرية، مما فرض على المخزن سن مجموعة من الضرائب الجديدة انضافت إلى القديمة. فما أهم الجبايات المفروضة بمجموع المغرب خلال القرن التاسع عشر؟ وما مدى ارتباطها بعنصر الماء؟

1. تأثير الأزمات المائية على الجبايات في القرن التاسع عشر:

اعتمد المخزن على مصدرين أساسيين لتزويد الخزينة المالية، وهما إيرادات الجمارك والضرائب الفلاحية، غير أن قسما كبيرا من هذه المداخل خصص لتسديد كل من غرامة حرب تطوان والدين الإنجليزي¹. تزامنت هذه الوضعية مع توالي سنوات الجفاف ما بين 1800- 1894م، وما أسفرت عنه من ضعف المحاصيل، وعلى سبيل المثال فقد كانت أيام السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان (1859-1873م): "في أولها شديدة... وما عقبه من الغلاء والموت"²، والأكد أن هذا الوضع أثر على التحصيل الجبائي.

ظلت الجبايات المخزنية رهينة بالظروف الطبيعية خلال القرن التاسع عشر، ذلك أن توالي سنوات الجفاف وما أعقبها من مجاعات أدى دون شك إلى تدني المردود الفلاحي وبالتالي عدم قدرة الناس على أداء الكلف والضرائب، مما أثر بشكل سلبي على بيت مال المخزن خلال هذه الفترة.

¹- التوزاني نعيمة هراج، الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290- 1311هـ/ 1873- 1894م مساهمة في دراسة للنظام المالي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، الرباط، 1979. ص.33.

²- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص.124.

ومن جهة أخرى أثرت الأزمات المائية التي عرفت مدينة مراكش وأحوازها على البنية الديموغرافية، فغالبا ما كان القحط يرتبط بظهور الأوبئة والفتن، ما دفع الناس في بعض الأحيان إلى بيع أملاكهم أو رهنها مقابل توفير المواد الغذائية، وفي أحيان أخرى الفرار من ثقل الضرائب المخزنية، والهجرة نحو المناطق الأقل تضررا خاصة منها المراسي بحثا عن القوت، مما انعكس سلبا على ظروف الاستقرار الاجتماعي التي سعى المخزن إلى تحقيقها.

انضاف إلى العوامل السابقة الذكر مسألة اكتساح الجراد للمحاصيل الزراعية، الذي أدى إلى ضياع المحاصيل الزراعية ثم ارتفاع الأسعار فاستفحال المجاعة وحدث نزيف ديمغرافي، إلى جانب موت الدواب والأنعام، مما كان له تأثير كبير على تحصيل الضرائب بالبوادي¹.

وفيما يلي جدول بأهم الضرائب المعروفة خلال القرن التاسع عشر بمجموع البلاد، انطلاقا من نصوص المصادر والمراجع:

الجدول رقم 3: بعض الضرائب بمغرب القرن التاسع عشر.

المحصل	صفته	نوعه	انعكاساته
المكس ²	ضريبة	نقدية	اقتصادي/ اجتماعي

¹- معريش محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1989م. ص. 141-142.

²- لغة الضريبة التي يأخذها المكس، وهي ضريبة مفروضة على التجارة والأسواق وكذلك الأبواب، وعرفت تأرجحا بين رفض العامة أداءها وبين فرضها من طرف المخزن، نظرا لعجزه المالي. انظر:

- ابن منظور، لسان العرب، ج6، م.س. ص. 220.

- التوزاني نعيمة، م.س. ص. 117.

- الهروي الهادي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2004. ص. 198.

- حالي محمد، المجتمع والأزمات الديموغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر 1727-1757م مساهمة في الديموغرافيا التاريخية، منشورات كل من الناية ومحاكاة والشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2013. ص. 52-53.

هدايا الأعياد ¹	هدية واجبة	نقدية غالبا	اجتماعي
صلوات وملاقات ²	هدية	نقدية- عينية	اجتماعي
التسخير ³	عمل	عينية (أشغال)	اجتماعي
تموين الحركة ⁴	واجب	عينية- نقدية	اجتماعي/ اقتصادي
الخرص ⁵	ضريبة	عينية	اقتصادية
الترتيب الحسن ⁶	ضريبة	نقدية	اقتصادية

1- عادة معروفة ومتبعة داخل المخزن، كانت جل قبائل المغرب تلتزم بأداء هدية العيد، إذ يحضر الباشوات والقياد بأنفسهم أو يرسلوا أعيان مدنهم وقبائلهم للحضور في شكل وفود إلى العاصمة، لتقديم واجب الطاعة والهدايا المختلفة التي تكون غالبا نقدية، كان الأمناء يحددون المقدار الواجب دفعه من طرف كل قبيلة. انظر:
- داود محمد، تاريخ تطوان، الجزء 6، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، مطبعة المهدية، تطوان، 1386هـ/ 1966م. ص. 69.

- التوفيق أحمد، م.س. ص. 524

- BOURQIA Rahma, "Don et théâtralité réflexion sur le rituel du don (HADIYYA) offert au sultan au 19^e siècle", Hes-T, F.L.S.H, rabat, Vol XXXI, 1993. P.63.

2- عبارة عن نسق تقليدي يقدمها القائد إلى أشخاص مختلفين، فالصلوات: عبارة عن هدايا تقدم في أعراس الأمراء أو العمال، كما تدل الصلوات أيضا على مبالغ نقدية تقدم بأمر سلطاني لبعض الشرفاء والمرابطين. أما الملاقات: فالمقصود بها التلاقي، وذلك حين يفد أعوان فرقة معينة على القائد فهم يتلاقونه بمال أو غيره، يهدونه له من أجل تهنئته أو لإصلاح أمر ما أو تكفيرا عن ذنب معين. انظر:

- السباعي محمد بن إبراهيم، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر مولانا الحسن، الخزنة العامة، الرباط، مخطوط رقم: 12432. ص. 124.

- التوفيق أحمد، م.س. ص. 530.

- الهروي الهادي، م.س. ص. 199.

- عروب هند، "المخزن في الثقافة السياسية المغربية"، دفاثر وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الرابع، 2004م. ص. 54- 56.

3- ضريبة على شكل أعمال غير مأجور عنها، التي كان يقوم بها أفراد أو جماعات من السكان لفائدة القياد أو للمخزن كالتسخير في الزراعة وفي الرعي. التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، م.س. ص. 534.

4- عبارة عن واجب إلزامي، والعادة في ذلك أن تقدم كل قبيلة عددا معيناً من الجنود "الحراك"، إلى جانب المؤونة ويختلف المقدار المعطى حسب خصوصية كل قبيلة. انظر:

- ابن زيدان عبد الرحمان، م.س. ص. 190- 210.

- التوفيق أحمد، م.س. ص. 525.

5- عبارة عن ضريبة المراد بها تقدير الإنتاج قبل نضج الثمار، وتحديد القدر الواجب دفعه، وعملية الخرص هذه كانت تتم على يد شخصين أحدهما أجنبي عن القبيلة والآخر منتمي إليها، ومزودان بتعليمات من المخزن حول المقاييس التي يجب اعتمادها. انظر:

- مديرية الوثائق الملكية، الوثائق، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص. 425.

- الصديقي عبد الرزاق، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850- 1900، م.س. ص. 193- 194.

6- ضريبة أحدثها المخزن بهدف القضاء على الامتيازات الضريبية التي كان يتمتع بها المحميين الأجانب وبعض رجال الزوايا، بهدف التخفيف عن الناس وإزالة أسباب الجور والتعسف عبر إلغاء أفراد العمال بالجباية. انظر:

- بوطالب إبراهيم، "نازلة الترتيب"، هسبيريس تمودا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 39، 2001. ص. 34.

- التوزاني نعيمة هراج، م.س. ص. 128.

- العلوي إسماعيل بن رشيد، أثر الدولة العلوية في تقدم المغرب الحديث، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى 1950م. ص. 11.

- عروب هند، المخزن في الثقافة السياسية المغربية، م.س. ص. 56.

ذعائر تأديبية ¹	غرامة	نقدية- عينية	اقتصادي- اجتماعي
----------------------------	-------	--------------	------------------

يتبين من خلال الجدول التنوع الضريبي لمغرب القرن التاسع عشر، ويتضح كذلك أن المخزن حافظ على ضرائب قديمة وأحدث أخرى جديدة كضريبة "الترتيب"، أما في ما يخص نوع الضرائب فيلاحظ طغيان التحصيلات النقدية على نظيرتها العينية، مما انعكس على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

- الهروي الهادي، م.س. ص.203.
1- الذعيرة: هي تعويضات عينية أو نقدية كانت القبائل تؤديها للمخزن. انظر:
- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.188.
- أرنو لويس، م.س. ص.ص.32-35.
- بنطالب علي، المخزن والقبائل الضغط الجبائي وتداعياته 1894-1912، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013. ص.367.
- BERQUE, J, op.cit. P.107.
- MARTIN Alfred Georges Paul, **Quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912**, Félix Alcan, Edition la porte, Paris, 1923. P.373- 374.

II. الوضعية المالية لمغرب القرن التاسع عشر:

شهد المغرب طيلة القرن التاسع عشر عددا من التحولات السياسية، الاقتصادية والطبيعية، التي ساهمت في تأزيم الوضع المالي للبلاد¹، بدءاً بسقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي سنة 1830م وما ترتب عليه من انعكاسات سلبية على الأوضاع الداخلية للمغرب، ثم هزيمتي إيسلي 1844م² وتطوان 1860م³، حيث اضطر المغرب إلى دفع عشرين مليون ريال كغرامة مقابل الانسحاب من الأراضي المغربية⁴، إلى جانب الدين الإنجليزي وانهيار العملة المغربية⁵ نتيجة اكتساح العملة الأجنبية الإسبانية والفرنسية على الخصوص⁶، أضف إلى ذلك توالي سنوات الجفاف (1867- 1869م، 1878م، 1880-1883م...)، وما تلاها من ضعف المحاصيل الزراعية، مما كان له بالغ الأثر على المستويين الاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

انضافت إلى العوامل السابقة توقيع المغرب لعدد من المعاهدات التجارية كالمعاهدة الإنجليزية سنة 1856م⁷، التي "لم يسبق لسلطين المغرب أن عقدوا مثلها في السابق مع

1- ABITBOL Michel, **Histoire du Maroc**, Edition Perrin, Paris, 2009. P.323.

2- حول تفاصيل المعركة انظر كل من:

- De GANNIERS Arthur, **Le Maroc d'aujourd'hui d'hier et de demain**, dar al aman, Rabat, 2017. P.259.

- HARDY Georges, **Les colonies françaises -le Maroc- 1930**, Dar Al-aman, Rabat, 2013. P.57.

3- أورطيث طوماس راميريث ortiz tomas ramirez، القصر الكبير: تاريخ مغربي صغير، ترجمة عبد الرحمان الشاوش، مراجعة وإعداد محمد اخريف ومحمد العربي العسري، جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، مطبعة الأمنية، الرباط، 2011. ص.65.

4- حصل الإسبان على عشرة ملايين وتم الاتفاق على أن يستوفوا المبلغ الباقي من خلال مستفاد مراسي المغرب، فعرض أمر استيفاء ما تبقى من هذه الغرامة على العلماء وخاصة مسألة هل تفرض بقية المال على الرعية بالحوضر والبوادي على حد سواء، "وكانت فتوى مولاي أحمد العراقي صريحة في حرمة انتزاع الملايين من أيدي الرعية لما يؤدي إليه من أمرين خطيرين: الأول نفرتها عن الإمام بسبب ثقل المغرم... الثاني: أداء هذا المال نفسه من شأنه أن يقوي العدو على الزحف إلى اتجاهات أخرى من البلاد". التازي عبد الهادي، رسائل مخزنية القسم الأول، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1979. ص.29-30.

5- العلوي زين العابدين، المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ (1290-1330هـ / 1873-1912م)، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، الجزء 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2008. ص.13.

6- اكينج العربي، انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر وانعكاساته على تطور البنيات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية للبادية المغربية نموذج قبائل هضبة سايس، الجزء 1، أنفوجرانت، فاس، الطبعة الأولى 2005. ص.119.

7- أشار ابن زيدان إلى هذه المعاهدة التي عقدها محمد الخطيب مع قنصل الانجليز سنة 1273هـ / 1856م، وأسهب الحديث عن شروطها. انظر: ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج5، م.س. ص.ص. 187-190.

- Ben Sarhir Khalid, "l'impossible reforme : le programme de john drummond hay (1850-1886)", Hes-T, F.L.S.H, rabat, Vol. XXXIX, Fasc. 2 (2001). pp. 71-84.

أي دولة¹، إلى جانب عقد معاهدات مع مجموعة من الدول الأخرى التي حصلت على امتيازات تجارية بالبلاد² من بينها: إمبراطورية النمسا-هنغاريا "النبريال" سنة 1240هـ/ 1825م وأمريكا 1252هـ/ 1836م³، في محاولة لتجاوز العجز المالي للبلاد الذي وسمت به فترة القرن التاسع عشر، وقد زاد من حدة هذه الأزمة الارتفاع المطرد للواردات، التي تضاعفت قيمتها خاصة ما بين 1860-1866م⁴.

هكذا إذن أصبح المخزن المغربي خلال هذه الفترة أعزل أمام الوضعية المالية المتأزمة⁵، فما كان منه إلا أن اتجه نحو تبني بعض الإصلاحات الجبائية والعسكرية الخاصة⁶، بحيث تنبه إلى أن "الأنظمة العتيقة في الجيش وفي الدولة لم تعد مجدية إزاء التقدم الأوروبي الحديث وتكون في نفوس القادة شعورهم بالحاجة للتجديد وانتحال وسائل التقدم والنهوض"⁷. ونظرا لما تتطلبه مثل هذه الإصلاحات من أموال لجأ المخزن إلى "تنظيم إدارة المالية على أسس حديثة، وذلك بإقرار الرواتب لموظفي الجبايات، ومنعهم

- بوكبوت محمد، "مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الأمين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر"، هسبيريس تمودا، العدد 40، (2005) ص.50.

1- انظر:

- القبلي محمد، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2011. ص.467.

- التمساني خلوق عبد العزيز، "التدخل الأجنبي في التشريع الجمركي في المغرب القرن التاسع عشر مثال قضية "الزيادة" في الحقوق المفروضة على الكزبرة (1896-1898)"، مجلة دار النيابة، العدد الثالث، 1984، ص.51.

2- حيمر عبد السلام، "عصر التنظيمات الحديثة المغربية من خلال كتاب "الإتحاف""، مجلة بصمات، جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الخامس، 1990. ص.312.

3- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج5، م.س. ص.ص. 203-218.

4- MIEGE, J, Le Maroc et l'Europe (1830-1894), T2, presses universitaires, France, 1961. P.506.

5- انعكس تردي الأوضاع الاقتصادية بشكل عام على التطور الاجتماعي للبلاد، انضاف إلى ذلك توالي سنوات الجفاف. انظر: عياش جرمان، "حول الإصلاح بالمغرب في القرن التاسع عشر"، مجلة دار النيابة، العدد الأول، 1984. ص.14-15.

6- سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، المطبعة الملكية، الرباط، 2000م. ص.ص. 147-150. انظر كذلك:

- ABITBOL Michel, op.cit. P.357

7- إن هزيمة إيسلي سنة 1844م أفقدت المخزن هيئته العسكرية فلجأ إلى تحديث الجيش واستيراد الأسلحة، مما أدى إلى تفاقم الأزمة المالية للمخزن. انظر:

الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة السادسة 2003م. ص.97.

- HANDAINE Mohamed, Anti-atlas histoire et société de l'Adrar N Lkst Illalen, Bouregreg, Rabat, premiere Edition 2009. P.55.

من التعاطي للتجارة في المراسي الواقعة تحت نفوذهم"¹، إلى جانب فرض ضرائب جديدة لتغطية العجز المالي، وموازنة الطلب الأوروبي المرتبط بالظروف الاقتصادية والعرض المغربي الخاضع للمخاطر المناخية².

¹- حيمر عبد السلام، م.س. ص.310.

²- كانت معظم منتجات البلاد سنة 1829م تخضع لرسوم جمركية مرتفعة، ازدادت قيمتها على الحبوب خاصة سنة 1839م. انظر:

III. التحصيل الجبائي بين الأزمات المائية وردود الفعل القبلية:

كان الماء ركيزة أساسية في تشكيل موقف الناس تجاه التحصيل الجبائي، وكثيرا ما وقف عنصر الماء وراء غضب الناس من فلاحين وتجار وغيرهم، ذلك أن السياسة الضريبية المخزنية كانت تثقل أعباء العامة سنوات الجفاف، لكن بالرغم من ذلك فقد كانوا ملزمين بأداء الكلف المخزنية.

وتجدر الإشارة إلى أن الجبايات المخزنية لم تسر على كل القبائل، وذلك حسب ما ورد في بعض الدراسات التي استحضرت ثنائية "بلاد المخزن" و"بلاد السيبة"¹، فمحمد شقير مثلا يرى أن المحدد الأساسي لبلاد المخزن والسيبة هو المعيار الضريبي²، ففي بلاد المخزن فقط يتم دفع الضرائب من قبل السكان³، وفي نفس الاتجاه أكدت هند عروب أن السياسة الجبائية لم تكن تسري إلا في ما يسمى ببلاد المخزن، حيث تكون القبائل خاضعة خضوعا تاما، بينما ظلت القبائل "السائبة" بعيدة عن ضغوطات السياسة الضريبية، حيث أن "الامتدادات المحلية للمخزن السلطاني - ببلاد السيبة- لم تقم له قائمة"⁴، باستثناء السلطة الروحية أو الرمزية للسلطان⁵، أما ثريا برادة فقد أشارت إلى أن الضرائب عموما تختلف باختلاف درجة خضوع القبائل ووصول نفوذ المخزن وتمكنه منها، ذلك أن القبائل التي لا يصلها النفوذ المخزني إلا من خلال قياد السهول تكتفي بأداء الزكاة والأعشار بصفة غير منتظمة أو بهدية من حين لآخر، عكس القبائل الخاضعة للنفوذ المخزني والتي تخضع لأداء مختلف الضرائب⁶.

¹-BEN ALI driss, **Le maroc précapitaliste formation economique et sociale**, société Marocaine des Editeurs réunis, Rabat, 1972. P.67- 68.

²- شقير محمد، **تطور الدولة في المغرب - إشكالية التكوين والتمركز والهيمنة-** من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006. ص.259.

³- DE GANNIERS, A, op.cit. P.95.

⁴- عروب هند، م.س. ص.60.

⁵- انظر:

- روس إدان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912**، ترجمة عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006. ص.51- 52.

- أكنوش عبد اللطيف، **تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بدون تاريخ. ص.25.

⁶- برادة ثريا، **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997. ص. 140- 141.

انعكست الظروف المناخية بشكل مباشر على بيت مال المخزن في وقت كان فيه بأمس الحاجة للمال، فما كان منه إلا أن رفع من قيمة الضرائب المحصلة لتغطية عجزه، وعلى سبيل الذكر ازدادت قيمة الهدية في عهد السلطان الحسن الأول عما كانت القبائل تدفعه أيام والده السلطان محمد بن عبد الرحمان¹، وكان المخزن يلزم القبائل بدفع هذه الزيادات أو يمهّلها أحياناً إذا كان هناك توالي للسنوات الجافة.

تعتبر ضريبة المكس على رأس المحصلات التي عبر الناس عن رفضهم لها في العديد من الأحيان، خاصة مع توالي سنوات الجفاف، ومن الملاحظ أن المصادر المغربية خصت موضوع إسقاط المكس بنوع من الاهتمام، ذلك أن اليوم الذي أزال فيه المولى الحسن الأول ضريبة المكس (1300هـ / 1883م) "نزل مطر غزير من السماء وكذلك في الغد والحمد لله ببركة طهارة الله لعباده من نجاسة المكوس بعدما كان الناس في وقفة عظيمة من قلة الأمطار"².

لقي الترتيب بدوره معارضة من طرف بعض الفئات، بالرغم من أن هذه الضريبة اتخذت مساحة الأرض وعدد رؤوس الماشية والأشجار المثمرة كمعيار للتحصيل الجبائي³، مما كان يقتضي القيام بعمليات إحصائية "وأحصيتم جميع ما بالقبيلة من النفوس والمواشي والمزارع والأشجار"⁴، بغية تحديد القيمة التي يجب دفعها بالنسبة لكل شخص وتجنب عملية التقدير، إلا أن بعض القياد والعمال رفضوا دفع هذه الضريبة، بل ومنعوا الأمناء من القيام بعمليات الإحصاء، وهذا ما يستفاد مثلاً من جواب للسلطان الحسن الأول لشيوخ أمناء الخلط يشدد عليهم في إحصاء ممتلكات عامل وأقاربه على وجه الإلزام، فكتب

1- التوفيق أحمد، م.س. ص. 524.

2- بوجندار محمد بن مصطفى، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطابع الأطلس ش.م، الرباط، 1987. ص. 256.

3- الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج 1، م.س. ص. 203.

4- رسالة من السلطان المولى الحسن إلى القائد محمد بن بوشعيب الخلفي، بتاريخ 24 رمضان عام 1306هـ / 24 ماي سنة 1889م، م.و.م، الوثائق، المجموعة الثامنة عشر، م.س. ص. 100.

يقول: "وأما امتناع من ذكرتم من إحصاء متاعهم فلتحصوه ولا بد لأننا لم نبق فرقا بين المسلمين في ذلك على مقتضى ضوابط الترتيب"¹.

ونظرا لإحساس بعض السلاطين العلويين بمدى الأثر الذي خلفه تردد السنوات الجافة على الناس والفلاحين منهم على وجه الخصوص، فإنهم في أحيان كثيرة كانوا يترددون في فرض الضرائب أو يعمدون إلى إلغائها أحيانا أخرى²، مراعاة منهم لإكراه الطبيعة ورفقا بالناس وكذا تجنباً لإثقالهم بالضرائب في ظل هذه الأزمات المائية³.

وبالرغم من تعاقب سنوات الجفاف على البلاد فإن المخزن لم يتخل عن تحصيل الضرائب نظرا لوضعه المالي المتأزم، كما لجأ كذلك إلى نهج سياسة الغرامات المالية، تجاه القبائل المتمردة على سياسته الضريبية، ففرض على متجاوزي القانون الضريبي أداء مبالغ مهمة، كأن يغرم صاحب الأرض بواجب مضاعف يؤديه للمخزن⁴ إن هو باشر الحصاد قبل القيام بعملية الخرص، وبهذا تكون هذه الغرامات مصدر تمويل إضافي بالنسبة

1- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى أمناء وشيوخ الخلط، مؤرخة في 14 ربيع الثاني عام 1302 هـ، م.و.م، الوثائق، المجموعة الثامنة عشر، م.س. ص.300.

2- هكذا نجد أنه بعدما أسقط المولى سليمان ضريبة المكس بداية عهده سرعان ما عاد للعمل بها سنة 1810م، وهو نفس الأمر الذي سار عليه المولى عبد الرحمان فمباشرة بعد مبايعته "ابطل المكس وسكنت قلوب الرعية وحصل لهم الامن في انفسهم واموالهم"، غير أنه أعاد توسيع مجال هذه الضريبة ليشمل البيهائم أيضا خلافا للقائم قبله، أما المولى محمد بن عبد الرحمان فعمم ضريبة المكس سنة 1861م بعد هزيمة تطوان، - بهدف تسديد غرامة الحرب-، وعلى الرغم من أن بيعة المولى الحسن الأول جاءت مقرونة بإلغاء المكس إلا أنه بادر إلى ترتيب مكس سماه الوظيف، ولم يكن بإمكانه إلغاء هذه الضريبة إلا بعد تسديد غرامة حرب تطوان سنة 1300 هـ/ 1883م، حيث تخطى عن تحصيل مكس أبواب المدن والقرى، "كانت تؤديه العامة على أحمال السلع والتجارات من المكوس". انظر:

- مجهول، الإبتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، مخطوط رقم: 593. ص.17.

- الناصري، م.س. ص.179

- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.ص. 126 و 134 و 154.

- التوفيق أحمد، م.س. ص.504.

- القبلي محمد، م.س. ص.493

- نجيد محمد، "مفهوم المكس بالمغرب في القرن التاسع عشر"، ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995. ص.ص. 227- 228.

- اكنينج العربي، انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر، ج1، م.س. ص.162.

3- انظر:

- Ben Ali,D, op.cit. p70.

- ضريف محمد، مؤسسة السلطان الشريف بالمغرب محاولة في التركيب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988م. ص.ص. 23- 25.

4- الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص. 193- 194.

للمخزن، ساهمت إلى جانب الضرائب الأخرى في الحد من استفحال الأزمة المالية بمغرب القرن التاسع عشر.

عمل المخزن في بعض الأحيان على تأجيل تحصيل الضرائب إلى السنوات ذات المحصول الجيد¹، وهو ما عبرت عنه بعض الرسائل السلطانية كتلك التي أمر فيها السلطان الحسن الأول عمال السهول "باستيفاء الباقي على اخوانهم من زرع خرص الاعوام الفارطة المغياة بالعام 1303 المنسلخ المبين يمنتته بنوعيه، ودفعه لك..."². وفي رسالة أخرى يضيف " فقد قدمنا لكم أمرنا الشريف، بدفع ما ترتب بذمتكم من الواجب عن السنين الماضية"³، ففي سنة 1884م طالب المخزن كافة القبائل بدفع واجب سنتين دفعة واحدة، ذلك أن سنة 1883م كانت سنة قليلة المحاصيل فأجل المخزن دفع واجبها إلى السنة الموالية⁴.

وفي بعض الأحيان كان المخزن يأمر بالتخفيف من قدر الضرائب خلال السنوات الجافة، كما حدث مع إحدى قبائل الغرب سنة 1851م، حيث أمر السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ابنه المولى محمد بالتخفيف على هذه القبائل لأن: "حال القبيلة كما شرح، فمن كان عنده نصاب شرعي من زرع وماشية فليطالب بها، على قدر ما عنده، ومن ليس عنده نصاب، فلا يطالب بشيء على هذا يكون العمل في شأنهم... لأن تلك النواحي كلها هذا العام ضعيفة"⁵.

وفي أحيان أخرى كانت القبائل تستعطف السلاطين، من أجل إعفائهم من أداء بعض الضرائب، حيث أن قائدا من أعراب سايس كتب للسلطان الحسن الأول في موضوع التخفيف من الجبايات المفروضة على قبيلته بعدما تراكمت عليها " الكلائف من دفع الأعشار والتبن، خدمة الدوم وتقويم الواجب عليها... فأجل القبيلة ضعيف، لا شيء

1- التوفيق أحمد، م.س. ص. 543.

2- رسالة من السلطان مولاي الحسن الى عامل سلا محمد بن سعيد السلاوي، مؤرخة في 2 رجب 1304هـ/ 26 مارس سنة 1887م، م.و.م، الوثائق، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص. 425.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى قياد المزارعة من قبيلة زعير، مؤرخة في متم شوال عام 1304هـ/ 21 يوليوز 1887م، نهليل محمد، رسائل شريفة، إعداد وتقديم الجيلالي العدناني وعبد الرحيم بنحادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى 2013. ص. 160.

4- الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص. 191.

5- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج5، م.س. ص. 90.

بيدهم، وقد لحقت الجميع المصرة. فإن أناسا توجهوا لدخول العسكر السعيد، وأناسا إخوانهم وقع فيهم الفرار"¹.

وعلى العموم ظل السلوك الجبائي للمخزن في حالة إخضاع القبائل أو إعفائها المؤقت من بعض الضرائب محكوما بالمنطق السياسي² والاقتصادي والاجتماعي وكذلك الطبيعي غير أنه يمكن الإقرار بالفشل الضريبي للمخزن طيلة القرن التاسع عشر³ كنتيجة للأزمات المطرية من جفاف وسيول وفيضانات في بعض الأحيان، وما ترتب عنها من ردود فعل مختلفة تمثلت أساسا في رفض أداء الضرائب التي أثقلت كاهل العامة خلال هذه الفترة، وهو ما انعكس على خزينة المخزن التي ظلت تعاني من العجز المالي⁴.

¹- رسالة من القائد محمد بن الطيب الدخيسي إلى السلطان الحسن الأول مؤرخة في 4 جمادى الأولى 1305هـ/ 18 يناير 1888م، خ.ح، الرباط، محفظة ح رقم:153.

²- جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011م. ص.151-152.

³- انظر: - زين العابدين، المغرب من عهد السلطان الحسن الأول، ج1، م.س. ص.ص.204-205. - القبلي محمد، م.س. ص.493.

- التوزاني نعيمة هراج، م.س. ص.189.

⁴- القبلي محمد، م.س، ص.496.

الفصل الثالث: الأزمات المائية والتدابير المخزنية بمجال حوز مراكش خلال القرن

التاسع عشر

كانت الفلاحة في المغرب وهي النشاط الاقتصادي الأساسي لسكانه خاضعة لتقلبات المناخ، وبالنظر إلى عتاقة الوسائل المستعملة في العمليات الزراعية من جهة وفقر التربة من جهة أخرى، فإن السنوات الجيدة لم تكن تترك فائضا يكفي لمواجهة سنوات الجفاف، مما جعل شبح المجاعة يهدد باستمرار وعلى وجه الخصوص البوادي.

1. الأزمات المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر:

اتسم مغرب القرن التاسع عشر بتوالي الأزمات المائية، ولتوضيح المقصود بمصطلح "أزمة مائية" تم الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وفي مقدمتها لسان العرب لابن منظور، وفيه نجد أن الأزمة لغة مشتقة من فعل أزم يأزم أزمًا، والأزم: الجذب والمحل (شدة الجفاف)، والأزمة الشدة والقحط¹، نفس الأمر أكده الفيروزآبادي من بعد بقوله: "سنة أزمة (بالفتح) شديدة، والأزمة هي الأكلة الواحدة والشدة"². هكذا إذن عرفت المعاجم اللغوية الأزمة بالقحط والجفاف كأحد المعاني التي تدل عليها هذه الكلمة، وبالتالي يمكن التأكيد على أن المقصود بالأزمة المائية هو الجفاف وشدة القحط كمظهر من مظاهر انحباس المطر وقلة الماء.

عرفت مدينة مراكش وأحوازاها بدورها أزمات مائية شديدة ومتوالية طيلة القرن التاسع عشر، وقد اكتست هذه الأزمات مظاهر متعددة، بدءا بالقحط الشديد الذي خلف محاصيل رديئة انعدمت بفعلها الأقوات فوقت المجاعات وتفشت الأوبئة³، وتعد سنة

¹- ابن منظور، م.س. ص. 16-17.

²- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م. ص. 53.

³- إن كلمتي الوباء والطاعون ليس لهما معنى دقيق في تاريخ المغرب عموما، بحيث سميت بهما جل الأمراض التي أصابت المغاربة، وعموما فكلمة الوباء أو الوبا تعني الطاعون، وقيل هو كل مرض عام، أما مفهوم الوباء في المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى فيشير إلى أن الناس اعتادوا ترديد كلمة الوباء "على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وشمل أكثرهم، وخاصة أن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه" انظر: ابن منظور، م.س. ص. 197.

ابن زهر الأندلسي عبد الملك، كتاب الأغذية، تحقيق اكبيراتيون غارتيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، 1992. ص. 143.

1878م أكثر السنوات قحطا ومجاعة انتشر فيها كذلك وباء التيفوئيد، حيث هلك العديد من الناس بمن فيهم كبار خدام المخزن كالحاجب موسى بن أحمد¹. فما هي أهم الأزمات المائية التي عرفها حوز مدينة مراكش خلال القرن التاسع عشر؟ وفيما تجلت مظاهرها؟ وما هي أهم النتائج التي أسفرت عنها؟

سنقف عند جل الأزمات المائية بمراكش وأحوازها خلال الفترة المدروسة اعتمادا على الإشارات المصدرية سواء منها تلك التي أشارت إلى أحواز المدينة أو تلك التي طالت مجموع المغرب، حيث اعتبرنا كلمة جميع البلاد تهم كذلك مجال الدراسة، محاولين إبراز مظاهر الأزمة المائية من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 4: الأزمات المائية بمراكش وأحوازها خلال القرن التاسع عشر.

الأزمة	طبيعتها	المدة	المجال	المصدر
1799- 1800	جفاف	سنتين	مراكش	الضعيف محمد، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986م. ص. 314. مجهول، الابتسام، م.س. ص. 5.
1807- 1808	جفاف	سنتين	مراكش	الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، م.س. ص. 340.
1817- 1818	جفاف	سنتين	جميع البلاد	الدكالي محمد بن علي، الاتحاد الوجيز تاريخ العدوتين، تحقيق مصطفى بوشعراء، سلا، منشورات الخزنة الصبيحية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الثانية 1996م. ص. 128.
1824	فيضانات	سنة واحدة	-	مجهول، الابتسام، م.س. ص. 79-80.
1847- 1851	جفاف	خمس سنوات	جميع البلاد	MIEGE, J, T2, op.cit. P.39.
1864	جفاف	سنة واحدة	مراكش	MIEGE, J, T2, op.cit. P.503
1867-	جفاف	ثلاث سنوات	جميع البلاد	ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، إتحاف المطالع

¹- الشابي مصطفى، النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر، م.س. ص. 151.

1869				بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع 1171-1400هـ / 1756-1980م، الجزء 1، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997. ص.235.
1878	جفاف	سنة واحدة	جميع البلاد	الناصرى، م.س. ص.164.
1880-1883	جفاف	أربع سنوات	المناطق الجنوبية	رسالة من مولاي الحسن إلى قائد أكادير الحاج عمر بن سعيد المتوكي، بتاريخ 16 جمادى الثانية 1297هـ / 26 ماي 1880م. م.و.م، الوثائق، المجموعة الثالثة، المطبعة الملكية، الرباط، 1976م. ص.497.
مارس 1886	البرد	ساعتين	مراكش ونواحيها	الناصرى، م.س. ص.182.
1890-1894	فيضانات	أواخر شهر دجنبر سنة 1892	نواحي مراكش والمناطق الجنوبية	رسالة بتاريخ 20 شوال 1310هـ / 07 ماي 1893م، م.و.م. الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

نستنتج إذن أن مجال حوز مراكش قد شهد طيلة القرن التاسع عشر سلسلة من الأزمات المائية تمثلت أساسا في الجفاف. فكيف انعكست هذه الظواهر الطبيعية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمجال؟

II. الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للأزمات المائية بحوز مراكش:

عرف مجال مدينة مراكش وأحوازاها سنوات جفاف دورية طويلة القرن التاسع عشر، غير أن بعض هذه السنوات كانت ذات وقع شديد على الأوضاع العامة للبلاد، بحيث ساهمت عدة عوامل طبيعية في تعميق حدة الأزمات المائية التي عرفها مجال حوز مراكش، وعلى رأسها اكتساح الجراد للمزروعات وظهور الأوبئة، وفيما يلي جرد لهذه العوامل:

جدول رقم 5: انعكاسات الأزمات المائية والعوامل المساهمة في تعميق حداثها.

سنة الأزمة	عوامل طبيعية مساعدة	نتائجها
1800-1799	الطاعون	شهد المغرب منذ مطلع القرن 19م أزمة جفاف كانت وراء ظهور الطاعون ¹ ، أو ما سماه صاحب الابتسام بالطاعون الكبير ² " وفي أيامه (المولى سليمان) حدث الطاعون الكبير فعم البوادي والأمصار وختل بسببه الخيام والديار" ³ ، ويضيف الضعيف حول انتشار الطاعون في المناطق الجنوبية حينما خرج السلطان من الصويرة قاصدا " مراكش فصادف فيها وباء عظيما. وارتحل السلطان من مراكش وذلك يوم الخميس 7 من

¹- يضيف الباحث دجاسون أن الطاعون كان يضرب المغرب "مرة كل عشرين سنة: وقد كانت الزيارة الأخيرة لسنة 1800-1799 هي الأكثر فتكا من أي وقت مضى" انظر:

Jackson, James Grey, **An account of the empire of Marocco and the districts of Suse and Tafilalt : to which is added an account of shipwrecks on the Western coast of Africa and an interesting account of Timbuctoo, the great emporium of Central Africa, pall-mall, london, 1809. P.187.**

²- للتوسع أكثر حول الموضوع انظر: بجيت كريم، "الرحلة بين النص والوثيقة: صورة طاعون سنتي (1800-1798) ومخلفاته في رحلة جيمس غري جاكسون"، كنانيش الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، جامعة محمد الاول، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة، العدد 3، 2001، ص.68.

³- وفي ما يخص مصدر هذا الطاعون فنجد رونو يرجعه إلى دخول الحجاج عبر الطريق البحري، وذلك في صيف 1799. انظر:

Renaud H.P.J, "La Peste de 1799 d'après des document inédits", Hes, vol 1, 1921, P.162.

³- مجهول، الابتسام، م.س. ص.5. انظر كذلك: حدادي أحمد، م.س. ص.37.

		صفر عام 1214، وقصد السلطان دكالة فوجد عاملها قد مات وهو الحاج الهاشمي العروسي الدكالي ¹ .
1817-1818	الطاعون الجراد	ترك هذا الطاعون خرابا كبيرا، ستستغرق البلاد سنوات طويلة نسبيا للتعافي من مخلفاته ² . حسب ما أشار إليه صاحب الابتسام في سياق حديثه عن ضحايا وباء 1819م بقوله " جراد عم جميع البلاد فأفسد على الناس زروعهم وثمارهم وغلت بسببه الأسعار" ³ .
1864	الوباء (الكوليرا)	"هجوم الكوليرا الحاد لعام 1865" ⁴ .
1867-1869	الوباء الجراد	" وقد ضرب الوباء الضعفاء على وجه الخصوص إلا أن الأغنياء لم يبقوا بمنجى. فقد فتك الوباء بنجل السلطان مولاي أحمد" ⁵ . ظهر وباء آخر في بداية شتنبر 1869، بدأ "بقريتين إحداهما في عبدة والأخرى في قبيلة أولاد جرار بسوس. ومن هذين المركزين انتشر في جهات أخرى، في آيت باعمران وآسفي والدار البيضاء، وقد اعتقد الأهالي أن الأمر يتعلق بعودة الكوليرا... ساعد على ظهوره الجفاف والجوع. مهما يكن، فإن الوباء كان فتاكاً، وكان البعض يموت به في بضع ساعات من الإصابة، والبعض الآخر بعد يومين أو ثلاثة أيام" ⁶ . "وفي سنة ثلاث وثمانين وألف كان بالمغرب جراد سد الأفق

1- ويضيف الضعيف قائلا أنه في "يوم الثلاثاء 9 ذي الحجة عام 1213 توفي ولد أخينا وهو عبد السلام بن أحمد رحمه الله وتوفي ولدي محمد ليلة الثلاثاء 23 من ذي الحجة عام 1213 بالطاعون وفي 14 من الشهر المذكور توفيت أمه" انظر: الضعيف، م.س. ص.315.

2- MIEGE, J, T2,op.cit. P.22.

3- ارتفعت أسعار الزرع نتيجة الجفاف الذي ضرب المغرب سنة 1817م، إلى جانب عامل آخر وهو سماح المولى سليمان سنة 1817م بتصدير القمح إلى فرنسا، فارتفعت أثمان القمح بـ 50% على الأقل، وبلغت ما يناهز 22 أوقية للمد الواحد مقارنة مع ثمنها وقت الرخاء والذي تراوح بين أوقيتين وأربع أواقي، وفي شهر شتنبر من نفس السنة (1817) بلغ سعر المد من القمح 26 أوقية، وبهذا السعر لم يعد اقتناء الحبوب في متناول الناس. انظر:

- مجهول، الابتسام، م.س. ص.5.

- الشابي مصطفى، "جائحتي المجاعة والوباء في مغرب القرن التاسع عشر"، ضمن ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، جامعة شعيب الدكالي الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد 4، 2002. ص.331.

4 - MIEGE, J, T2,op.cit. P.509.

5- رسالة من موسى بن أحمد إلى الحاج محمد بنيس، بتاريخ 1 ربيع الأول 1285هـ/ 21 يونيو 1868م. نقلا عن البزاز محمد الأمين، م.س. ص.218.

6- نفسه، ص.230.

		وذلك في ربيع الأول الموافق لشهر مارس العجمي فأكل النجم والشجر، ثم عقبه فرخه المعروف بآمراد فأكل كل خضراء على وجه الأرض، واستلب الأعواد من أوراقها وقشرها من لحائها، وفاض في الأمصار حتى دخل على الناس في بيوتهم" ¹ .
1878	التيفوئيد	بدأ الوباء (التيفوئيد) بمراكش في نهاية 1878م، وخلف بها ما بين 200 إلى 300 ضحية في اليوم، ثم بعد ذلك اكتسح مجموع البلاد مع بداية سنة 1879م مخلفا خسائر كبيرة تفاوتت درجة خطورتها بتفاوت المستوى الصحي والمعيشي للسكان ² . أشار الناصري إلى هذا الوباء قائلا "وعقب ذلك الجوع، ثم الوباء على ثلاثة أصناف، ... ثم كان الموت بالجوع في أهل البادية خاصة هلك منهم الجم الغفير، وكان إخوانهم يحفرون على من دفن منهم ليلا ويستلبسونهم من أكفانهم... وبعد هذا كله حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم فهلك منهم عدد كثير" ³ .
1883-1880	الوباء	انتشر الوباء في جميع المدن خاصة مراكش ومكناس والرباط، واستمرت أضراره حتى سنة 1883م ⁴ ، وهو ما أشارت إليه إحدى الرسائل، نصها كالتالي: "لا زال أثر المسبغة ظاهرا في الناس خصوصا في أولئك القبائل المجاورين للثغر الآسفي الذي بلغت فيهم المسبغة حدها ولا زالوا منجلين عن بلاداتهم في طلب ما يتعيشون به إلى الآن" ⁵ .
1894-1890	وباء الجدري	تفشى وباء الجدري الذي ظهر أول الأمر بمدينة الصويرة منذ أواخر سنة 1891م، وقد ارتفع عدد الضحايا بها من 3 ضحايا إلى 15 ضحية في اليوم، ومنه انتشر إلى مراكش وسوس ⁶ .

1- الناصري، م.س. ص. 119.

2- البزاز محمد الأمين، م.س. ص. 274.

3- ومن جملة من هلك بهذا الوباء يضيف الناصري قائلا: "ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين وألف فكان في أوائلها موت الناس بالحمى .. فمات في المحرم منها الوزير الأعظم أبو عمران موسى بن أحمد". الناصري، م.س. ص. 164-165.

4- البزاز محمد الأمين، م.س. ص. 260.

5- نفسه.

6- أشار المختار السوسي إلى هذا الوباء (1315هـ) من خلال ذكره خبر وفاة والد الفقيه المانوزي. السوسي محمد المختار، المعسول، ج 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1960. ص. 196.

حسب ما أشارت إليه رسالة بعث بها أمناء القائد الحسن النكفاني إلى السلطان مولاي الحسن، يرفعون فيها إلى علمه ما أصابهم من ضرر بسبب تكاثر الجراد في بلادهم: "بيد أن الجراد قد أعطاه الله بالكثرة وهي تمر علينا ما يزيد على ثلاثة أشهر، ولا زالت الآن تمر، حتى أكلت كل ما نبت على وجه الأرض.. وسمعنا ممن كبر وعقل من إخواننا أنهم ما شهدوا من الجراد مثل هذا"¹.	الجراد	
--	--------	--

هكذا إذن ساهمت عدة عوامل طبيعية في تعميق حدة تأثير الأزمات المائية التي شهدتها مدينة مراكش وأحوازا طيلة القرن التاسع عشر، فنلاحظ أن ظهور الأوبئة بدأ بطاعون 1799-1800م الذي خلف خسائر كبيرة ديمغرافيا واقتصاديا، ثم ضياع المحاصيل جراء اكتساح الجراد ما بين 1817 و1818م، واستفحال المجاعات والأوبئة سنوات 1824 و1847-1851م، وإذا كانت هذه بداية القرن فإن كل الفترات الأخرى على امتداده لم تسلم من مثل هذه النكبات والتي ذكر الناصري بعضها منها خلال سنوات: 1867-1869م و1878م، حيث شاع الجراد، المجاعات والأوبئة²، مما انعكس دون شك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية و ترجم في ارتفاع الأسعار وهلاك الناس.

1- المظاهر الاقتصادية:

انعكست الظروف الطبيعية المتمثلة أساسا في توالي سنوات الجفاف وما ارتبط بها من أوبئة على الأوضاع الاقتصادية بمجموع البلاد، وهو ما ترجم أساسا في ارتفاع الأسعار وتراجع المداخل التجارية، فكلما قلت الأقوات ارتفعت أسعار المواد الغذائية خاصة الحبوب، وهو ما أشار إليه صاحب الابتسام عقب أزمة 1824م بقوله: "ثم رجع الوادي وفي هذه السنة حدث غلاء شديد بلغ في جميع كور المغرب"³.

¹- رسالة من أمناء القائد الحسن النكفاني إلى السلطان مولاي الحسن، بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1308هـ/ 26 يناير سنة 1891م. الوثائق، المجموعة التاسعة عشرة، م.س. ص.37.

²- الناصري، م.س. ص.119.

³- نفسه، ص.79-80.

- تأثير الأزمات المائية على أسعار المواد الغذائية:

تعتبر سنة 1850م سنة المجاعة الكبرى، بحيث أدى توالي سنوات الجفاف خلال أزمة 1847-1851م إلى ارتفاع أسعار الحبوب لأثمنة ربما لم تصل إليها من قبل في المغرب¹، وهو الأمر الذي أكدّه السوسي بقوله "وصار الغلاء الكثير في الحبوب في الزرع الثمار وسائر ما يوكل... وصار الزرع وسائر الحبوب باثني عشر موزونة لكل مد... واشتد الجوع على الناس"²، فتقلصت مداخل التجارة الخارجية للمغرب سنة 1864م إلى أدنى مستوى عرفته خلال العقد السادس من القرن التاسع عشر، بحيث أدى الجفاف إلى ضعف المحاصيل خاصة بالمناطق الجنوبية، فهلك ثلث الماشية وارتفعت أسعار الأقوات، وانتشر البؤس في كل من الرباط، فاس ومراكش³، ونفس الأمر تكرر مرة أخرى عقب أزمة 1867-1869م حيث وصل سعر المد من القمح حوالي 43 أوقية "وفي ذلك العام (1283 هـ) ارتفعت الأسعار إلى أن وصل القمح عندنا بفاس إلى ثلاثة وأربعين أوقية للمد... ولم يحرث الناس إلى الليالي لأن المطر حبس علينا"⁴.

كان من الطبيعي ارتفاع أسعار المواد الغذائية وخاصة الحبوب خلال أزمة 1878م وهي السنة الأشد خطورة خلال القرن التاسع عشر، ويكمن ذلك في عاملين رئيسيين: أولهما احتكار الحبوب من طرف التجار وتخزينها، وثانيهما الانهيار النقدي بحيث كان الريال يصرف بفاس بـ 53 أوقية، وبمراكش بـ 63 أوقية، -وقد وجد التجار في هذا الفرق فرصة للربح-⁵، وبالتالي ارتفعت الأسعار إلى حد تعذرت معه سبل العيش على السكان، وهو الأمر الذي أكدّه الناصري بقوله: "قلت الفلوس بمراكش وتقاعد الناس عليها لما

¹ - MIEGE,J, T2, op.cit. P.39.

² - السوسي، المعسول، ج 15، م.س. ص.10.

³ - MIEGE,J, T2, op.cit. P.503.

⁴ - ابن سودة، م.س. ص.235.

- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى القائد محمد بن عبد الكامل السبيطي، بتاريخ 23 من الربيع النبوي عام 1282 هـ، نهليل محمد، م.س. ص.58.

⁵ - انظر:

- أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، الطبعة الأولى 1988. ص.230.

- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للنشر المتحدين، الرباط، الطبعة الأولى 1986. ص.100.

فيها من الربح وتعطل معاش الضعفاء بذلك ولحق الناس ضرر كثير، فكان الرجل يطوف بالبسيطة والريال في الأسواق فلا يجد من يصرفه له ولا يتأتى له أن يشتري من ضروريات معاشه ما قيمته أقل من بسيطة"¹،

أشار الضعيف بدوره إلى جفاف 1878م وما ترتب عنه من ارتفاع للأسعار بقوله: "وفي صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوال عام خمسة وتسعين ومائة وألف كسفت الشمس وكثر الهرج ووقعت يبسة في الزرع الأخضر وصلوا صلاة الإستسقاء فصلو في رباط الفتح في المرة الأولى وكان الخطيب السيد عبد الله البناني، ثم أعاد الثانية وأخذ الناس في البكاء والعيول وزيارة الصالحين... ثم أعيدت الصلاة ثالثاً وإمامها الفقيه العلامة سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي فرحم الله عباده بالمطر بعد أن وصل الزرع خمسين أوقية للمد"².

وقد تزامنت حركة السلطان الحسن الأول إلى سوس مع ارتفاع الأسعار بالمناطق الجنوبية خلال أزمة 1880-1883م، الأمر الذي فرض على السلطان التراجع عن الحركة، نظراً لما تتطلبه هذه الأخيرة من تجهيزات وموئ تعذر توفرها جراء ما أصاب البلاد من جفاف وقلة الأقوات وارتفاع الأسعار، فقفّل السلطان عائداً إلى مراكش حسب ما أشار إليه صاحب البستان: "ورجع في الحين لما وجد هناك من المسبغة وشدة الغلاء وعدم وجود ما يشتري البتة حتى ضاع من الكراع ماله بال، من خيل وبغال وجمال"³.

- تراجع المداخل التجارية:

انعكست الظروف المناخية على الأوضاع الاقتصادية للبلاد خلال القرن التاسع عشر في مجموع التراب المغربي، وتكبد معها المخزن خسائر كبيرة وتراجعت قيمة المداخل، وهو ما يوضحه بشكل جلي الجدول التالي:

¹- الناصري، م.س. ص. 163.

²- الضعيف، م.س. ص. 182.

³- السباعي، م.س. ص. 136.

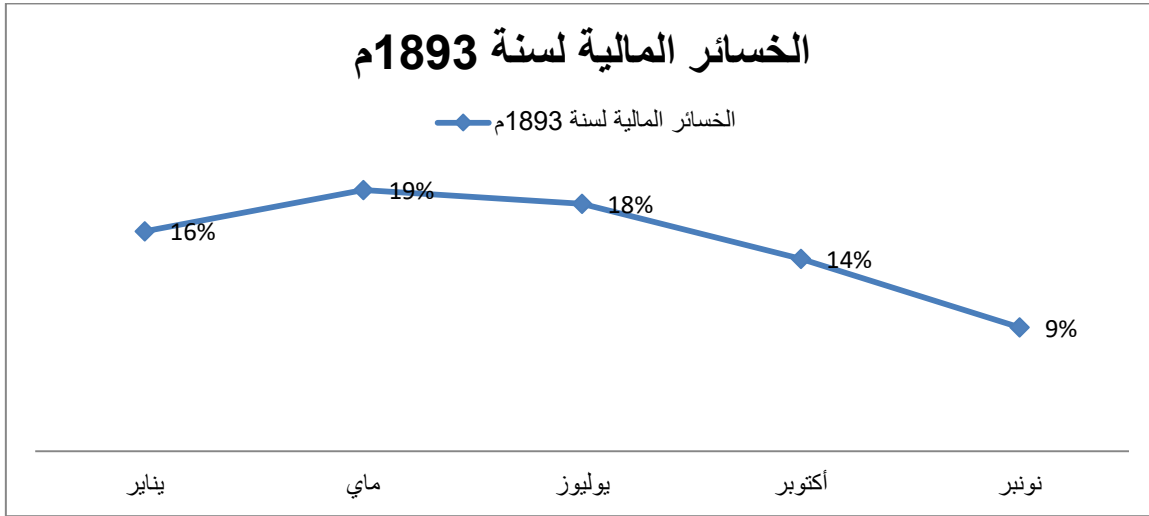
جدول رقم 16: الخسائر المالية التي تكبدها بيت مال المخزن سنتي 1892-1893م.

التاريخ	المادة	نسبة الخسارة لبيت المال
نونبر 1892م	الحمص	20%
يناير 1893م	الذرة "امزكور"	16%
ماي 1893م	الصوف	19%
يوليوز 1893م	الفول	18%
أكتوبر 1893م	الحمص والذرة "امزكور"	14%
نونبر 1893م	الذرة "امزكور"	17%
	الفول	09%
مارس 1896م	والذرة "امزكور"	33%
	الفول	29%
1877م	والذرة "امزكور"	20%
1898م	الفول	29%

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن هذه الإحصائيات أغفلت بعض الشهور وذكرت البعض فقط في غياب إحصائيات دقيقة، وعموما يمكن القول أن بيت مال المخزن عانى من تراجع مداخله خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر في بعض المواد الغذائية الأساسية مثل: الذرة (امزكور)، الفول، الحمص وغيرها من المواد التي لم يتم ذكرها في الرسالة والتي من المحتمل أيضا أنها تدخل ضمن القائمة، وترجع هذه الخسارة غالبا إلى تراجع الإنتاج الفلاحي نتيجة الأزمات المائية التي عرفتها البلاد والتي همت بالخصوص الفترة الممتدة ما بين 1890-1894م كما سبقت الإشارة إلى ذلك في محور الأزمات المائية. وبهذا عرف المخزن تذبذبا في الخسائر المالية التي تكبدها من سنة إلى أخرى وحتى داخل نفس السنة، غير أنه يمكن الإقرار بتقارب نسبة الخسارة لسنة 1893م باستثناء شهر يونيو الذي عرف معه بيت المال انتعاشا نسبيا، حيث بلغت قيمة الخسارة حوالي 9% فقط، كما هو موضح في المبيان أدناه.

1- تم الاعتماد على معطيات إحدى الرسائل المخزنية. انظر: م.و.م. الرباط. رمز: A17-018.

مبيان رقم 2: تذبذب الخسائر المالية لسنة 1893م.



2- المظاهر الاجتماعية:

انعكست الأزمات المائية على الأوضاع الاجتماعية بمجموع التراب المغربي، وهو ما ترجم أساسا في انتشار المجاعات والأوبئة وما ارتبط بها من نزيف ديمغرافي.

- انتشار المجاعات:

استفحلت المجاعة خلال الأزمة المائية لسنتي 1817-1818م، وذلك منذ بداية سنة 1817م، حسب ما أشار إليه المنصوري نقلا عن أحد الموظفين الفرنسيين الذي وصف هذا الوضع بقوله "إن سكان البلاد، رجالا ونساء، ومن كل الأعمار، وبغض النظر عن انتمائهم الديني، يقضون أوقاتهم في النحيب والصوم والابتهال إلى الله، ومما يزيد في ذعرهم ذكرى المجاعة القريبة العهد التي أنهكت البلاد وأفرغت المطامير"¹، من خلال نص هذه الإشارة يتضح حال البلاد والإجراءات التي اتخذها السكان، والتي لم تتعد النحيب والصوم، متأثرين بذكرى المجاعة السابقة وهي تلك التي عرفها المغرب خلال سنتي 1807-1808م.

¹- المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006. ص. 296.

اشتد الجوع بالناس، فأكلوا الكلاب والقطط والجيف، ومات منهم عدد كثير عقب الأزمة المائية لسنة 1824م، نفس الأمر تكرر خلال أزمة 1847-1851م حيث "اشتد الجوع على الناس في آخر عام 1266هـ إلى سبعة وستين، إلى ثمانية وستين، إلى أوائل تسعة وستين. وقد صار الجوع في سائر البلدان من بلدة الغرب إلى بلاد الأحواز إلى بلدة حاحة وسواحل البحار وقحطت جميع الأقطار. وأكلت الناس الجيف والميتة والدم... كل ذلك من شدة القحط والجوع"¹.

هكذا إذن اقترنت المجاعات خلال القرن التاسع عشر بالأزمات المائية، فعقب كل أزمة مائية تقل الأقوات وتنتشر المجاعات خاصة بالبوادي، كما هو الحال إبان الأزمة المائية الأكثر ضررا لسنة 1878م، حيث أشار الناصري إلى هذه المجاعة بقوله: "ثم كان الموت بالجوع في أهل البادية خاصة"².

- ارتفاع عدد الوفيات:

نجم عن الأزمات المائية وما ارتبط بها من أوبئة وارتفاع للأسعار واستفحال المجاعات خسائر بشرية كبيرة، فخلال فيضانات 1824م تهدمت الدور وهلك عدد كبير من الناس³، وهو ما أكده صاحب الابتسام بقوله: "لما كانت سنة أربعين حمل الواد حملة... فأغرق الديار والحوانيت ومات من الناس خلق كثير لأن الناس كانوا غافلين ففاجأتهم الحملة في ديارهم وحوانيتهم"⁴.

يعد محصول سنة 1847م الأسوء خلال أزمة 1847-1851م، فقد قدر عدد ضحايا الجوع حسب مبيج "بالنسبة إلى آسفي وحدها، قدر عدد الوفيات بسبب المجاعة التي حدثت بين نهاية فبراير وبداية مارس بـ 150 حالة، وكان الوضع أكثر خطورة في اتجاه الجنوب، فالوافدون الجدد من مراكش تنافسوا في الرعب، و أكل الناس الجيف...، وقد

1- السوسي محمد المختار، المعسول، الجزء 15، م.س. ص.11.

2- الناصري، م.س. ص.164-165.

3- بياض الطيب، "أزمة المعاش وأثرها على الديموغرافية"، ضمن ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، م.س. ص.376.

4- مجهول، الابتسام، م.س. ص.79.

قام السلطان بفتح السجون ودعوة السجناء للسعي وراء معيشتهم"¹، كما تميزت هذه الأزمة خاصة سنة 1847م بهجرة "الأقوام للجبال، ومواضع العيون والأشجار وقل الزرع والحبوب في سائر الأقطار في أرض الغرب والحوز والمدن والسواحل"²، وعلى الرغم من تساقط الأمطار الغزيرة في أبريل 1851م إلا أنها لم تحسن أوضاع البلاد³.

أما خلال أزمة 1878م والتي تعتبر "من أشد السنين على المسلمين... فكان فيها أولا غلاء الأسعار... عقب ذلك انحباس المطر لم تنزل من السماء قطرة وأجبرت الناس وهلك الدواب والأنعام"⁴، حيث توالى موجات من القحوط والمجاعات أنهكت الناس⁵، وتسببت في نزيف ديموغرافي كبير. ويضيف ابن زيدان في هذا الصدد قائلا: "ولما دخلت سنة خمس وتسعين (1295هـ) بقي المولى الحسن مقيما بمراكش شفقة على رعيته لما دهمها في ذلك السنة من حبس المطر وارتفعت بسببه الأسعار... ولا زال إلى الحين الحالي يضرب المثل بتلك السنة لا أعاد الله مثلها... ولم تنزل الأسعار في ارتفاع والوباء بالأقطار المغربية في انتشار والناس في شدة واضطراب مدة"⁶

وفي نهاية سنة 1878م بدأ الوباء (التيفوئيد) بمراكش وخلف بها ما بين 200 إلى 300 ضحية في اليوم، ثم اكتسح في بداية السنة الجديدة مجموع البلاد مخلفا بمدنها وقراها خسائر تفاوتت درجة خطورتها بتفاوت المستوى المعيشي والصحي للسكان⁷، فوفدت حشود القرويين على المدن بحثا عما يسد رمقها، وهي ظاهرة تقليدية في تاريخ المغرب الاجتماعي إبان القحط والمجاعة وما ترتب عنهما من وفيات، حيث "انقطع الزرع الصويني من الرحبة وكذلك الخرنوب والزبيب والتين والشعير والذرة والبشنة وخلت الأسواق من ذلك كله، وجاءت الأعراب من البوادي حتى كاد الناس يأكل بعضهم بعضا"⁸،

¹ - MIEGE, J, T2, op.cit. P.220.

² - السوسي، المعسول، ج 15، م.س. ص.11.

³ - MIEGE, J, T2, op.cit. P.220.

⁴ - الناصري، م.س. ص.164.

⁵ - المودن نور الدين، "جبال بني يزناسن خلال القرن 19 المعطى الديموغرافي"، كنانيش الديموغرافيا في تاريخ المغرب، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 1، 1999. ص.169-177.

⁶ - ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.214.

- البزاز محمد الأمين، "الحجر الصحي والمخزن وكارثة 1878"، مجلة دار النيابة، العدد الرابع، 1984. ص.23.

⁷ - البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات، م.س. ص.274.

⁸ - الضعيف، م.س. ص.182.

وهكذا فمنذ يوليو 1878م تزايد سكان آسفي بسبب القادمين "إليها من سوس ومن نواحي مراكش"¹.

بدأت معالم الأزمة المائية لسنوات 1880-1883م منذ الموسم الفلاحي لسنة 1880-1881م، حيث ساد الجفاف في المناطق الجنوبية، أما المناطق الشمالية فقد عرفت تساقطات مهمة حالت دون وقوع الأزمة، فبلغ البؤس في الناس بالجنوب درجة بيع أولادهم²، وهو الأمر الذي أفصحت عنه إحدى الرسائل الموجهة إلى قائد أكادير الحاج عمر بن سعيد المتوكي سنة 1880م، وجاء فيها أن الناس: "يبيعون أولادهم ويأكلون ثمنهم ويهجمون على بعضهم بعضا بقصد أكل متاعهم وإشباع بطونهم"³.

كما انتشر الوباء في جميع المدن خاصة مراكش ومكناس والرباط، واستمرت أضراره حتى سنة 1883م⁴، وهو ما أشارت إليه إحدى الرسائل، نصها كالتالي: "لا زال أثر المسبغة ظاهرا في الناس خصوصا في أولئك القبائل المجاورين للثغر الآسفي الذي بلغت فيهم المسبغة حدا ولا زالوا منجلين عن بلاداتهم في طلب ما يتعيشون به إلى الآن"⁵.

أشار الناصري إلى البرد الذي نزل في مارس 1886م قائلا: "وفي عشية يوم الثلاثاء الرابع العشرين من جمادى الثانية من السنة المذكورة غيمت السماء غيما كثيفا أسود وذلك بمراكش ونواحيها وهبت ريح سوداء مع رعد قاصف ثم نزل برد مثل البيض وأعظم"⁶، مما أدى إلى نزيف ديمغرافي بحيث "تهدمت بمراكش دور كثيرة وماتت تحت الهدم خلق كثير نيفوا فيما قيل على المائة وفر الناس إلى أضرحة الأولياء بعد أن ودعوا

1- البزاز محمد الأمين، "المجلس الصحي والمخزن وكارثة 1878م"، م.س. ص.18.

2- العلوي مصطفى، المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية الحسن الأول، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1986م. ص.72.

3- رسالة من مولاي الحسن إلى قائد أكادير الحاج عمر بن سعيد المتوكي، بتاريخ 16 جمادى الثانية 1297هـ/ 26 ماي 1880م. الوثائق، م.و.م، المطبعة الملكية، الرباط، المجموعة الثالثة، 1976م. ص.497.

4- البزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، م.س. ص.260.

5- نفسه. نفس الصفحة.

6- الناصري، م.س. ص.182.

عشائرهم وأحببتهم ولزموا الاستغفار والتضرع إلى الله تعالى حتى انجلى الغيم بعد نحو ساعتين والحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته¹.

تفشى وباء الجدري الذي ظهر أول الأمر بمدينة الصويرة منذ أواخر سنة 1891م، بحيث ارتفع عدد الضحايا بها من 3 ضحايا إلى 15 ضحية في اليوم، ومنه انتشر إلى مراكش وسوس². أصيبت البلاد بعد هذه الأزمة بفيضانات مهولة في نهاية دجنبر سنة 1892م، إذ خرج نهر سبو عن مجراه في عدة جهات جارفا قرى بأكملها، وامتدت الفيضانات إلى الأقاليم الجنوبية، حيث دمر واد زيز عدة قرى بتافيلالت وتسبب في خسائر كبيرة في الأرواح³.

هكذا إذن انعكست الأزمات المائية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب عموما وبمجال حوز مراكش على وجه الخصوص. فما هي إذن أهم الإجراءات والتدابير التي اتخذها المخزن للحد من مخلفات ظاهرة الجفاف بمجال حوز مراكش؟

1- الناصري، م.س. ص.182.

2 - أشار المختار السوسي إلى هذا الوباء (1315هـ) من خلال ذكره خبر وفاة والد الفقيه المانوزي. السوسي المختار، المعسول، ج3، م.س. ص.196.

3- البزاز محمد الأمين، م.س. ص.320.

III. المعالجة المخزنية للأزمات المائية:

عرف مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر توالي الأزمات المائية المتمثلة أساسا في الجفاف وما نجم عنه من انعكاسات اقتصادية واجتماعية، ولعل أكثرها خطورة تلك التي حلت به سنة 1878م. وسيتم في هذه النقطة رصد أهم الإجراءات والتدابير التي اتخذها المخزن لمواجهة هذه الأزمات، بصرف النظر عن الدراسات التي وصفت المخزن بالغير مبالٍ بما يقع في أرضه وأن لا وظيفة له سوى ابتزاز الأموال من الرعايا¹، وأتلك التي تعتبره غض الطرف عن محنة شعبه، وهي مجموعة من الآراء تكررت باستمرار ضمن الكتابات الأوروبية "التي تناولت إحسان الأوروبيين إلى المغاربة من أجل مواجهة المجاعة"².

و بالرجوع مثلا إلى أزمة 1878م، يتضح أن النصارى اشتروا الرقيق وتقدموا بالصدقات إلى الضعفاء خلال هذه الأزمة المائية "وفي هذه المسبغة مد النصارى أيديهم إلى الرقيق فاشتروه وكان ابتداء ذلك أنهم كانوا يعاملون ضعفاء المسلمين وصبيانهم بالصدقات والارتفاقات"³، كما أكدوا وجود كميات كبيرة من الحبوب في البلاد، كان العمال قد كدسوها منذ ثماني سنوات ورفضوا إخراجها، وبذلك اعتبر النصارى أن مسؤولية استفحال المجاعة تقع على عاتق بعض الخواص وعمال المخزن⁴.

اختلفت أوجه التدخل المخزني للحد من آثار وتبعات الأزمات المائية التي عرفها مجال الحوز خلال القرن التاسع عشر، والتي حطت بثقلها لفترات طويلة، وفيما يلي جرد بأهم الإجراءات التي شملت مجموع البلاد عموما ومجال الدراسة خاصة، انطلاقا من نصوص المصادر والوثائق المخزنية. فما هي أهم التدابير التي اتخذها المخزن في هذا الإطار؟ وفيما تمثلت الصعوبات والعوائق التي واجهته؟

1- واتبوري جون، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم- عبد الأحد السبتي- عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، الطبعة الثالثة 2013. ص.7.

2- للتوسع أكثر في هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى دراسة البزاز الأمين، الأوبئة والمجاعات، م.س. ص.ص. 368-370.

3- الناصري، م.س. ص. 165.

4- البزاز الأمين، م.س. ص. 369-370.

1. ترتيب الأقوات من مناطق الوفرة إلى مناطق القلة:

عمل المخزن على توفير الأقوات كأحد التدابير لمواجهة مختلف الأزمات المائية التي عصفت به طيلة القرن التاسع عشر، فتارة كان يعتمد إلى إفراغ المطامير والأهراء المخزنية وتوزيع أو بيع ما فيها من حبوب بثمان مناسب، على اعتبار ذلك واجب المخزن تجاه رعاياه، وهو ما أشار إليه محمد داود واصفاً: " شدة الحزم في عدم تلاعب التجار بالقمح الذي يسمح لهم بوسقه، وذلك مخافة أن يبيعوه بالأثمان الباهضة لغير الناحية التي سمح لهم بالوسق إليها"¹.

لجأ المخزن إلى إفراغ مطاميره أكثر من مرة لمواجهة الأزمات المائية التي عرفها المغرب كما هو الحال خلال أزمة 1847-1851م، حيث أجبر المخزن على استهلاك احتياطي الحبوب، جراء تدني محصول سنتي 1846 و 1847م على التوالي، هذا الأخير الذي اعتبر الأسوأ خلال هذه الأزمة، وبهذا أصبح المخزن أعزل وبدون احتياطات تعوض هذه الخسارة².

كان المخزن أيضاً يعمل على نقل الحبوب من مناطق الوفرة نسبياً إلى المناطق الأكثر تضرراً، فقد أذن السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1279هـ/1862م لتجار تطوان بـ "وسق أربعة مراكب أخرى من مرسى آسف"³، وفي أحيان أخرى عمد المخزن إلى استئجار سفن أجنبية لنقل المؤن نحو المناطق المتضررة، كما هو الحال حين استأجر المخزن سنة 1882م سفينة فرنسية لنقل المؤونة من مرسى الصويرة نحو سوس-نظرا لقلّة المواد الغذائية بها-، حيث ستتوجه محلة السلطان المولى الحسن الأول "فيعلم مولانا... أن البابور الذي اكريناه من كبانية الفرنسيس توجه لمرسى الصويرة يوم تاريخه وهو مشترط عليه أن يتبع المحلة السعيدة حيثما توجهت"⁴.

1- داود محمد، تاريخ تطوان، ج 6، م.س. ص.33.

2 - MIEGE,J, T2, op.cit. P.220.

3- داود محمد، م.س. ص.33.

4- رسالة من وزير الشؤون الخارجية محمد بركاش إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 11 رجب 1299هـ/ 29 ماي 1882م، الوثائق، المجموعة الثالثة عشر، م.س. ص.223-224.

أشار الحاجب موسى بن أحمد في 28 أكتوبر 1878 إلى أن السلطان الحسن الأول لم يدخر جهدا خلال جفاف 1878م سواء تعلق الأمر بفتح الأهراء المخزنية أو بتوزيع "المال والأقوات في كل جهة علم بتفشي المجاعة فيها مضيفا أنه فتح لأجل هذه الغاية الأهراء المخزنية على مصاريعها، بما فيها المتخصصة لخليل جيشه"¹.

كما نجد من بين التدابير التي نهجها المخزن سنة 1295هـ/ 1878م، توزيع المال على سكان الرباط وسلا ومراكش وغيرها من المناطق بأمر سلطاني²، كما أمر السلطان كذلك "عمال الأمصار والأمناء بأن يرتبوا للناس من الأقوات ما ينتعشون به ففعلوا"³.

وقد شكلت بعض المراسي المغربية (كالدار البيضاء، آسفي...) مخازن المؤونة الأساسية للبلاد، لجأ إليها المخزن لمواجهة الخصائص الناجم عن قلة الأمطار في باقي المناطق، وهكذا نجده أمر بنقل الأقوات منها نحو مناطق القلة والعجز، وأحيانا أخرى قام بإخراج مخزونات الأهراء المخزنية كما حدث خلال أزمة 1878م، نفس الأمر تكرر خلال أزمة 1893م حيث أمر السلطان الحسن الأول بفتح أهراء المخزن وبيع حبوبها دون الزيادة في السعر، وبمقتضى ذلك توفرت الحبوب في الأسواق وانخفضت الأسعار نسبيا⁴، غير أن هناك بعض الأزمات المائية لم يستطع المخزن مواجهتها عبر هذه الإجراءات المحلية، ولجأ إلى تزويد الأسواق بالحبوب من الخارج.

2. وقف تصدير الحبوب إلى الخارج

خضع الاقتصاد المغربي للتقلبات المناخية، فكانت أسعار المواد الغذائية غير ثابتة خاصة منها أسعار القمح التي شهدت ارتفاعا كبير إبان فترات الجفاف (1807-1809)،

1- البزاز الأمين، م.س. ص.372.

2- الضعيف، م.س. ص.183.

3- الناصري، م.س. ص.165.

4- البزاز الأمين، م.س. ص.376.

1817-1818، 1867-1869، 1878م...)، مما دفع المخزن إلى منع تصدير الأقوات نحو الخارج¹.

اتخذ المخزن -كإجراء أولي عقب توالي السنوات الجافة- قرار حظر تصدير معظم المواد الغذائية، وفي مقدمتها: الحبوب، الزيوت، والمواشي...، تماشيا مع ما أفتى به الفقهاء، حيث بينوا أن استمرار المخزن في تصدير الحبوب وقت الجفاف من شأنه استنزاف المخزون الداخلي، وأن محصول السنوات الجيدة يكاد لا يكفي لمواجهة سنوات الأزمة، إلى جانب ارتفاع الأسعار، وهو الأمر الذي تناولته إحدى الشكايات الموجهة للسلطان الحسن الأول خلال الأزمة المائية لسنوات 1890-1894م، ورد وفيها: "ترادفت الشكايات منها على الحضرة الشريفة بارتفاع ثمن الحبوب في هذه السنة بالنقص الحاصل لهم في جميع الحبوب قائلة إن بقي وسق القمح مسرحا لبلاد النصارى يزيد ثمنها ارتفاعا ويتضاعف الضرر الواقع لهم"².

هكذا إذن عمد المخزن منذ سنة 1814م إلى منع تصدير المواد الغذائية وعلى رأسها الحبوب والمواشي، انضاف إلى ذلك خلال شهر شتنبر 1815م قرار المخزن القاضي برفع الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة³، وكلها عوامل أدت إلى انخفاض نسبة المعاملات التجارية للمغرب وفقدان سيطرته على التجارة الخارجية، مما نتج عنه اختلال الميزان التجاري، ويرجع مبيح السبب في ذلك إلى "السياسة الشريفة وجهلها لأبسط مبادئ الاقتصاد"⁴.

أصبح المخزن خلال القرن التاسع عشر تحت وطأة الضغوط الأجنبية، حيث عمل القناصل الأوروبيون على الإبقاء على العلاقات التجارية مع المغرب، ونظرا لاحتياجات المخزن المالية، فقد أمر السلطان المولى عبد الرحمان خلال الموسم الفلاحي لسنة 1830-

¹ - كان المخزن في بعض الأحيان يسمح بتصدير الحبوب كما حدث عام 1830م، حيث كان الحصاد جيدا نسبيا في المغرب -نظرا للاحتياجات المالية الملحة للمخزن-، وفي أحيان أخرى يمنع تصديره نظرا لسوء المحصول الناجم عن الجفاف. انظر:

- MIEGE, J, T2. Op.cit. P.78.

² - رسالة من محمد غريط إلى محمد الطريس، مؤرخة في 21 محرم 1311هـ / 4 غشت 1893. بوشعراء مصطفى، الاستيطان والحماية بالمغرب، م.س. ص.534.

³ - MIEGE, J, T2, op.cit. P.23

⁴ - DE GANNIERS, A, op.cit. P.77.

1831م بإبلاغ القناصل الأوروبيين عزمه على تصدير الحبوب من ميناء العرائش ومازاغان نحو الموانئ الإسبانية¹، نفس الأمر تكرر سنة 1853م حيث أذن السلطان بترخيص تصدير الحبوب والذرة والبقوليات على وجه الخصوص، وفي شتنبير سنة 1854م، حثه القناصل الفرنسيون والبريطانيون على عملية تصدير الحبوب فسمح بتصدير القمح والشعير².

3. استيراد الحبوب من الخارج:

عمد المخزن إلى استيراد الحبوب من الخارج خاصة من: فرنسا، إنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، مصر...، فعلى سبيل المثال عقب الأزمة المائية لسنة 1824م وما عاشته البلاد من جفاف³، تم جلب الحبوب سنة 1825م "من أرض مصر... فيجلبه الناس للمراسي ويباع هناك... من شدة ما عليه الناس من الجوع والقحط الواقع في الطرق"⁴.

عرفت البلاد خلال هذه الفترة أيضا (1824م) تساقط أمطار غزيرة، حالت دون تنقل الناس لجلب ما يقتاتون به، وهو ما أشار إليه صاحب الابتسام بقوله "وذلك لأن الأودية عمرت من شدة الأمطار الواقعة في تلك السنة وتعذر السفر بالجمال من كثرة الوحل فكان هذا المطر نعمة من جهة وبليّة من جهة نعمة من حيث أن الله رحم به البلاد والعباد وأخصبت به الأرض وضمن العام وبليّة من حيث أن الله قطع به السبل وتعذر على الناس بسببه السفر بالغوت الذي كان لا يوجد في ناحية من ناحية المغرب إلا في المراسي"⁵.

هكذا إذن يتضح أنه خلال فترات المجاعة كانت المراسي هي السبيل الوحيد للنجاة، نظرا لما يتم جلبه عبرها من أقوات -خاصة الحبوب- سواء من داخل البلاد أو خارجها.

استمر استيراد الحبوب من الخارج في ظل أزمة 1851م، بحيث سجل دخول 22 سفينة محملة بالحبوب للموانئ المغربية، فأصبح جبل طارق مرة أخرى مستودعا للقمح⁶،

¹ - MIEGE,J, T2, op.cit. p44.

² - ibid. P.290.

³ - MIEGE,J, T2, op.cit. P.40.

⁴ - مجهول، الابتسام، م.س. ص.81.

⁵ - نفسه. ص.81.

⁶ - MIEGE,J, T2, op.cit. P.223.

نفس الأمر تكرر في شتنبير 1854م لأن " الحصاد في شمال الإمبراطورية لم يكن كما كان متوقع، فتطلب الأمر جلب الحبوب من المناطق الغربية"¹.

يبدو أن المخزن لجأ إلى استيراد الحبوب مرة أخرى عقب أزمة 1880-1883م، ذلك أن الجفاف أضر بالناس خاصة بمنطقة سوس، فبعث السلطان الحسن الأول النائب محمد بركاش إلى سفراء الدول الأجنبية، بغية السماح لتجارهم بجلب الحبوب لمرسى مدينة أكادير، مع تحديد المدة التي يجلب فيها وهي ستة أشهر، إلى جانب عشرة في المائة كأرباح لا يجب تجاوزها، غير أن المدة المتفق عليها قد مددت لثلاثة أشهر أخرى، نظرا لانعدام التساقطات واستفحال الأزمة المائية وهو ما يتضح جليا من خلال الرسالة التالية: " فان الأجل المجهول للتجار في جلب القوت لاآكدير وهو ستة أشهر حان انصرامه وفصل الدراس لا زال بعيدا، وأهل القطر السوسي لا زالوا مضطرين للقوت، فاقتضى نظرنا الشريف لأجل ذلك التوسعة عليهم إلى الفصل المشار إليه بزيادة ثلاثة أشهر للتجار على الأجل المذكور... لهم يجلب ذلك لاآكدير بالصاكة المعتادة التي يعطونها عليه، وهي عشرة في المائة"².

اضطر المخزن إلى جلب الحبوب من الخارج بعد أزمة سنة 1878م وهي الأزمة المائية الأخطر خلال القرن التاسع عشر، فاستغلت الهيئة الدبلوماسية هذه الظرفية لتطالب المخزن من جديد بإعفاء سلعها من الرسوم الجمركية، فوافق المخزن على هذه المطالب شريطة حظر بيعها مقابل رهن العقارات³، وبيعها نقدا بأثمان منخفضة⁴.

¹ - MIEGE,J, T2, op.cit. P.292.

²- رسالة من المولى الحسن إلى النائب محمد بركاش، بتاريخ 1300 هـ / 1883م، أوردها ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.465-466.

³- رسالة من موسى بن أحمد إلى الهيئة الدبلوماسية بطنجة، بتاريخ 14 ذي القعدة 1295هـ / 10 نونبر 1878م. أوردها البزاز، الأوبنة والمجاعات، م.س. ص.243.

⁴- تدخلت الهيئة الدبلوماسية بمدينة طنجة من أجل التوسط لتسريح المساحلة (تصدير واستيراد الأقوات بحرا) من مرسى لآخر بهدف توجيه الأقوات والحبوب عبر التجار من مناطق الفانض إلى مناطق العجز، غير أن طلبهم قوبل بالرفض من طرف السلطان، أولا خوفا مما قد ينشب عن تسريحها من حدوث الاضطرابات والاحتجاجات لذلك أشار إلى أن جلب الاقوات مقتصر على الأمناء دون التجار، وفي نفس الوقت بعث السلطان رسالة إلى العلماء والأشراف والأعيان والعامّة لاستشارتها في مسألة تقديم تنازلات تجارية، وهي استشارة قل نظيرها في تاريخ المغرب، فالسلطان اعتبر نفسه في هذه النازلة واحدا من المسلمين ورغم حرصه على ترك الحرية للمستشارين في الأمر للنظر فيها، إلا أنه حاول توجيه الأجوبة بما يؤدي إلى قبول التسريح مشيرا إلى عواقب رفض ذلك. انظر: - الناصري، م.س. ص.184.

يتضح من خلال الشروط المذكورة حرص المخزن على إيصال الحبوب إلى مناطق العجز دون وساطة التجار، وما ينتج عنه من احتكار للسلع وارتفاع للأسعار، أما في ما يخص بيعها نقدا فهنا التخوف من فقدان عدد كبير من الأراضي فترات الجفاف مقابل شراء الحبوب.

4. مواجهة الاحتكار وغلاء الأسعار

تخضع الأسعار عموما لقانون السوق، وهو القانون القائم على علاقة العرض بالطلب، فمتى قلت مادة ما وكثر الطلب عليها إلا وارتفعت أسعارها، ولأن اقتصاد المغرب هو اقتصاد قلة، فقد كان قائما على الفلاحة المرتبطة بدورها بما تجود به السماء.

يعد ارتفاع الأسعار من التداعيات الأولى للأزمات المائية التي عرفها المغرب عموما طيلة القرن التاسع عشر، فقد ظلت الأسعار مرتبطة بالظروف المناخية، إلى جانب عامل الاحتكار وانهايار العملة المغربية. فما هي أهم التدابير التي اتخذها المخزن لمواجهة هذه العوامل؟

بدأت الأسعار بالارتفاع سنة 1824م نتيجة المحاصيل السيئة، أعقب ذلك وقوع فيضانات أدت لخسائر جسيمة ليحل بعدها الجفاف، وهو ما أشار إليه ابن سودة واصفا أوضاع فاس بقوله " في عشية رابع صفر نزل المطر الغزير وسالت الأودية من كل جانب، وكثر الماء بواد فاس وذلك بعد العشاء، فأغرق ما يليه من الدور وغيرها، وكثر الهدم ومات عدد كثير من الناس وانقطع المطر بعد ذلك، وبسببه كان الغلاء المفرط"¹، وقد أشار القنصل الفرنسي (سوردو) إلى أن سعر القمح في المغرب أغلى منه في فرنسا، ومع أن هذا الغلاء هم جميع مناطق البلاد، إلا أن وطأته كانت أشد في المناطق الداخلية حيث

- مزيان أحمد، دراسة المجتمع الواحي بالجنوب المغربي الشرقي، ج1، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1985. ص.252.

- المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1985م. ص.491.

- المكايي أحمد، "قراءة في بعض استشارات السلطان مولاي الحسن"، مجلة كلية الآداب، الجديدة، العدد الخامس، 2000. ص.20-22.

¹- ابن سودة، م.س. ص.138.

انتقل ثمن القمح في مدينة فاس من نصف مثقال للمد إلى مثقالين¹، ما أعجز الناس على شراء ما يقتاتون به على الرغم من المساعدات التي قدمها المخزن (الغوث)، وهكذا بلغ عدد ضحايا الجوع في مدينة آسفي مثلا حوالي 150 ضحية في مدة لا تتجاوز شهر².

ارتفعت أسعار القمح والشعير بحوالي أربعة أضعاف خلال أزمة 1847-1851م، ذلك أن إنتاج سنتي 1848-1849م كان ضعيفا نسبيا، لم يسمح بتجديد احتياطي البلاد من الحبوب، لتليه بعد ذلك سنة 1850م وهي السنة الكارثية في جميع أنحاء شمال إفريقيا، وفي أوروبا كذلك، -إلا أن الأسعار الأوروبية انخفضت ما بين 1849-1851 وظلت مرتفعة بالمغرب³، فابتداء من شهر فبراير 1850م ارتفعت أسعار البذور بشكل مفرط بحوالي خمس مرات في المناطق الجنوبية خاصة، مما نتج عنه هلاك نصف القطعان⁴.

اشتدت الأزمة بالمغرب عقب جفاف 1878م، وكنتيجة طبيعية لظاهرة الجفاف ارتفعت أسعار المواد الغذائية، وسجلت خسائر كبيرة في المواشي وهو ما أكدته رسالة السلطان المولى الحسن الأول الذي رفض تصدير (وسق) الثيران بقوله "لا يخفاكم ما وقع من الموت في الكسبية بهذه المسبغة الفائتة وبسبب ذلك قلت الأنعام وارتفع سعرها وقل ذلك جدا حتى صار الناس يشتاقون إلى اللحم"⁵، فتضرر الناس من تلك الأزمة بشكل كبير.

هكذا إذن استغل التجار وبعض خدام المخزن ظروف الأزمة وانعدام الأقوات، فقاموا بتقديم الحبوب للناس وبيعها مقابل ضمانات غالبا ما تكون عبارة عن أراضي، فكان صغار الفلاحين يعجزون عن أداء الدين المترتب عليهم، وبذلك سلبت منهم أملاكهم، كما هو الحال إبان الأزمة المائية لسنتي 1878 و1883م، حيث تم تفويت ملكيات كبرى للتجار وخدام المخزن، الأمر الذي أشار إليه السلطان الحسن الأول بقوله: "بلغنا... الإحتكار على تجميل الحب والإكتار من شرائه، ومن الضيق وعدم الاهتمام بالمسلمين مع أن الاهتمام بذلك

1- البزاز محمد الأمين، م.س. ص.120.

2- نفسه. ص.184.

3 - MIEGE,J, T2, op.cit. P.222.

4 - ibid. P.220.

5- البزاز محمد الأمين، م.س. ص.241.

والكشف عنه، بعض من أبعاض خطتك أخللت به... فنأمرك أن تمنع من يشتري منه الجملة كائنا من كان، إلا ما أمرت به لجانب المخزن بقصد الجيش"¹.

نستطيع إذن أن نخرج بفكرة واضحة من خلال ما تطرق إليه نص الظهير السلطاني الذي تناول موضوع قلة الحبوب بمدينة مراكش، هي أن التجار اغتتموا الفرصة للقيام بمضاربات واحتكار الحبوب ثم بيعها بعد أن ترتفع أسعارها، كما أوضحت الرسالة ذلك، وأن محتسب المدينة -وهو يومئذ مولاي عبد الله بن ابراهيم البوكيلي- لم يتدخل لإيقاف هذه الاحتكارات، مما دفع بالسلطان إلى مراسلته لإيقاف الأمر، حتى يتمكن عامة الناس من شراء الحبوب بأثمان معقولة والحيلولة دون وقوع مجاعات وما يتبعها من اضطرابات.

5. استنهاض همم الفلاحين وإرجاع المهاجرين:

اهتم المخزن باستنهاض همم الفلاحين للحرث عقب سنوات الجفاف، عبر تسليفهم البذور والدواب اللازمة لخدمة الأرض، وهو ما تطرقت إليه رسالة أوردها ابن زيدان وفيها قال السلطان الحسن الأول: "وصلنا كتابك في شأن ما تكلم به معك باشادورات النجليز والصبنيول والفرنسيس والطلين وإشارتهم بالحض على العمال في إعانة الرعايا على الحرث واستنهاضهم بكل الوجوه وتسليف الزريعة لمن ضعف عنها... ونحن بصدد إن شاء الله وسنأمر العمال أهل الجد والفائدة بذلك ونؤكد عليهم لما في ذلك من مصالحنا ومصالح رعيتنا"².

اتخذ المخزن وقت الأزمات المائية سياسة مخالفة تجاه القبيلة، فإلى جانب تقديم المساعدات الممكنة لها، لجأ المخزن إلى إعادة القبائل الفارة من مواطنها زمن الجفاف³، أما في ما يخص الضرائب فإن المخزن أمهل القبائل العاجزة أو المتضررة بشدة من الجفاف -مع العلم أن هناك قبائل عانت من المبالغة في استعمال السلطة وثقل الضرائب خاصة عقب هزيمة تطوان 1859-1860م-، وأخذ بعين الاعتبار ضعف الفلاحين وعدم

1- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد عبد الله بن ابراهيم البوكيلي، بتاريخ 16 ذي القعدة الحرام عام 1300هـ/ 18 غشت 1883م. الشابي مصطفى، النخبة المخزنية، م.س. ص. 151.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بركاش، بتاريخ 2 ربيع الثاني 1296هـ، أوردها ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص. 466.

3- البزاز الأمين، م.س. ص. 379.

قدرتهم على دفع الضرائب الواجبة في حقهم، وفي أحيان أخرى كانت القبائل تدفع بالتقسيط، وهو ما أكدته رسالة بعث بها السلطان مولاي الحسن للقائد عيسى بن عمر العبدى بقوله: "علمت ما أنتم عليه من عمار الذمة بعدد من مال الواجبات وكنا نمهلكم فيه والمطالبة به بصعوبة الوقت بالمسبغات المتواليات لا أعادها الله"¹.

أحيانا أخرى كان المخزن يلغي جزءاً من هذه الضرائب قطعاً²، حيث كان السلاطين يعفون رعاياهم في السنين العجاف من إرسال الزكاة الواجبة عليهم إلى بيت المال، ومن ذلك ظهير أعفى به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قبيلة الحشم³ من أداء واجب الزكاة لبيت المال، وأذن لها أن تصرفه على فقرائها نظراً لضعفها: "يعلم من كتابنا هذا... أننا أدنا لقبيلة الحشم رد واجب زكاة حبوبهم على فقرائهم يستعينون بها لضعفهم فنامر الواقف عليه ممن وليناه أمرهم أن يجريهم على ذلك والسلام."⁴

هكذا إذن خلفت الأزمات المائية عدة مشاكل سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي، إذ لم يكن المجتمع المتضرر الوحيد، بل تكبد المخزن كذلك خسائر مالية كبيرة، وهو ما انعكس دون شك على المستوى الأمني وتجهيز الحملات العسكرية وما كان يتطلبه من مؤن وأموال، من أجل فرض الأمن إلى جانب محاربة النهب⁵ الذي استفحل أوقات الجفاف.

1- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد عيسى بن عمر العبدى بتاريخ 6 جمادى الأولى 1305 هـ/ 20 يناير 1888م، م. و. م. الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

2- العربي اكنينج، م.س. ص. 314.

3- قبيلة الحشم وهي قبيلة الحاج عبد القادر بن محيي الدين الإدريسي قائد المقاومة الجزائرية، هاجرت من مواطنها قرب معسكر بعمالة وهران إثر الغزو الفرنسي والتجأت إلى المملكة المغربية فاستقرت بها. الوثائق، المجموعة الثانية، م.س. ص. 404-405.

4- ظهير السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، بتاريخ 6 صفر 1280 هـ/ 23 يوليوز 1863، م. و. م. نفس المجموعة. ص. 405.

5- نفى النهب والسرقعة في نواحي الدار البيضاء "فقد بلغ لعلمنا الشريف أن السرقعة والنهب تفاحش أمرهما هنالك حتى بلغ السيل الزبا... وعليه فلتحسم مادتهم واستأصل شافتهم". رسالة من مولاي الحسن إلى الحاج العربي بريشة، بتاريخ فاتح جمادى الأولى 1303 هـ/ 5 فبراير 1886، نهيل محمد، رسائل شريفية، م.س. ص. 159.

خاتمة الباب:

يتضح من خلال ما سبق أن الأزمات المائية التي عرفها المغرب عموماً ومجال حوز مراكش خاصة، شكلت عائقاً بنيوياً حال دون تحقيق التوازن الاقتصادي للبلاد. وقد أدرك كل من السكان والمخزن خطورة هذه الأزمات خاصة الجفاف وما ارتبط به من مجاعات وأوبئة، غير أن استعدادهم لمواجهة لم يتجاوز إقامة مخازن للحبوب¹ أو جلبها من مناطق أخرى. وإذا كانت هذه التدابير قد اقتصررت على بعض المدن الكبرى، فإن القرى استفحلت بها المجاعة، كما هو الحال بالنسبة للمناطق المجاورة لوادي نفيس التي اشتد بها "الهرج بالناس والموت من كثرة المجاعة والمسبغة وغلاء الزرع"².

واجهت التدابير المخزنية التي تم اتخاذها عقب الأزمات المائية عدة صعوبات، حيث أصبح المخزن -كما وصفه جرمان عياش- أعزل أمام الكوارث الطبيعية³. ويمكن إرجاع هذه العوائق أو الصعوبات إلى عاملين أساسيين: أحدهما داخلي والآخر خارجي؛ فأما الأول فتمثل في كون الخزينة المغربية وإلى غاية سنة 1886م ظلت محرومة من نصف المداخل الجمركية، إذ تفتتحت لتسديد ما تبقى من ذعيرة حرب تطوان، انضاف إلى ذلك توالي سنوات الجفاف وما سببه من نقص فاحش في المحاصيل الزراعية، الأمر الذي انعكس على المداخل الجبائية⁴. وفي ما يخص العامل الخارجي، فيتجلى في الضغوط الأجنبية التي أربكت توازن البلاد، وقد كان المخزن مدركاً عجزه العسكري والاقتصادي، وكذلك السياسي منذ نكسة إيسلي، حيث اضطر شيئاً فشيئاً إلى تقديم تنازلات، أدت إلى فتح باب التجارة البحرية في وجه التجار الأوروبيين، فنمت مصالحهم الاقتصادية في شكل معاهدات⁵، كذلك الموقعة سنة 1856م مع إنجلترا⁶. لم تقف الأمور عند هذا الحد بل

1- جادور محمد، م.س. ص. 442-443.

2- التناقض عبد الله، رحلة الوافد، تحقيق علي صدقي أزيكو، منشورات كلية الآداب، القنيطرة، 1992م. ص. 239.

3- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الرباط، الطبعة الأولى 1986. ص. 77.

4- أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، م.س. ص. 176.

5- معنيو عز الدين، "رحلة الجعيدي السفارية لأوروبا خلال القرن التاسع عشر ميلادي"، مجلة الاقتصاد والمجتمع، مطبعة التومي، الرباط، العدد الخامس، 1991م. ص. 76-77.

6- انظر:

- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، م.س. ص. 187-228.

- بنطال علي، م.س. ص. 360-361.

تأزمت الأوضاع نتيجة انهزام المغرب أمام إسبانيا في حرب تطوان (1859-1860م)، مما فرض على المغرب أداء غرامة 100 مليون بسيطة، وما تلاها من معاهدات سنة 1860 و1861م مع إسبانيا وسنة 1863م مع فرنسا، كل هذا أفقد المغرب ما كان يتمتع به من توازن في مختلف المجالات¹.

مما لا شك فيه أن العوائق الطبيعية والبنوية فضلا عن العوامل الخارجية، قد ساهمت في إحداث مجموعة من الاضطرابات داخل البلاد، بل أدت إلى الركود السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكذلك على المستوى التقني، إذ ما فتئ الفلاح المغربي يسخر الطبيعة بوسائله العتيقة " فلم يتغير المحراث ولا زوجة الحرث منذ العهد القرطاجي... أضف إلى هذا عامل القحولة الذي كان لا يسمح بدورة زراعية ثلاثية"²، وكانت هذه الوسائل غير قادرة على الوقوف أمام واقع البلاد الذي تعاقبت عليه خلال القرن التاسع عشر مجموعة من الأزمات الدورية من مجاعات وقحوط فأوبئة أفنت العباد والدواب، وساهمت في رسم مجموعة من الاختلالات على جميع الأصعدة.

إلى جانب ذلك لم يتم التفكير في حلول ناجعة للحيلولة دون الأضرار الكارثية التي كانت تخلفها هذه الظواهر، من قبيل تطوير الزراعات المسقية، والاستفادة مما وصل إليه الغرب خلال هذه الفترة، إذ ظلت التقنيات الفلاحية تقليدية عتيقة، وظل اقتصاد المغرب معتمدا على الفلاحة التي كانت بدورها مرتبطة بتقلبات الأحوال الطبيعية، وعلى العموم ظلت التدابير المخزنية المتخذة محدودة بالمقارنة مع شدة الأزمات وهول تبعاتها التي نكبت حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

1- أفا عمر، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر، م.س. ص. 177.

2- العلوي زين العابدين، "المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ (1290-1330هـ / 1873-1912م)"، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، الجزء 1، م.س. ص. 131-132.

الباب الثاني: الماء
والزوايا بحوز مراکش خلال
القرن التاسع عشر

تقديم:

تعتبر مؤسسة الزاوية "مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة"¹، أي مكان معد للعبادة وإيواء وإطعام الواردين والمحتاجين². ظهرت في المغرب خلال القرن الخامس الهجري وسميت في بادئ الأمر بدار الكرامة ثم بدار الضيافة، لتتطور نحو الدعوة إلى الجهاد ضد المحتل الأجنبي خلال القرن السادس الهجري العاشر ميلادي³، وقد انبثقت حسب ما أشارت إليه بعض الدراسات على يد المخزن المريني الذي ساهم في دعمها وتقويتها، حيث تم بناء عدد من الزوايا لاستقبال الغرباء والمسافرين وإطعامهم⁴.

إن الأصل عند مؤسسي الزوايا هو إحياء الأرض الموات والزراعة كما هو حال الجزولي، عبد الكريم الفلاح، عبد الله بن ساسي وعبد الله بن حسين وغيرهم، ولعل هذا ما يفسر اتجاه شرفاء الزوايا نحو استغلال الأراضي الزراعية والإنعامات المخزنية المائية والعيش من مدخولها عوض الاعتماد على هبات الوافدين والزائرين فقط⁵.

وقد أشار حسن جلاب إلى اهتمام رجال الزوايا والمتصوفة عموماً بالفلاحة، لعل أبرزهم عبد الكريم بن عمر الحاحي الذي عرف بالفلاح نظراً لاهتمامه بالزراعة وتوجيه تلامذته ومريديه نحو المجال الفلاحي، كما هو الحال بالنسبة لأبو محمد عبد الله الكوش الذي كان مشرفاً على مطبخه وسار على نهجه بعد تأسيس زاويته. كما اهتم الغزواني

1- حجي محمد، الزاوية الدلانية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964. ص.25.
2- عرف التوفيق أحمد الزاوية على كونها " محكمة صلح في الغالب، ومقر استرشاد واستفتاء، ومستودع أمانات يخاف عليها من النهب. وكانت مدرسة أعلى مستوى من مدرسة المسجد ومحل إطعام الطعام في المجاعة أو حتى عند الخصاصة العادية...وفي المجال الزراعي كان المرابط يبارك الزراعة وأعمالها ويتلقى مقابل ذلك جزءاً معلوماً من المحصول". التوفيق أحمد، م.س. ص.441.
3- "تغلب النصارى على المسلمين في الأندلس وساموهم سوء العذاب، ثم امتدت أطماعهم إلى احتلال الثغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن. هنالك بدأت الزوايا تتدخل في شؤون البلاد السياسية وتدعو إلى الجهاد ومقاومة الأجنبي. ووجد نداء الصوفية آذاناً صاغية...ونصب رجال الزوايا الشريف أبا عبد الله القائم السعدي (915-923هـ/1510-1517م) ملكاً على المغرب" انظر: حجي محمد، م.س. ص.25-26.
4- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000. ص.138.

5 - Walter B. Haris, **Le maroc au temps des sultans**, traduit par paul odinot, dar al aman, rabat, 2016. P.255.

بدوره بالأرض وإجراء المياه، وحث مريديه على ذلك كأبي محمد عبد الله بن ساسي مؤسس زاوية بن ساسي وعبد الله بن حسين الأمغاري مؤسس زاوية تامصلوحت¹.

بناء على ما سبق يتضح أن مؤسسي زوايا حوز مراكش مثل: سيدي رحال، بن ساسي وعبد الله بن حسين قد اهتموا بالمجال الفلاحي امتثالا لوصايا شيوخهم وضمانا لتحقيق الاستقرار المادي لزواياهم، وهو ما تم بالفعل خاصة بالنسبة لزاوية تامصلوحت التي استطاعت تحقيق أرباح مهمة من المجال الفلاحي وتوسيع مشاريعها الزراعية حتى أصبحت أهم منتج للزيتون في حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر².

تطورت مؤسسة الزاوية خلال القرن التاسع عشر بالخصوص فأصبحت تجمع بين الوظيفة الدينية والاجتماعية وكذا الاستقرار السياسي³، وهذا الأخير هو ما كان ينشده المخزن لاحتواء المجالات البعيدة عن نفوذه وتحقيق التوازن المطلوب.

وبهذا تمكنت بعض الزوايا خلال الفترة المدروسة من تشكيل رأسمال رمزي مهم لقاء خدماتها اتجاه القبائل والمخزن، سواء تعلق الأمر باستقبال المتبركين بالولي وما كانت تفرضه هذه الزيارة من طقوس وهبات مادية، أو إطعام الفقراء والمحتاجين، وكذا التحكيم بين القبائل، إلى جانب ولائها لسلطة المخزن واستفادتها من إنعاماته، الأمر الذي مكنها من اكتساب "شروط السلطة الرمزية ومقومات الثراء المادي"⁴.

هكذا إذن انطلقت الزوايا من رأسمال رمزي ديني (المقدس) لتكون بعد ذلك رأسمال رمزي مادي⁵. فأين تموقعت زوايا حوز مراكش؟ وما علاقة موقعها بعنصر الماء؟ وما مدى ارتباط هذه المؤسسة بالمخزن خلال القرن التاسع عشر؟ وكيف تمكنت بعض زوايا

¹- جلاب حسن، دراسات مغربية في التراث، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م. ص.243-244.

²- PASCON, P, T1, op.cit. P.289.

³- إن الفصل بين المقدس والسياسي يصعب منهجيا، ولكن ما يمكن تصوره هو نسبة غلبة أحد الوصفين على الآخر، بمعنى هل انطلق المؤسسة تم بدافع ديني أم سياسي واحتكار للسلطة. انظر: ضريف محمد، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى 1992. ص.44.

⁴- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، جامعة ابن زهر، طباعة ونشر سوس، أكادير، 2012. ص.57.

⁵- PASCON, P, La maison d'Illigh, ellor, rabat,1984. PP.23-44.

الحوز من تكديس رأسمال رمزي مائي مهم؟ وما أبرز الصراعات المائية التي عانت منها مؤسسة الزاوية؟

للإجابة عن هذه الإشكالات تم تقسيم الباب إلى ثلاث فصول لإبراز بعض القضايا التي من شأنها الكشف عن العلاقة الجدلية بين الماء والزاوية، بدءاً بمواقع تأسيسها بالقرب من الماء وصولاً للرأسمال الرمزي المائي الذي تمتعت به بعض زوايا حوز مراكش والتراكم الذي حققته خلال القرن التاسع عشر، وختاماً الوقوف عند الصراعات المائية التي عانت منها بعض الزوايا خاصة فترات الجفاف وكيف تم تدبيرها وحلها. اعتمدنا في ذلك على معطيات ورصيد وثائقي بالأساس في ظل غياب دراسات وأبحاث تناولت الموضوع بإسهاب.

الفصل الأول: الماء ونشأة الزاوية بحوز مراكش

أعطى الإنسان للماء هالة من القدسية ونسج حوله عدة خرافات، فقد رأى في غيابه نوعا من العقاب، وهو ما أكده السلطان عبد الرحمان بن هشام سنة 1836م في رسالة بعث بها إلى المهدي الشرادي شيخ الزاوية الشرادية بقوله: "وقد بلغنا من غفلة الناس من الله وتفريطهم في جنب الله وإعراضهم عن أداء ما فرض الله عليهم...وقد علمت أن سبب نزول المصائب غالبا من احتباس الأمطار وغيرها التفريط في الدين"¹، يتضح أن السلطان ربط الجفاف وقلة المطر بعقاب الله للناس جراء الابتعاد عن دينهم.

احتلت مؤسسة الزاوية في المغرب مكانة مهمة سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية، ومن هنا نستحضر عنصر الماء، فقد دفع الجفاف بالمغاربة إلى جانب إقامة صلاة الاستسقاء اللجوء إلى الزوايا والتبرك بالأولياء لاستئزال المطر²، حيث ساد الاعتقاد أن لشيوخ الزوايا "البركة" التي من شأنها مساعدتهم في التغلب على الظروف الصعبة المتمثلة أساسا في الجفاف وما تلاه من مجاعات وأوبئة. فأين تأسست الزوايا وما الدور الذي لعبه عنصر الماء في اختيار موقعها؟ وما العلاقة التي كانت قائمة بينها وبين مؤسسة المخزن في حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

1- ظهير السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى المرابط المهدي الشرادي، بتاريخ 16 رمضان 1252هـ/ 24 دجنبر 1836م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A15-008 .

2- "أحاط الناس الزاوية بعالم التقديس وتحولت خلواتهم إلى مزارات تقام فيها المواسم ويستسقى فيها لاستئزال المطر". انظر: البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17م دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، آفاق متوسطة، الدار البيضاء، 1994. ص.124.

1. لمحة تاريخية عن بعض زوايا الحوز

قبل الحديث عن موقع الزوايا وشروط إحداثها لا بد من الوقوف عند تاريخ تأسيس بعضها في حوز مراكش (زوايا تامصلوحت، بن ساسي، سيدي رحال...) ¹، نظرا للدور المهم الذي اضطلعت به خلال مختلف المراحل التاريخية، فقد كانت تشكل مناطق حصانة وملاجئ ²، سواء تعلق الأمر بالهاريين أو المهاجرين أو اللاجئين الذين خضعوا للزاوية وقدموا لها الولاء (ذبيحة- الزواك...) فكيف تأسست هذه الزوايا ومن هم مشيدوا بناءها؟

1- زاوية تامصلوحت ³: تأسست هذه الزاوية على يد أبو أحمد عبد الله بن حسين الحسني من شرفاء بني أمغار ⁴، أصله من تيط ولد أواخر القرن الثامن الهجري، من أصحاب الشيخ الغزواني حسبما جاء في ممتع الأسماع، وصفه صاحب الدوحة بـ "أعجوبة الدهر الشيخ الولي ذو المناقب التي لا تحصى" ⁵.

وحول تأسيس الزاوية تتكرر رواية مفادها أن عبد الله بن حسين ذهب رفقة الشيخ الغزواني ⁶ إلى تامصلوحت على بعد نصف مرحلة من مدينة مراكش، وهي يومئذ خالية لا ماء بها ولا عمارة "فالتفت إليه الشيخ وقال له يا عبد الله هذا موضعك وإن الله يحيي عمرانه على يدك فانزل بأهلك وولدك به فقال له يا سيدي اجعل لي سببا استعين به على

1- لعبت زوايا سيدي فارس وستي فاضمة وغيرها من الزوايا المشيدة في الجبال دورا كبيرا في التحكيم القبلي خاصة مسألة المراعي. انظر:

- PASCON, P, T1, op.cit. P.277.

2- عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1408هـ/1988م. ص.219.
3- وقد وصف Aubin منطقة تامصلوحت بأنها عبارة عن مجموعة من البيوت المبنية بالطوب ذات الأسقف المستوية، وتبدو كمدينة مصرية أسوارها مهمة. انظر:

- Eugène aubin, **Le Maroc d'aujourd'hui**, Dar Al Amane, rabat, 2017. p48.

4- تعتبر أسرة بني أمغار من الأسر المعروفة بعلمها حسبما أشار إليه ابن قنفذ بقوله: "وهذا البيت أكبر بيعة في المغرب في الصلاح لأنهم يتوارثونه كما يتوارث الناس المال، وقد دخلت بلدهم ورأيت أبناء بني أمغار نفع الله بهم وبأسلافهم" انظر:

- أبي العباس أحمد الخطيب (ابن قنفذ)، أنس الفقير وعز الحقيير، تصحيح ونشر محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965. ص.21-22.

5- الفاسي محمد المهدي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، مخطوط بدون تاريخ. ص.66.
- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، دار الغرب، الرباط، 1977. ص.104.

6- "وقيل أنه في ابتداء أمره وانتصابه للخلق بعد شيخه بمراكش ثم لما كثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل ناحية أرسل إليه السلطان أبو محمد عبد الله الغالب إما أن تخرج عني أو أخرج عنك فخرج من فوره إلى تامصلوحت وكان وقت الحر فتبعه الحمام فكان من أمره ما ذكر" انظر: الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.68.

- الناصري، الاستقصا، ج5، م.س. ص.26.

هذا الشأن فقال له الشيخ إن الله تعالى جعل لك الحكم على كل طير يؤذى فلا يدعى إليك طير يؤذى إلا أجاب وأن الله جعل لك حكمة في المرأة العقيم أنها تلد إذا أكلت طعاما مسته يدك فالزم مقامك بهذا المكان فإن الله ينفع بك الناس"¹.

يتضح من خلال هذا النص كرامات عبد الله بن حسين مؤسس الزاوية المصلوحية، المتمثلة أساسا في إبعاد الطيور المؤذية وكذلك شفاء المرأة العقيم²، ما ساهم في انتشار صيته واستقطابه لعدد كبير من الناس، وهو ما أقلق السلطان أبو عبد الله الشيخ فأمر عبد الله بن حسين سنة 958هـ / 1551م بالخروج من مراكش - ما عرف بامتحان أرباب الزوايا-، وسبب ذلك حسب الناصري الخوف "على ملكه منهم لما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة والوقوف عند إشاراتهم، التعبد بما يتأولونه من عباراتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبي عبد الله القائم لم تنعقد إلا بهم، ولا ولج بيت الملك إلا من بابهم، فامتحن جماعة منهم كالشيخ أبي محمد الكوش، فأخلى زاويته بمراكش وأمر برحيله إلى فاس"³.

وحول وفاة عبد الله بن حسين نجد في المصادر تواريخ مختلفة فمنها التي رجحت وفاته سنة سبع وسبعين وتسعمائة⁴ ومنهم من رجح يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وتسعمائة⁵ وقيل كذلك توفي سنة ست وسبعين وتسعمائة⁶.

أدرك خلفاء عبد الله بن حسين -سواء تعلق الأمر بابنه وخليفته على الزاوية أبو العباس أحمد⁷ أو مجدد الزاوية ومنقذها من التفكك والضعف محمد بن سعيد¹ الذي تقدم

1- الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.ص. 66-68. - الشفشاوني محمد، م.س. ص.ص. 104-105.

2- بعد استقرار عبد الله بن حسين بتمامصلوحت "انتشر صيته وقصدته الوفود وظهرت على يده الخوارق التي لا تحصى منها إن الطير المؤذي كالبرطال والجراد ونحوها إذا نزل بفدان زرع أو بالكرم من الجنات تكتب دعوته إلى الشيخ في رقعة وتجعل في قسبة وترفع في الفدان فإن الطير يرحل من حينه قال ولقد رأيت أهل الفدان يجعلون وظيفا على أزواجهم في الحراثة أخماسا وأعشارا ثم يصرف ذلك لزاوية الشيخ ويطعم بها وبسبب ذلك دفع الله عنهم ضرورة الطير فهم يفعلون ذلك إلى اليوم وهذا شائع ذائع في تلك الأوطان كلها" انظر: الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.ص. 66-68.

3- الناصري، ج5، م.س. ص. 26.

4- وهو التاريخ الذي أكده الناصري. نفسه. ص. 88.

5- الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.ص. 66-68.

6- الشفشاوني محمد، م.س. ص. 107.

7- وصف صاحب الدوحة الذي عاصره وتقرب من شخصيته وخصاله بقوله: "وله في الإيثار وبسط الموانسة وحسن العشرة آثار جليلة صحبتته مدة مديدة وحمدت صحبتته وشكرت أفعاله الجميلة ولقد حضرت عنده بزاوية أبيه في بعض المواسم، فرأيت العجب من ازدحام الخلق عليه وكثرة الوفود، وقد ذبح لهم بين يوم وليلة سبعمئة شاة من الغنم ومائتين من البقر ونحو عشرين من الإبل، ومطابخ الطعام شيء لا يقدر على وصفه ". الشفشاوني محمد، م.س. ص. 107.

الزاوية خلال الفترة الممتدة ما بين 1872-1908م-، أهمية التقرب من السلطة المركزية وتقديم الولاء لضمان استمرارية الزاوية، فحظيت نتيجة ذلك بحماية المخزن عبر استصدار مجموعة من ظهائر التوقيع والاحترام خاصة عهد الدولة العلوية، ما ساهم في استمرار الزاوية بحوز مراكش إلى حدود اليوم، وتكديسها رأسمال رمزي وثروات مهمة، تمثلت أساسا في الأراضي الزراعية وما ارتبط بها من حصص مائية راكمتها الزاوية منذ العهد السعدي.

2- زاوية كيك "مولاي إبراهيم": أسسها إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسين المصلوحي (حفيد عبد الله بن حسين مؤسس زاوية تامصلوحت)، المعروف بـ "مولاي إبراهيم طير الجبل"، وعن تاريخ ولادته فهو غير معروف باستثناء ما ذكره الإفرائي كونه "ولد رحمه الله عام واحد وألف"²، تربى إبراهيم الأمغاري تربية صوفية وعلمية في زاوية جده بتامصلوحت على يد كل من أحمد المنجور³، عبد الله بن علي وعيسى السكتاني.

استقر مولاي إبراهيم بمنطقة كيك وبالضبط عند مدشر إمين اغيسي⁴، بعد فراره من السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذي حاول القبض عليه لما انزعج من تنامي مكانته الاجتماعية والشهرة التي أصبح يتمتع بها في مراكش⁵، فغادر مولاي إبراهيم مراكش -كما فعل جده عبد الله بن حسين من قبل- نحو زاوية تامصلوحت قبل أن ينتقل إلى خلوته بجبل كيك حيث أسس زاويته، وهو ما أكدته جنوبي في دراسته حول الأولياء بقوله: "كان زيدان

1- يعتبر محمد بن سعيد المصلوحي حسب الأستاذ المازوني مجدد الزاوية والمحافظ على مصالحها بل "تختزل شخصيته تاريخ الزاوية بأكمله فقد استطاع الحفاظ على مصالح الزاوية" ويضيف الباحث أن محمد بن سعيد أصبح المالك الوحيد للأراضي المجاورة التابعة للزاوية انظر: المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص. 57.

- Eugène, A, op.cit. P.48.

2- الإفرائي محمد، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004. ص. 150.

3- من أبرز علماء عصره توفي سنة 995هـ/ 1587م "وخلفه ولده العالم المدرس سيدي محمد، وخلف سيدي محمد هذا ولده القاضي الجليل العلامة الأثيل سيدي محمد... وكان سكناه بموضع من عدوة فاس القرويين وهو المسمى بدرب القاضي". انظر: القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج1، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977. ص. 55-56.

4- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص. 46.

5- تمكن المولى إبراهيم الأمغاري من توسيع قاعدة نفوذه مستغلا الأزمة التي تلت وفاة أحمد المنصور، واستغل هذه الظروف لتشكيل توجهه الصوفي معتمدا على حرفيي مراكش خاصة الدباغين منهم، فداع صيته وأصبح يطلق على أتباعه بطائفة المصلوحي. انظر: المازوني محمد، مادة "الأمغاري إبراهيم"، معلمة المغرب، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1991. ص. 768.

يخاف على نفسه من التفاف الناس حول شيوخ التصوف وهكذا فعندما اشتهر أمر إبراهيم الأمازيغي وتوسم الناس فيه الخير فاجتمعوا عليه... أمر زيدان بالقبض عليه فخرج من المدينة إلى كيك من بلاد سجتانة¹.

أشارت بعض الدراسات إلى معارضة السكان المحليين إيواء مولاي إبراهيم خشية من المخزن السعدي واشترطوا عليه عدم الاختلاط بهم أو دخول أسواقهم وعدم استغلال أراضيهم ومياهم²، ولعل هذا الأمر هو الذي جعل من زاوية مولاي إبراهيم الوحيدة ربما في حوز مراكش التي لم تعتمد على الأرض والماء كمورد مالي للزاوية³.

تخلص مولاي إبراهيم من مضايقات المخزن بمجرد وفاة السلطان زيدان (1037هـ/1627م)، واستعاد نشاطه الصوفي حيث حظي باحترام القبائل المجاورة فأصبح بذاك الحکم بين فخذات قبيلة سكتانة.

توفي مولاي إبراهيم سنة 1072هـ/1662م، وخلفه على الزاوية ابنه محمد الوافي، وبهذا أصبحت زاوية مولاي إبراهيم بوابة لكيك وانضافت إلى الزوايا الأمازيغية التي تم إحداثها في كل من تيط وابزو وتامصلوحت⁴.

3- زاوية بن ساسي: أسسها أبو محمد بن عبد الله بن ساسي البوسبعيني كان من أكابر المشايخ الأعيان وصاحب الشيخ أبو محمد عبد الله الغزواني وأبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي⁵، عرف أيضا بكونه من أهل الخير والفضل والصلاح له مآثر جمة.

كان ابن ساسي كباقي شيوخ الشاذلية الجزوليين في عصره منصرفا إلى الجهاد وتربية المريدين وتهذيبهم، لهذا اشتهر في مجال التصوف وكذا مقاومة المحتلين البرتغال، حيث وقع أسيرا لدى النصارى بمدينة أزمو⁶، وذلك "لما أخلى النصارى أزمو تسارع

¹ - جنوبى محمد، الأولياء في المغرب: الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيولوجية: حياة وسير مشاهير أولياء المغرب، منشورات كنال أوجوردوي، الرباط، 2006. ص.70.

² - المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص.46.

³ - PASCON, P, T1, op.cit. P.259.

⁴ - جنوبى محمد، م.س. ص.68.

⁵ - الناصري، م.س. ص.20.

⁶ - الشفشاوني محمد، م.س. ص.110.

إليها جماعة من الفقراء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس، والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي دفين تانسيفت قرب مراكش، فقعدوا بها يحرسونها حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع إليها العدو فإذا به قد رجع واقتحمها عليهم وأسروهم إلى أن افتكهم المسلمون... وكان فداؤهما بألفي ريال ومائتي ريال بالتثنية فيها"¹، وتوفي "ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة"² ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت بمقربة من مراكش.

4- زاوية سيدي رحال³: أسسها أبو العزم رحال الكوش وهو من مشايخ القرن العاشر نزيل أنماي⁴ في حوز مراكش⁵، يعد من كبار شيوخ التصوف ورواد الطريقة الجزولية⁶، كان "مستجاب الدعاء له منه سهم صائبة وكراماته شائعة ذائعة أخبرني ولد له أنه كان يعيش على نبات البرية ويدخر زريعة الخردل لقوته لكونه تعود ذلك توفي في آخر العشرة الخامسة ودفن بزاويته في أنماي وكانت له شهرة عظيمة في الخلق"⁷.

¹ - الناصري، م.س. ص.20.

² - الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.82-83.

³ - عرف أولاد سيدي رحال بشرب الماء المغلي والمشي على الأشواك. انظر:

- PASCON, P, T1, op.cit. P.259.

⁴ - أنماي اسم المنطقة قديما أما اليوم فتعرف سيدي رحال نسبة إلى الزاوية التي أسسها رحال الكوش، وعموما تقع المنطقة ضمن مجال قبيلة زمران الرابطة بين مراكش ودمنات، تبعد عن مدينة مراكش بحوالي 50 كلم نحو الشرق بمحاذاة الحاشية الشمالية للأطلس الكبير وتقع على الضفة اليمنى لمخروط واد غدات أحد أهم روافد واد تانسيفت. انظر: الأكلع محمد، مادة "سيدي رحال"، معلمة المغرب، ج15، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002. ص.5210.

⁵ - انظر:

- السملالي ابن إبراهيم العباس، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، ج3، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1975. ص.223-224.

- الشفشاوني محمد، م.س. ص.101.

⁶ - الوارث أحمد، مادة "الرحالية"، معلمة المغرب، ج13، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001. ص.4293.

⁷ - الفاسي محمد المهدي، م.س. ص.50.

عاصر رحال الكوش قيام الدولة السعدية ودخول زعمائها إلى مراكش، وكان مساندا لسلطتهم بهدف تحرير الثغور المحتلة كما مهد للأميرين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ دخول مراكش¹.

عرف رحال الكوش بمعارضته لسلطة المخزن السعدي بعد إعلان فرض ضريبة النائية على الزوايا والمرابطين وإقرار نظام جبائي جديد²، وأعلن رفقة مشايخ الزوايا الثورة والخروج عن الطاعة، حينما استشعر خطورة تلك الإجراءات الجبائية وانعكاساتها الوخيمة على الموارد الاقتصادية للزوايا، وقد توفي سنة 949هـ/ 1542م بأنماي، حيث يوجد ضريحه الذي بات محجا للعديد من الزوار والمرضى من مختلف ربوع المملكة.

5- زاوية الشرادي: تأسست هذه الزاوية على يد أحمد بن عبد الله³ بن مبارك الشرادي الزراري نسبة إلى قبيلة زرارة إحدى قبائل الكيش بحوز مراكش، وهو تلميذ أحمد ابن ناصر شيخ الطريقة الناصرية⁴، نجح في استقطاب أتباعه وتكوين زاوية بحوز مراكش على بعد نصف مرحلة من المدينة في اتجاه الغرب⁵، وبعد وفاته سنة 1160هـ/ 1747م خلفه ابنه محمد الذي أسس فرعا للزاوية بمدينة فاس⁶.

تولى أمر تسيير الزاوية بعد وفاة محمد الشرادي (1212هـ/ 1798م) ابنه المهدي الذي ادعى أنه المهدي المنتظر⁷، ودارت بينه وبين المخزن عدة معارك بسبب إيواء

1- الوارث أحمد، مادة "البدالي سيدي رحال"، معلمة المغرب، ج4، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1991. ص. 1102.

2- صاحبت عملية فرض النائية إجراءات صارمة لم تستثن العلماء بل امتدت إلى قتل أبنائهم، ونسائهم وما حل بقبيلة مزاب من نكبات، منها إيقاع السلطان بهم في 23 شعبان 1202 هـ/ 18 ماي 1788م، وإيقاعه في السنة الموالية (شعبان 1203 هـ/ ماي 1789م) بقبائل بني مسكين، لرفضهم أداء "النائية" والإتاوات المستحقة عليهم.

3- "تتلمذ على يد علماء من أشهرهم الإمام سيدي أحمد بن ناصر الدرعي نفعا الله به وبالجمل، فله أتباع وصيت كبير، وذكر علي قوي شهير" انظر: القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج4، م.س. ص. 59.

4- عمالك أحمد، مادة "الشرادي أحمد"، معلمة المغرب، ج16، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002. ص. 5322-5323.

5- المنصور محمد، مادة "الشرادي"، م.س. ص. 5322.

6- حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، ج6، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ/ 1996م. ص. 1160.

7- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص. 18.

الزاوية للهاربيين من العدالة¹، قاد بعض هذه المعارك السلطان سليمان²، غير أنه انهزم أمامها³.

يتضح من خلال هذه النبذة التاريخية عن زوايا حوز مراکش، أن إحداثها ارتبط بظهور كرامات مؤسسيها واستقطابهم لنسبة كبيرة من الأتباع، كما يمكن ملاحظة تأرجح العلاقة بين المخزن ومؤسسي الزوايا بحوز مراکش بين المجابهة والولاء، فأمام تنامي نفوذ الزوايا وكثرة أتباعها -خاصة وأن المغاربة أولوا احتراما وتقديرا وولاء كبيرا لأوليائها- عمد المخزن إلى طرد بعض شيوخها خارج مراکش كما حدث بالنسبة لعبد الله بن حسين (تامصلوحت)، مولاي إبراهيم وسيدي رحال.

وقد أدرك خلفاء مؤسسي الزوايا ضرورة تحسين علاقتهم بالمخزن وتقديم الولاء لمؤسسته لضمان استمرارية الزوايا بحوز مراکش، ولعل أبرز مثال على ذلك هو الزاوية المصلوحية. فأين تموقعت زوايا حوز مراکش؟

1- أشار الباحث أوبان aubin أن زاوية الشراي أصبحت الأهم في الحوز خلال مشيخة المهدي الشراي، فبدأت تغلق المخزن ما دفعه إلى مهاجمتها عهد المولى سليمان وتخريبها عهد المولى عبد الرحمان بن هشام. انظر:

Eugène, A, op.cit. P.182.

2- أورد السلطان المولى سليمان في إحدى رسائله الاختلاف الواقع حول زيارة قبور الصالحين، ونص الرسالة كالآتي: "أن ذلك ليس من طريق القوم أي الصوفية وذكر ابن العربي من علماء المالكية أنه لا يزار قبر لينتفع به غير قبر نبينا صلى الله عليه وسلم... وإذا كره مالك دعاء العوامل عند القبر الشريف فما بالك بغيره من قبور الصالحين فإن زيارة العوام قبور الصالحين لا يخلو غالبا من سوء مقالات وظهور جهالات ومنعهم منها حتى يعلم ما يقولون سنة 1226هـ" انظر:

- سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي رقم: 60، رسائل مولاي سليمان العلوي 1760-1822، ج1، م.س. ص.ص. 24-26.

3- الناصري، الاستقصا، ج8، م.س. ص.ص. 160-164.

II. الماء وموقع الزاوية

تأسست زوايا حوز مراكش بالقرب من مصادر المياه أو المراعي كما هو الحال بالنسبة لزاوية سيدي فارس وستي فاضمة، مما عزز مكانة الزوايا داخل القبائل، وخول لها تدبير النزاعات القبلية عوض اللجوء إلى المخزن الذي ارتبط لدى البعض بالتهب والظلم¹. فأين تموقت زوايا حوز مراكش؟ وما مدى ارتباطها بعنصر الماء؟ وكيف ساهم الموقع في استمرارية الزاوية؟

يغيب الحديث في المصادر والمراجع عن شروط محددة لتأسيس الزوايا عكس تخطيط المدن، ولعل مرد هذا الأمر ربما لاختلاف مواقع هذه الزوايا وهو ما لامسناه في مجال حوز مراكش فمنها المشيدة في المناطق السهلية وأخرى متمركزة بالجبال المرتفعة نسبيا.

اختصر الأستاذ المازوني شروط تأسيس الزوايا أثناء حديثه عن موضع زاوية تامصلوحت في رمزين: الأول وجود ضريح لولي موحد مجهول الهوية كان له السبق في عملية تطهير أولى، والربط بين هذا التطهير وسبب تسمية المنطقة بتامصلوحت أي الصلاح والإصلاح²، أما الرمز الثاني وهو الأهم فيتمثل في كون المجال كان زراعيًا وبه مياه، ولعل هذا هو السبب الرئيسي وراء استقرار عبد الله بن حسين في المنطقة.

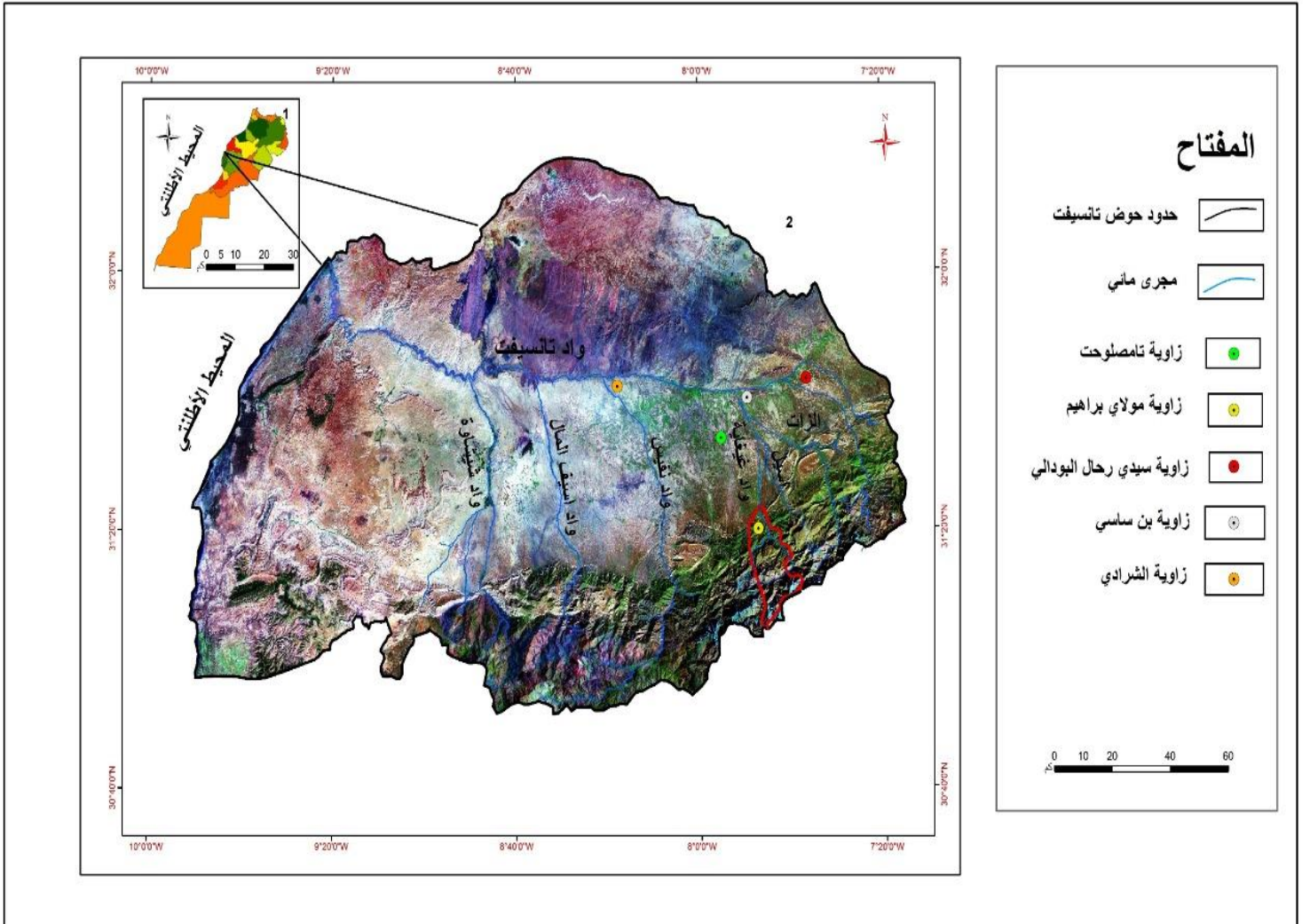
ولخص حسن جلاب قوة الزاوية في موقعها "إما على الشاطئ أو على طريق تجاري مهم، أو على جانب نهر"³، يتضح من خلال هاتين الإشارتين تكرار شرط وجود المياه لبناء الزوايا. فهل امتثلت زوايا حوز مراكش لهذا الشرط؟ للإجابة عن هذا السؤال قمنا بإنجاز بعض الخرائط والرجوع للمصادر التي توضح موقع بعض زوايا الحوز موضوع الدراسة، لنرى هل فعلا تم اختيار موقعها بناء على قربها من عنصر الماء أم لا؟

1- اليوبي لحسن، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1998. ص. 361.

2- أشار الباحث كذلك إلى أن تامصلوحت هو: "موضع المشيخة القديم الذي يعود إلى ما قبل التاريخ وهي رسوم صخرية تؤرخ لوجود بشري قديم". انظر: المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص. 106.

3- جلاب حسن، الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 1994. ص. 55.

خريطة رقم 2: صورة جوية توضّح موقع بعض زوايا حوز مراكش



المصدر: عمل شخصي

يتضح من خلال الخريطة أن معظم الزوايا التي تناولتها الدراسة تقع بالقرب من مصادر المياه، وهو ما لخصه الجدول التالي:

جدول رقم 7: موقع الزوايا بالقرب من مصادر الماء بحوز مراكش

الزاوية	بعدها عن مدينة مراكش	المجرى المائي الذي تنتمي إليه
زاوية تامصلوحت	20 كلم	وادي غيغاية
زاوية مولاي إبراهيم	45 كلم	وادي غيغاية (أسيف نيرهيرين)
زاوية بن ساسي	16 كلم	واد الزات
زاوية الشرادي	37 كلم	واد نفيس- واد تانسيفت.

يتضح إذن أن موقع الزاوية لعب دورا كبيرا في استمرارها، بحيث أن وجودها بالقرب من مصادر المياه أو الطرق التجارية أمن لها المداخل المالية اللازمة للقيام بوظائفها الدينية والاجتماعية خاصة، كما لعب عدم اختيار الموقع المناسب أو تغير الطرق التجارية دورا في اندثار عدد من الزوايا، لذلك يبقى شرط الماء الأهم لإحداث الزاوية. فهل أكدت الإشارات التاريخية هذا الأمر؟

تعتبر زاوية تامصلوحت من أهم زوايا الحوز، تقع على بعد 20 كلم من مدينة مراكش بالقرب من ضفاف وادي غيغاية، ويلاحظ أن شرط الماء موجود منذ تأسيسها، حيث كان هدفها الجوهري استصلاح الأراضي وإحياء مواتها، فأصبحت تامصلوحت عبارة عن مجال تغطيه أشجار الزيتون التي ترجع فترة غرسها على الخصوص إلى مشيخة مولاي الحاج المصلوحي المعروف باسم محمد بن سعيد (1872-1908م) وكذلك باسم شريف تامصلوحت¹.

نشأت زاوية مولاي إبراهيم وهي تابعة يومئذ لتامصلوحت في منطقة كيك بالقرب من المجرى المائي المسمى عند مجرى مولاي إبراهيم بـ أسيف نيرهيرين asif n'irhiraine أي نهر غيغاية²، أو ما يسمى في بعض الدراسات بوادي مولاي إبراهيم نسبة إلى زاويته

¹- Eugène, A, op.cit. P47.

²- PASCON, P, T1, op.cit. P.32-33.

حسب ما أشار إليه إدموند دوتي "وعند ما صرنا في السفح الذي تقوم فيه الزاوية، عبرنا وادي مولاي إبراهيم... وليس فيه من الماء إلا نزر قليل"¹.

أما زاوية الشرادي فتقع غرب ضفاف واد نفيس وشمال تانسيفت ضواحي مراكش على بعد 37 كلم، أي جاءت بين مصدرين للمياه، وتتميز هذه المنطقة بوجود مجموعة من الزوايا كسيدي الزوين (32 كلم من مراكش) التي داع صيتها بعد تدمير زاوية الشرادي واعتبرها بعض الباحثين في مقدماتهم باسكون خليفة لها². وتقع زاوية بن ساسي على بعد 16 كلم من مدينة مراكش، وتبعد بحوالي كيلومترين من ساقية لعوينات المشيدة على مياه واد الزات المارة بين مسفيوة وغيغاية³.

وعموما عندما نلاحظ موقع الزوايا⁴ على الخريطة يظهر تركزها الشديد عند مصادر المياه سواء تعلق الأمر بواد نفيس، تانسيفت، غيغاية أو الزات.

¹- دوتي ادموند، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة عبد الرحيم حزل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2015. ص.102.

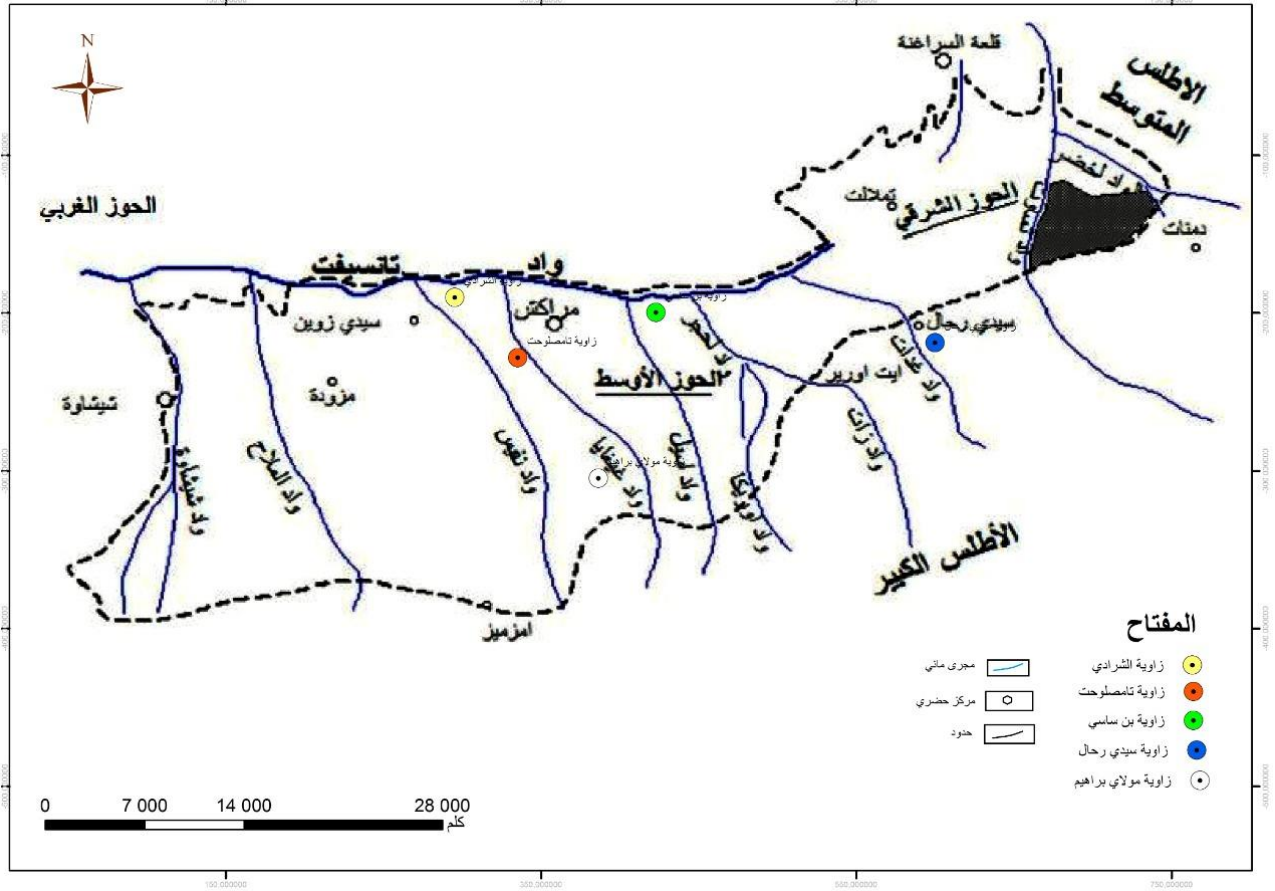
²- PASCON, P, T1, op.cit. P.372.

³- ibid. P.36.

⁴- وحول نسبة الزوايا في حوز مراكش حسب الإحصاءات التي قدمها بول باسكون نجد 40% منها في الحوز ونسبة 60% في مدينة مراكش.

- ibid. P.260.

خريطة رقم 3: موقع الزوايا بحوز مراکش.



المصدر: عمل شخصي.

يمكن إبداء بعض الملاحظات من خلال الخريطة أعلاه وهي تركز الزوايا بالقرب من الماء، وفي المجالات الوسطى الفاصلة بين قبائل الحوز، مما خول لها التقرب من القبائل ولعب دور الوساطة بينها وبين المخزن إلى جانب وظيفة التحكيم، وعلى اعتبار الهدف الأساسي لبعض الزوايا هو إحياء موات الأراضي فقد ساعدها موقعها بالقرب من مصادر المياه في إنعاش المجال و مد القنوات وحفر وصيانة الخطارات كما هو الحال بالنسبة لتماصلوحت.

III. الزاوية والمخزن

يأتي إيراد هذه النقطة ضمن الفصل الأول بغية التمهيد للفصول المقبلة من الباب الثاني، فلا يمكن الحديث عن الصراعات المائية أو الرأسمال الرمزي المائي لمؤسسة الزاوية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر دون توضيح العلاقة التي ربطتها بمؤسسة المخزن. ولعل أبرز سؤال يمكن طرحه في هذا الإطار هو: ما العلاقة التي ربطت الزاوية بالمخزن؟

تأرجحت العلاقة بين مؤسستي الزاوية والمخزن بين المجابهة والولاء -وهو ما أثر على العلاقة الرابطة بينهما في ما يخص عنصر الماء-، وعلى العموم فقد اعتبر المخزن مؤسسة الزاوية تابعة لسلطته، كما وضح ذلك في عدة رسائل تناولت موقف المخزن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الرافض للحماية القنصلية¹ لشيوخ الزوايا على اعتبارهم خداما للسلطان والمخزن، منها الرسالة التالية: "أما دعوى الحماية فقد أجاب عنها سيدنا أيده الله بأنه لا يخفى أن الشروط حاكمة بأن جميع من كان متلبسا بالخدمة المخزنية بأنواعها كائنا من كان لا يسوغ حمايته سواء كان عاملا أو أمينا أو شيخا أو مقدم زاوية"²، يتضح من خلال نص الرسالة أن المخزن اعتبر الزاوية تابعة لنفوذه، غير أن ما تجب الإشارة إليه هو أن ولاء الزوايا ارتبط بمدى قوة المخزن في المجال، فكلما كان حضوره قويا كان ضبطه لمؤسسة الزاوية موفقا وجعل من مقدميها وشيوخها خداما له

1- ترجع أقدم الإشارات التاريخية حول الحماية القنصلية إلى عهد سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790م)، حيث اعترف المغرب منذ سنة 1767م ببعض الامتيازات لصالح فرنسا، فيما يخص رعاية القناصل للخدم والمترجمين وغيرهم من العاملين معهم، ثم شملت فيما بعد باقي الدول الأخرى، وقد استمرت الضغوط الأجنبية على المغرب منذ هذه الفترة إلى أن انتهت بتوقيع "اتفاق السماسرة" المعروف أيضا "بوفق بكلار béclard" سنة 1863م، وبموجبه تم بسط الحماية القنصلية على مزيد من الرعايا المغاربة، وإعفاثهم من جميع أنواع الضرائب والكلف المخزنية. انظر:

- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج3، م.س. ص. 281.
- الخديمي علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910م حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1994. ص. 157.

- كريدية ابراهيم، الحماية أصلها وتطوراتها، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1989. ص. 12.
- الحارتي تركي عجلان، تهافت المسلمين على الحماية الأجنبية في المغرب الأقصى، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مجلة كلية الآداب ظهر المهرز فاس، مطبعة سيباما، 2001. ص. 247-251.
- وعن كيفية منح الحماية الأجنبية واستفحاليها وكذلك تأثيرها على المستوى السياسي خاصة. انظر: كنيبي محمد، المحميون، جامعة محمد الخامس أكادال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي رقرق، الرباط، الطبعة الأولى 2011. ص. 91-92.

2- بن الصغير خالد، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856-1886م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الثانية، 1997. ص. 485.

ووسطاء بينه وبين القبائل البعيدة عن نفوذه¹، في حين اعتبرت الزاوية نفسها مؤسسة مستقلة، وما كانت تحصل عليه من امتيازات مخزنية ما هو إلا نصيبها مقابل الخدمات (الوساطة- التحكيم) التي تقدمها.

وعموما يمكن التمييز بين نوعين من الزوايا الأولى تابعة لنفوذ المخزن وممثلة لسلطته والثانية رافضة لتبعيته والتي لم تدم طويلا أو طالها الإهمال والتخريب كما هو حال الزاوية الشراعية، سنقتصر في هذ المحور على الزوايا التابعة للمخزن ونؤخر الحديث عن المجابهة له إلى الفصل الثالث. فما المجالات التي جمعت الزاوية والمخزن بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

✓ المجال الفلاحي والتجاري:

ربط المخزن علاقة تشاركية مع الزوايا التابعة لنفوذه، وفوض لها تدبير المسائل الزراعية في بعض الأحيان، كما هو الحال حين فسد زرع المخزن بتامصلوحت وطلب من مقدم الزاوية مولاي سعيد تدارك الأمر وتجنب الخسارة ببيعه، وفيما يلي نص الرسالة: "وبعد فإن مولاي سعيد المصلوحي أخبر أن الزرع الذي بتامصلوحت للجانب العالي بالله بمطامير هناك قد دخله الفساد وبدا فيه التغير لكونه بها من أيام سيدنا المقدس بالله ويأمرك سيدنا أيده الله بتدارك أمره إما بالبيع أو السلف ولا بد"².

اعتنت الزوايا في بعض الأحيان بأمالك المخزن تقريبا منه للاستفادة من دعمه وحمايته، وهو ما أشارت إليه إحدى الرسائل المخزنية الموجهة إلى مقدم زاوية تامصلوحت سعيد بن محمد سنة 1823م بما يلي: "وما أخبرت به من مباشرتكم ساقيتنا الجديدة وعدم غفلتكم عنها فذاك هو الظن بكم جزاكم الله خيرا"³، ويمكن تفسير ما قام به سعيد بن محمد من صيانة ساقية المخزن وعدم الغفلة عنها كما جاء في الرسالة بكون الزاوية المصلوحية

1- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص 96.

2- رسالة من محمد بن داني إلى السيد أحمد بن الطاهر بتاريخ 26 رمضان عام 1281هـ/ 21 فبراير 1865م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 2.

3- رسالة من محمد بن إدريس إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي، بتاريخ 19 شعبان 1238هـ/ 1 ماي 1823م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

كانت غارقة في الديون منذ عهد والده، فكان من الضروري التقرب للمخزن وتقديم الولاء له حتى انقضاء دين زاويته، وهو ما أشارت إليه بشكل غير مباشر نفس الرسالة "وما ذكرت من أن الله سبحانه أصلح غابة الزيتون في هذا العام وأديتم شيئاً مما بذمتكم"¹.

✓المجال الديني والروحي:

دعا السلطان عبد الرحمان بن هشام -باعتباره أمير المؤمنين- الزوايا إلى حث الناس على الرجوع لدينهم، لما بدا منهم من ترك الصلاة وغيرها، وهو ما عبر عنه في رسالة للزاوية الشراعية بقوله: "وقد بلغنا من غفلة الناس من الله وتفريطهم في جنب الله وإعراضهم عن أداء ما فرض الله عليهم ما حملنا على تنبيههم... وإرشادهم لتدارك ما فات بإصلاح ما هو آت... فإذا قرأت كتابنا هذا فمُر أهل كل دوار من إيالتك بجعل مسجد بيد إمام راتب وأجبرهم على إقامة رسوم دينهم وإحياء سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة في أوقاتها... ومن تراخى في ذلك وحاد عن سنن الدين فنعاقبه بحول الله وقوته أشد العقوبة ولا يلم إلا نفسه... وقد علمت أن سبب نزول المصائب غالباً من احتباس الأمطار وغيرها التفريط في الدين فلا بد قم على ساق الجد في هذا"². من خلال هذه الرسالة يتضح أن بعض ساكنة حوز مراكش قد أعرضوا عن أمور دينهم ما دفع بالسلطان إلى دعوتهم لإقامة الصلاة في أوقاتها وتعمير المساجد، كما توعده مخالفي الأوامر السلطانية بأشد العقوبات.

ولعل أهم ما تجب الإشارة إليه من خلال هذه الرسالة هو ربط السلطان احتباس المطر ونزول المصائب بابتعاد الناس عن دينهم، وبالتالي تصبح الدعوة إلى إقامة الصلاة والتضرع إلى الله من أهم الحلول التي من شأنها رفع الضرر كالجفاف وغيره.

عمل المخزن على تشجيع التبرك بصلحاء الزوايا التابعة لسلطته على الخصوص، فقد بعث السيد الخضر رسالة يبين فيها عزمه على زيارة زاوية مولاي إبراهيم والتبرك

¹- رسالة من محمد بن إدريس إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي، بتاريخ 19 شعبان 1238هـ/ 1 ماي 1823م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

²- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى المرابط المهدي الشرايدي، بتاريخ 16 رمضان 1252هـ/ 24 دجنبر 1836م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A15-008.

بضريحها، ونص الرسالة كالآتي: "عن خير سيدنا... وبعد فاعلم أننا بحول الله قوته قصدنا زيارة ولي الله القطب الواضح والصالح الأشهر الذي يأوي إليه القوي والضعيف والشريف والمشروف وعم فضله جميع الأنام سيدي مولاي إبراهيم نفعا الله به... ورأينا من كرمه وفضائله وبركته ما تحير به الأذهان... فالله يكمل المرغوب ويوافينا بالمقصود"¹.

شجع المخزن زيارة الزوايا في أكثر من مناسبة فعلى سبيل الذكر إبان ختام المولى الحسن² لحفظ القرآن، قام والده -السلطان محمد بن عبد الرحمان- بتنظيم احتفال أو ما يطلق عليه باسم "النزاهة" في حدائق أكدال، ثم تلتها زيارة لضريح سيدي يوسف بن علي ومولاي علي الشريف، وحول تفاصيل هذا الاحتفال: "يعلم سيدنا أن مولاي الحسن أخيك جعل له مولانا الختم وأمر بطلوع العلماء والطلباء والشرفاء وجميع الجيش والعسكر للنزاهة بأجدال من الصباح إلى العصر وقدمو به إلى ضريح السيد يوسف بن علي ومولاي علي الشريف لجميع ما ذكرنا من الأناس وأعطاهم سيدنا أعزه الله البارود... ولم يرجعوا من تلك الزيارة إلى المغرب"³. يلاحظ أن السلطان لم يكتف بتنظيم الاحتفال بزيارة الأضرحة بل قام بتوزيع البارود على الحاضرين، وهم كما جاء في الرسالة: العلماء والشرفاء وجميع الجيش والعسكر.

كما أشار المرسل في بداية رسالته إلى استقرار الأحوال بمراكش وأحوالها بقوله: "وبعد فإن سألت عنا وعن تلك النواحي صالحة الأحوال من فضل الله وسعادة مولانا المؤيد بالله وقد علمنا بأن سيدنا نهضت من بلاد ششاوة وصرت في أمان الله فنطلب الله الرب الكريم أن يوجهك للخير وتقضي غرض مولانا أيده الله سالما"⁴. نستنتج من خلال

¹- رسالة من السيد الخضر إلى مهدي بن الجزولي، بتاريخ 8 ربيع الأول 1249هـ / 25 يوليو 1833م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A15-006.

²- عمل السلطان الحسن الأول عند حلوله "بأي بلدة وعند خروجه منها يقع الإعلام لنقباء ومقدمي الأضرحة بيوم الزيارة ليتهيئوا، وفي صباح اليوم يتوجه عريف الجزارة بالقدر المأنون له فيه من رعوس البقر ويوزعه على عدد الأولياء، ويبقى كل فريق في محله إلى أن يأتي السلطان، وعند دخوله للضريح المزور يتقدم كبير الجزارة بالحضرة السلطانية ويتولى أمر الذبح إلى انتهاء الزيارة". انظر: إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص. 615.

³- رسالة من فاتح الشظمي إلى الخليفة أخ السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1290هـ / 11 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A17-001.

⁴- رسالة من فاتح الشظمي إلى الخليفة أخ السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1290هـ / 11 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A17-001.

هذه الرسالة مغادرة ابن السلطان منطقة شيشاوة -ربما كان بها اضطراب- لأن المرسل اعتبر خروج الأمير منها بكونه أصبح بمأمن.

✓ المجال السياسي والعسكري:

من بين الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية إلى جانب الأدوار السالفة الذكر نجد مسألة التحكيم وفض النزاعات، إما بمبادرة منها أو بطلب من المخزن كما أشارت إلى ذلك بعض الرسائل المخزنية نذكر منها الرسالة التي وجهها السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى مولاي سعيد المصلوحي للوقوف مع: "الأخ في الله أب عمك الشريف سيدي مولانا العربي حتى تفصل بينه وبين إخوانه وتنظر ما بينهم من خلاف أو وفاق وتنزل كل منزلته وتقضي لكل ذي حق منهم حقه حتى لا يبقى لأحد منهم على الآخر... وأردنا أن يكون ذلك على يدكم المباركة كي ينجح ويصلح"¹، وبهذا تحولت الزاوية إلى ما يشبه "محكمة للفصل والصلح وترتيب المواثيق وضبط الاتفاقيات"².

لعبت الوساطة التي مارستها الزاوية في النزاعات القبلية دورا مهما في تعزيز مكانتها لدى المخزن، وخول لها النيابة عنه أحيانا في المجالات المتمردة على نفوذه، وهو الأمر الذي وقع سنة 1860م حيث تم الصلح بين ساكنة أمزميز ومروضة على يد مقدم الزاوية مولاي سعيد المصلوحي، فأرسل قائد أمزميز رسالة إلى السيد الطيب بن التملي يخبره بما وقع فأجابه هذا الأخير بما يلي: "وبعد وصلنا كتابك واستفدنا منه ما أخبرت به من هناء إياالك وما وقع بينهم وبين مروضة من الصلح والمهادنة والوقوف عند الحد بواسطة الشريف الأجل مولاي سعيد المصلوحي فذاك المراد نسئل الله أن يوفقهم وجميع المسلمين...وطلبت أن نذكر مولانا في المساجين الذين كنت طلبت من سيادته تسريحهم فأخبره وأكثروا عليك من العارات فاستحييت في مراجعة سيدنا في شأنهم فها هو أيده الله ونصره أمر بتسريحهم لأن مولاي سعيد كتب في شأنهم"³، من خلال هذه الرسالة يتضح

1- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى مولاي سعيد المصلوحي، بتاريخ صفر 1286هـ / 1869م. انظر: - PASCON, P, T2, op.cit. P.48.

2- التوفيق أحمد، م.س. ص.93.

3- رسالة من الطيب بن التملي إلى السيد عمر المزميزي بتاريخ 01 رجب 1276هـ / 24 يناير 1860م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

أنه إلى جانب الصلح الذي وقع بين القبيلتين، تبين أن لمقدم الزاوية مكانة خاصة لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان، بحيث أمر بتسريح مساحين قبيلة أمزميز بعد الطلب الذي تقدم به سعيد المصلوحي، في حين سبق للسلطان أن رفض هذا الأمر -إطلاق سراحهم- لما طلب منه قائد أمزميز ذلك.

ساعدت الزوايا في بعض الأحيان المخزن للقضاء على المتمردين لما قصدوا حرما للاختباء، وهو ما تناولته رسالة السلطان محمد بن عبد الرحمان حول فساد بعض الأشخاص الذين نعتهم بالأوباش، ولما لجؤوا إلى حرم الزوايا قاتلهم شيوخها ووضعوا رأس زعيمهم بباب الحجر في زاوية مولاي إدريس ونص الرسالة كالتالي: "وبعد فتانا من سفيان مرق من الدين وفتن بأمور شيطنته من اغتر به من المسلمين وجمع عليه أوباشا من أمثاله، وإضرابه وأشكاله وتقدم بهم لدار خديما ابن عودة فقتلوه، ثم تقدم بهم الشراردة فقاتلوه، ثم تقدم بهم لزاوية مولانا إدريس فقاتلوه قتالا يرضي الله ورسوله ولم يحصل لهم من قتاله ضجر، ثم قبضوا عليه وقتلوه وعلقوه بباب الزاوية المسمى بباب الحجر، وأغلقوا الأبواب بعد ذلك على من دخل معه من اتباعه، وأنصاره وأشياعه، فقبضوا عليهم وجعلوهم في السلاسل والأغلال ونحن على نية إقامة الحد عليهم"¹. من خلال هذه الرسالة يتضح تعاون الزاوية مع المخزن في القضاء على الفاسدين، على الرغم من أن الزوايا كانت مكانا حرما يلجأ إليها جميع الناس بما فيهم الفارين من العدالة، لكن الزوايا الموالية للمخزن عمدت إلى القبض عليهم للتقرب من هذا الأخير ضمانا لاستمرارها وكذا توسيع ممتلكاتها ونفوذها.

إن العلاقة التي جمعت الزاوية بالمخزن جلعت هذا الأخير في بعض الأحيان ينظم الحركات بشراكة مع كبار الزوايا وهو ما نستشفه من هذه الرسالة: "محبتنا الأعز الأتجد الشريف مولاي سعيد بن محمد المصلوحي... وبعد وصلنا كتابك وصار ببالنا كل ما ذكرت فيه أما الحركة فليست فتيسرت اليوم وقد وجهنا نقيب الأشراف مولاي الكبير بن الطائع

¹- رسالة من السلطان محمد عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 18 شعبان 1278هـ/ 17 دجنبر 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A16-006.

مع عدلين من عدول مراكش في شأن ذلك ولا يكون بحول الله إلا الخير"¹. من خلال نص هذه الإشارة يتضح جليا أن مولاي سعيد كان على علم بالحركة المزمع تنظيمها وما سؤاله عن تحركها إلا دليل على ذلك، وهو أمر غير معهود فغالبا ما كان المخزن يحرص على إبقاء طريق ووجهة الحركة مضمرا حتى عن خدامه من قياد وغيرهم ولا يعلم بأمرها إلا السلطان والميقاتي وبعض الحاشية، وهذا دليل على المكانة التي حظيت بها زاوية تامصلوحت في شخص مقدمها مولاي سعيد عند المخزن.

في نفس الرسالة نجد السيد علي يجيب مقدم تامصلوحت أنه كتب "لولد موسى للحاج عبد الله والقائد عمر الحنشاوي أن يقف كل واحد عند ما حد له وأما كلام البلاد والدار وعأيت يemor فقد تكفل القائد إبراهيم بذلك كن مطمئنا منه ولا يكون إلا ما تحيد إن شاء الله"²، يتبين من خلال الرسالة أن لزواية تامصلوحت مشكل أو نزاع حول مساحة أرضية مع الحاج عبد الله والقائد عمر الحنشاوي وأن السيد علي (كاتب الرسالة) أمرهما بالوقوف عند الحدود المسطرة لهما، وحملت الرسالة أيضا إشارة إلى دار وبلاد أخرى في آيت إيمور وقد تم تكليف قضيتها للقائد إبراهيم والوقوف لصالح الزاوية وفق ما ختم به السيد علي رسالته يطمئن فيها مولاي سعيد المصلوحي بنيل مراده.

وعموما يتضح أن الزوايا مهما كبر حجمها وتوسع نطاق نفوذها تبقى رهينة الخيارات المخزنية³ وبحاجة دائمة لدعمه وسلطته.

¹ - رسالة من السيد علي إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي، بتاريخ 1 شعبان 1216هـ / 7 دجنبر 1801م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-003.

² - نفس الرسالة.

³ - عمدت بعض الزوايا بعد أن داع صيتها إلى بناء فروع تابعة للزاوية الأم في مجالات بعيدة، كما هو الحال بالنسبة للشيخ ماء العينين الذي طلب من المخزن موعضا لبناء فرع لزوايته بمراكش، وفيما يلي مضمون الطلب: "وافاني كتابك الشريف بأن المرباط الخير السيد ماء العينين طلب من علاك الإنعام عليهم بمحل بمراكش يبنون به زاوية لهم وأمرتني بأن انظر له بقعة بيضاء وأمكنه منها وعليه فقد بحثت عن ذلك فلم أعر إلا على محل للجناوب المولوي بباب الفتوح". - يعتبر الشيخ محمد فاضل بن مامين (ماء العينين) من شيوخ الصوفية الذين تتلمذ على أيديهم فطاحل الصوفية وكبار العلماء الصحراويين، حاول بعلمه ونسبه الشريف كسب ثقة الملوك العلويين منذ عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام. انظر: ماء العينين النعمة علي، "مدرسة الشيخ ماء العينين الصوفية خصائصها ومميزاتها"، الزوايا في المغرب، ج2، مجلة المناهل، مطبعة دار المناهل، الرباط، عدد 82/83، شتنبر 2007. ص. 227-228.

- رسالة من داود إلى السلطان المولى الحسن بتاريخ 11 رمضان 1306هـ / 29 مارس 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 8.

الفصل الثاني: الرأسمال الرمزي -المائي- للزوايا بمجال الحوز:

تنوعت وظائف الزاوية بالمغرب خلال القرن التاسع عشر، فقد تعدت دورها الديني والاجتماعي المتمثل أساسا في تلبية حاجات عيش الفقراء والمحتاجين-أي خاصية الإطعام-، لتشمل المجالين السياسي والاقتصادي، فاحتلت بذلك مكانة مهمة لدى القبائل والمخزن على حد سواء.

تمكنت بعض الزوايا لقاء خدماتها المختلفة سواء للمخزن أو للقبائل المجاورة لها من جمع ثروات هامة، ولعبت كرامة الولي أو ما يمكن تسميته بسلطة الولي كذلك دورا مهما في الحصول على المزيد من الصدقات والهبات والزيارات، إلى جانب الأراضي (العزبان) مع ما ارتبط بها من حقوق مائية.

ومن بين الأدوار التي لعبتها الزاوية أيضا خلال القرن التاسع عشر زمن الجفاف قراءة اللطيف وإقامة صلاة الاستسقاء، إلى جانب درء الطائر المضر بالزراع، فالأزمات المائية قوت الرأسمال الرمزي لشيوخ الزوايا، حيث أصبحوا في ذهنية المجتمع المغربي حصنا ضد الجوائح وملاذا للاستسقاء والتبرك لرفع الضرر، ولعل هذا ما يفسر كثرة الزوايا بالمغرب ذلك "أن حقل الخيال الرمزي للمجتمع المغربي هو حقل يولد وينتج ويروج الرموز، كما تروج السلع من هنا سيكون الإسراع نحو امتلاك واحتكار الرموز الهامة"¹.

تمكنت الزوايا من تكديس ثروات معنوية ومادية كبيرة، ونخص بالذكر تلك التابعة للمخزن والمطبعة لأوامره، تمثلت أساسا في الإنعامات المخزنية سواء تعلق الأمر بظواهر التوقير والاحترام التي لعبت دورا كبيرا في حماية نفوذ الزاوية من مختلف القوى المنافسة لها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر من قياد وقبائل، أو الانتفاع بقطع أرضية مع ما ارتبط بها من حصص مائية.

¹- زيادة خالد، "المجتمع القبلي بين المخزن والدولة والمجتمع"، م.س. ص.263.

هكذا إذن تمكنت مؤسسة الزاوية من تشكيل رأسمال رمزي مائي مهم، وهو الموضوع الذي سيتم تناوله بالدراسة عبر رصد ما راكمته بعض زوايا حوز مراكش خلال الفترة المدروسة من حصص مائية، وتسليط الضوء على علاقة الزاوية بالأراضي التابعة لها مع ما ارتبط بها من حقوق مائية.

١. الإنعامات المائية المخزنية على الزوايا ودورها في ولاء زوايا حوز مراكش

يرجع تاريخ الإنعامات المخزنية في المغرب إلى القرن الثاني عشر ميلادي، ويتميز إطارها القانوني بكونها منحت على وجه الانتفاع وليس التملك¹، وهي بمثابة امتيازات يكافئ بها المخزن خدامه، وقد زادت هذه الإنعامات خلال القرن التاسع عشر بفعل ارتفاع عدد الأسر المستفيدة إلى جانب مساحة الأراضي المنعم بها، وهو ما ساهم في تكديس ثروات مهمة لدى الزوايا على وجه الخصوص التي استفادت في عهد كل سلطان من تجديد هذه الإنعامات عن طريق استصدار ظهائر تتمسك بها -الزوايا- على الأقل منذ العهد السعدي.

حظيت مؤسسة الزاوية في المغرب بنفوذ محلي قبلي، ما خول لها لعب دور الوساطة والتحكيم بين القبائل، خاصة وأن أحكامها مقبولة لدى الجميع وآراءها مسموعة²، مما ساهم في فك نزاعات وتجنب صراعات دامية، وبهذا تعد الزاوية ممثل المخزن في بعض القبائل، فتمتعت نتيجة ذلك بعدة امتيازات³ تراوحت بين ظهائر التوقير والاحترام وبين أراضي زراعية مع ما ارتبط بها من حصص مائية.

هنا يطرح السؤال حول سبب الإنعامات المائية المخزنية على الزوايا؟ وما هو الدور الذي لعبته حتى استفادت منها؟ وما مدى قوة القبائل التابعة لطرقها حتى أغدق عليها المخزن بعباءاته؟ لعل الإجابة عن هذه الأسئلة تتضح أكثر في نموذج الزاوية المصلوحية التي تمتعت بإنعامات مخزنية مهمة بسبب تبعية قبائل آيت عطا لها وتنفيذ جميع مطالب شيوخها حسب الأستاذ المازوني. وبما أن قبيلة آيت عطا من القبائل القوية التي كان يصعب على المخزن التحكم بها، فقد لجأ إلى استمالة الزاوية المصلوحية وبالتالي التحكم غير المباشر في القبيلة المذكورة.

١- العلوي العبدلاوي، م.س. ص. 59.

٢ - Walter, H, op.cit. P.253-254.

٣- عمل المخزن على إعطاء قيمة للشرفاء الموالين له من زوايا وشيوخ بما فيهم أقرباء السلطان، الذين تمتعوا بنفوذ وعطاءات مالية كما هو الحال حين أمر المولى سليمان بإعطاء أخواله 30 مثقالاً: "وأما أخواننا ادفع لخال محمد وخال محمود وخال أحمد لخضير ثلاثمائة مثقال ولولده ثلاثين مثقالاً". انظر: رسالة من السلطان المولى سليمان إلى القايد عياد، بتاريخ 14 ذو القعدة 1234هـ/3 شتنبر 1819م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-006.

تمتعت زوايا حوز مراكش بالعديد من الإنعامات المخزنية سواء المرتبطة منها بظواهر التوقير والاحترام أو تلك المتعلقة بإسقاط الكلف المخزنية والإنعام بالحصص المائية، وهذه الأخيرة هي موضوع البحث بالأساس.

1- ظواهر التوقير والاحترام:

ظواهر التوقير عبارة عن ميثاق ضمني بين المخزن والزواية، بموجبه تتم حماية هذه الأخيرة من أي تهديد خارجي -سواء من قبل رجال المخزن أو القبائل المجاورة- مقابل خدماتها وتبعيتها للمخزن، يصدر هذا الظهير بأمر سلطاني أو بطلب من الزواية بعد بيعة السلطان بهدف تجديد أروية التوقير والاحترام عليها.

إن تجديد ظواهر التوقير بعد بيعة كل سلطان دليل على استمرار الروابط بين الزوايا والمخزن، وفي نفس الوقت اعتراف ضمني بتبعية الزواية للمخزن²، كما أنه دليل على عدم ملكية الإنعامات المخزنية والإعفاءات الضريبية، وأنها مرهونة بظواهر تجديدها عهد كل سلطان.

تضمنت الظواهر السلطانية عناصر أساسية فإلى جانب إسدال أروية التوقير والاحترام شملت أيضا ظواهر تعيين مقدمي الزوايا، ظواهر الإنعام بقطع أرضية مع ما ارتبط بها من حصص مائية أو ظواهر إسقاط الكلف والضرائب³، كما هو الحال حين أعفى السلطان سليمان سنة 1215هـ/1801م، إحدى الزوايا التي لم يرد ذكر إسمها من جميع الضرائب المفروضة على رعيته باستثناء الزكاة الواجبة شرعا، ونص الرسالة كالآتي: "وأسقطنا

1- حصانة صادرة عن السلطان يمنحها على شكل ظواهر لخدامه المقربين، بمن فيهم شيوخ الزوايا والشرفاء، تعبيراً عن رضاه عليهم ورغبة في كسبهم لصفه، نظراً لتأثيرهم القوي وسط قبائلهم، ويقضي هذا النوع من الظواهر بتمتع الحاصلين عليه وأسرهم بعدد من الامتيازات من قبيل: الإعفاء من الضرائب والكلف والواجبات المخزنية الأخرى. انظر: جاح محمد، الزواية بين القبيلة والدولة مساهمة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للزواية الخمليشية بالريف، ج2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2015. ص.389.

2- انظر المحور الثالث من الفصل الأول حيث تمت الإشارة إلى العلاقة بين المخزن والزواية.

3- غالبا ما كان المخزن يعفي الزوايا والشرفاء من الضرائب والكلف المخزنية، وفي بعض الأحيان سمح لبعض الزوايا بجمع أعشار وزكاة بعض القبائل من أجل إعانة زوايتهم وتدبير أمور مؤونتها، كما هو الحال بالنسبة للزواية الكرزازية ونص. الرسالة كالتالي: "أنعمنا بحول الله وقوته على محبنا المرباط البركة سيدي محمد بن محمد القائم بأمور الزواية الكرزازية بجميع أعشار بني عباس وزكواتهم القاطنين بواد الساوره وما ولاه يستعين بذلك على مؤنة زوايتهم المباركة فتأمرهم أن يدفعوا له ذلك ولا يتراخوا فيه". رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى شرفاء الزواية الكرزازية، بتاريخ 24 محرم 1239هـ/ 29 شتنبر 1823م، م.و.م، الرباط، محفظة رقم: th-A15-001.

عنهم جميع الكلف التي تهم غيرهم بحيث لا يطالبون إلا... الزكاة والأعشار الواجبة على المسلمين شرعا"¹. وفيما يلي جرد بأهم ظواهر التوقير والاحترام التي تمتعت بها زوايا حوز مراكش موضوع الدراسة خلال القرن التاسع عشر.

لا شك أن المخزن أسدل ظواهر التوقير على معظم زوايا حوز مراكش فقد كانت تابعة لنفوذه ومطبعة لأوامره، إلا أن الرصيد الوثائقي الذي بين أيدينا جعل تاملوحت في مقدمة هذه الزوايا إلى جانب زاوية كيك "مولاي إبراهيم" وسيدي رحال.

أسدل السلطان مولاي سليمان ظهيرا جدد من خلاله إسدال أردية التوقير على شرفاء زاوية كيك "مولاي إبراهيم" "أننا جددنا لهما ما بأيديهما من توليتنا لهما النظر في زاوية جدهما مولاي إبراهيم المذكور التي بكيك والقيام بمصالحها وأخذ الصدقات الواردة على ضريح الشيخ المذكور وصرفها في مصارفها المعلومة تجديدا لا يزال جديدا ولا يزيد الطول إلا تأكيدا"².

جدد السلطان عبد الرحمان بن هشام ظهير التوقير والاحترام على شيوخ زاوية كيك "مولاي إبراهيم": "المتضمنة توقيرهم واحترامهم وتعظيمهم وإكرامهم وأبقينا على عوائدهم المعروفة وطريقهم المألوفة فلا سبيل لأحد عليه ولا طريق لمن يمد الأيدي العادية إليه فهم موقرون محترمون تجديدا تاما شاملا عاما ونأمر من يقف عليه من عمالنا وولات أمرنا أن يعملوا بمقتضاه"³. من خلال هذه الإشارة يتضح جليا حماية المخزن لحفيد مولاي إبراهيم السيد محمد بن عبد الله وكذا الإبقاء على عاداتهم في زاوية كيك.

¹- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى إحدى الزوايا، بتاريخ 5 شعبان 1215هـ/ 21 دجنبر 1800م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-003.

²- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى الشريفيين المرابطين سيدي أحمد بن سعيد وأخيه سيدي محمد ابن سعيد حفيد الولي الصالح مولاي إبراهيم، بتاريخ 2 ربيع الثاني 1222هـ/ 9 ماي 1807م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-004.

³- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى السيد محمد بن عبد الله بتاريخ 28 جمادى الثانية 1244هـ/ 4 يناير 1829م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A15-003.

تدخل المخزن في بعض الأحيان لاختيار الشريف أو مقدم الزاوية وأصدر ظهائر بذلك، للتأكيد على تبعية تلك الزاوية لنفوذ المخزن، كما هو الحال حين تم تعيين الحاج محمد الوافي ابن مولاي إبراهيم على رأس زاوية مولاي إبراهيم، والسماح له بجمع الزكاة والأعشار من قبائل سكتانة، ونص الظهير كالآتي: "ابن سيدي إبراهيم نجل الولي الصالح البركة سيدي عبد الله بن الحسين يتعرف به اننا أقمناه بالزاوية المباركة مقام الشيخ رحمه الله وأنزلناه بها منزلته من التوقير والاحترام والرعي الجميل المستدام جارية في ذلك على عادة أبيه وجعلنا له قبضة جميع ما كان يقبض والده رحمه الله من زكاة وأعشار وغير ذلك بجبل سكتانة من غير معارض ولا منازع"¹.

حظيت زاوية تاملوحت في حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر بنصيب كبير من الظهائر، تراوحت بين ظهائر تعيين وتوقير وكذا إنعامات مائية.

جدد السلطان المولى سليمان ظهائر التوقير والاحترام على زاوية تاملوحت التي تمتعت بها منذ العهد السعدي: "جددنا بحول الله وقوته حكم ما بيده من ظواهر أسلافنا الكرام رحمهم الله المتضمنة لهم التوقير والاحترام... فلا تغيره عليهم عادة ولا يحدث في شأنهم نقص ولا زيادة والواقف عليه يعمل بمقتضاه"².

عمد المخزن إلى تكليف زاوية تاملوحت بالإشراف على زاوية مولاي إبراهيم منذ عهد السلطان المولى إسماعيل "ووليناه التصرف عليهم وعلى الزاوية المنسوبة لهم بتماملوحت وعلى زاوية مولاي إبراهيم وأدنا له يقبض على ما يوتى به للزاويتين المذكورتين من الصدقة والهدية وأن يصرف ذلك على يديه"³، إلى جانب تكليفها بالإشراف على زاوية مولاي عبد الله أمغار بطيط، وهو ما جاء في ختام الظهير "كما

1- رسالة بتاريخ 15 جمادى الأولى 1072 هـ / 5 يناير 1662م. انظر:

- PASCON, P, T2, op.cit. P.9.

2- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى السيد عبد الرحمان بن محمد بن سعيد، بتاريخ 4 ذو القعدة 1225هـ/30 نونبر 1810م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-004.

3- ظهير المولى إسماعيل إلى محمد بن سعيد حفيد عبد الله بن حسين، بتاريخ 21 جمادى الأولى 1144هـ/20 نونبر 1731م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

جددنا له أيضا على زاوية مولاي عبد الله أمغار بطيط... وقد وليناه النظر عليها وعلى بلادها"¹.

يتضح من خلال نص الظهير أن المولى إسماعيل كلف زاوية تامصلوحت بالإشراف على عدد من الزوايا في مقدمتها زاوية كيك (مولاي إبراهيم) وزاوية مولاي عبد الله أمغار، وهذا الإشراف شمل جمع زكاتها والهدايا المحصل عليها، والأهم هو الإشراف على أراضيها مع ما ارتبط بها من حصص مائية، وهو ما ساهم دون شك في تقوية نفوذ الزاوية في حوز مراكش منذ القرن الثامن عشر.

تجدد تكليف زاوية تامصلوحت بالزوايا السالفة الذكر إلى جانب زاوية سيدي يوسف بن علي بمراكش وتوزيع مداخلها على الضعفاء، وذلك في رسالة بعث بها السلطان المولى إسماعيل سنة 1144هـ/ 1732م لتعين السيد عبد الله بن عبد الكريم حفيد عبد الله بن حسين كمقدم لتامصلوحت نظرا لصلاحه وسداده، ونص الرسالة كالآتي: "ووليناهم أمر الزاوية المنسوبة الشيخ الرباني الشريف الحسني الكائنة بتمصلوحت مع زاوية سيدي إبراهيم بن أحمد [بثر] يقبض الصدقات التي يوتى بها للزاويتين المذكورتين وأعشارها وجميع ما يهدى إليها مع زاوية سيدي يوسف بن علي نفع الله به"².

أصدر السلطان محمد بن عبد الرحمان بعد مبايعته سنة 1278هـ/ 1862م ظهير توقيير لزاوية تامصلوحت وتجديد لظواهرها السابقة سواء المرتبطة بالإنعامات أو تلك التي تهم إشرافها على زاوية مولاي إبراهيم، وهو ما نستشفه من نص الظهير: "جددنا له على ظهير سيدنا الوالد قدسه الله الذي بيده المتضمن إقراره على التصرف في زاوية الولي الأشهر مولاي إبراهيم بن أحمد نفع الله به الكائنة بكيك من قبيلة سجتانة وإسناد النظر

¹- ظهير المولى إسماعيل إلى محمد بن سعيد حفيد عبد الله بن حسين، بتاريخ 21 جمادى الأولى 1144هـ/ 20 نونبر 1731م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

²- رسالة من السلطان المولى إسماعيل إلى عبد الله بن عبد الكريم حفيد مولاي عبد الله بن حسين، بتاريخ 12 ذو الحجة 1144هـ/ 6 يونيو 1732م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني. وقد تم تجديد إشراف تامصلوحت على زاوية كيك "مولاي إبراهيم" سنة 1733م ونص التكليف كالآتي: "وأقررناه على التصرف في زاوية الولي الصالح مولاي إبراهيم بن أحمد نفع الله به الكائنة بكيك من قبيلة سجتانة وأسندنا إليه الوقوف على أمورها كما كان والده قبله" انظر: رسالة من السلطان المولى إسماعيل إلى شرفاء تامصلوحت، بتاريخ ذو القعدة 1145هـ/ أبريل 1733م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

إليه في أمورها"¹. ومنه نستنتج أن المخزن كلف زاوية تامصلوحت بالإشراف على زاوية مولاي إبراهيم باعتبارها فرع من فروع الأمغاريين، وأن مؤسسها مولاي إبراهيم ما هو إلا حفيد عبد الله بن حسين.

خلق إشراف زاوية تامصلوحت على زاوية كيك "مولاي إبراهيم" بعض المشاكل لدى القيمين على هذه الأخيرة الرافضين على ما يبدو لهذا الإشراف، منذ إصدار ظهير التكليف عهد السلطان المولى إسماعيل.

لعل رفض شرفاء مولاي إبراهيم هذا القرار نابع من استقلالية زاويتهم منذ تأسيسها عن تامصلوحت، و متمسكين بظواهر التوقير والاحترام التي تمتعت بها، كظهير مولاي سليمان الذي جدد من خلاله إسدال أردية التوقير على " الشريفين المرابطين سيدي أحمد بن سعيد وأخيه سيدي محمد ابن سعيد حفيد الولي الصالح مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن الحسين نفعا الله به ءامين ويعلم منه أننا جددنا لهما ما بأيديهما من توليتنا لهما النظر في زاوية جدهما مولاي إبراهيم المذكور التي بكيك والقيام بمصالحها وأخذ الصدقات الواردة على ضريح الشيخ المذكور وصرفها في مصارفها المعلومة"².

تدخل المخزن سنة 1244هـ / 1829م، لحل هذا المشكل حسبما جاء في الرسالة التالية: "ساداتنا الشرفاء الذين بزاوية مولانا إبراهيم بن أحمد ومن معهم بها من المشرفين... وبعد فليكن في علمكم أن مولانا المؤيد بالله تفضل على الشريف مولاي سعيد بن محمد نجل مولاي عبد الله بن حسين نفع الله به بزاوية مولاي إبراهيم يتصرف عليها وينظر في أمورها وكافة شؤونها المالية وغيرها من غير منازع ولا معارض حسبما ذلك في كتابه الشريف بيده وعلى هذا يكون عملكم ومن تخلف فلا يلوم إلا نفسه"³. نلاحظ من خلال هذه الإشارة تدخل المخزن في شخص العربي بن عبد الله

¹- ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الشريف مولاي سعيد بن محمد المصلوحي، بتاريخ 8 شعبان 1278هـ / 7 فبراير 1862م، محفظة رمز: Th-A16-006.

²- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى الشريفين المرابطين سيدي أحمد بن سعيد وأخيه سيدي محمد ابن سعيد حفيد الولي الصالح مولاي إبراهيم، بتاريخ 2 ربيع الثاني 1222هـ / 9 ماي 1807م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A14-004.

³- رسالة من السيد العربي ابن عبد الله إلى شرفاء زاوية مولاي إبراهيم، بتاريخ 19 جمادى الثانية 1244هـ / 26 دجنبر 1828م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-003.

مخاطبا أشراف زاوية مولاي إبراهيم بلغة التهديد والوعيد كما هو واضح في نهاية الرسالة، ومؤكدا الأوامر السلطانية القاضية بتكليف مولاي سعيد المصلوحي الإشراف على زاويتهم من جميع النواحي بما في ذلك الجانب المادي.

عقب وفاة شريف الزاوية سعيد المصلوحي جدد السلطان محمد بن عبد الرحمان ظهائر التوقير للزاوية المصلوحية لابنه محمد بن سعيد، إلى جانب إشرافه على زاوية مولاي إبراهيم، ونص الظهير كالتالي: " الشريف محمد بن مولاي سعيد من حفدة ولي الله تعالى مولاي عبد الله بن حسين ويُتعرّف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته لأقرنا له على التصرف في زاوية الولي الأشهر مولاي إبراهيم بن أحمد نفع الله به"¹. يتضح من خلال هذا النص أن إشراف تامصلوحت على زاوية مولاي إبراهيم كاد يكون وراثيا بمباركة مخزنية كما هو واضح في الرسالة.

ومنه نستنتج أن المخزن حرص على حماية الزوايا الموالية له عبر استصدار ظهائر التوقير والاحترام، وكذا الإشادة ببعض الزوايا وتكليفها بالإشراف على زوايا أخرى وهو ما خلق عدة مشاكل خاصة بين شرفاء مولاي إبراهيم وتامصلوحت، لأن هذا الإشراف شمل الجانب المادي من زكاة وهبات وكذا ما تمتعت به زاوية مولاي إبراهيم من أراضي وحصص مائية مهمة، وهو ما ساهم دون شك في تقوية نفوذ الزاوية المصلوحية وشرفائها في حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر. فما أبرز الإنعامات المائية المخزنية التي تمتعت بها زوايا حوز مراكش عموما وزاوية تامصلوحت على وجه الخصوص؟

1- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الشريف محمد بن مولاي سعيد، بتاريخ 17 صفر 1290هـ/ 15 أبريل 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A17-001.

2- الانعامات المائية¹:

كانت السواقي ذات التدفق والجريان الدائم ومياه العيون الغزيرة من حظ ذوي النفوذ والجاه، كرجال المخزن والتابعين لسلطته من قياد وعمال وكذا مقدمي الزوايا، وفيما يلي جرد ببعض الإنعامات المائية التي خص بها المخزن بعض زوايا حوز مراکش خلال القرن التاسع عشر.

أنعم المخزن على بعض الزوايا بمجموعة من الأراضي مع ما ارتبط بها من حصص مائية، ما أدى إلى تشكيل ما يعرف بالعزيب أو العزبان²، وهي أراضي زراعية تعطى للمزارعين بالخمس أو الكراء أو الشركة³، ويمكن أن تكون أحيانا عبارة عن هدية يقدمها بعض الأتقياء لشريف أو ولي صالح⁴، هكذا إذن فالعزبان عبارة عن امتيازات منحت للزوايا لقاء خدماتها المختلفة.

تنامت ظاهرة العزيب واتخذت شكلها التأسيسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁵، حيث سعت الزوايا إلى امتلاك عدد أكبر من الأراضي في إطار دورها التقليدي المرتبط باستصلاح موات الأراضي وإنعاش البادية، ومن هذا المنطلق اكتسبت الزاوية حقوق استغلال الأراضي التي كانت مشاعة بين القبائل الحوزية سواء في محيط الزاوية أو

¹- يعتبر مصطلح الإنعامات أو الإقطاع من أبرز مصطلحات القرن التاسع عشر، أشارت إلى تعريفه عدة أبحاث من بينهم بحث كلود كاهين الذي نبه إلى ضرورة عدم الخلط بين "الإقطاع الأوروبي والنظام الذي ساد خلال الشرق الأوسط العصر العربي" فكل خصائصه انظر:

- PASCON, P, T1, op.cit. P.293.

- Montagne Robert: **Les berbères et le makhzen dans le sud du maroc essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh)**, Dar Al Amane, Rabat, 2013. P358.362.

- Doutté Edmond, **Merrakech**, Paris, 1905. P.400.402 .

²- من المتداول أنه هو "أرض زراعية تستغل في غياب مالكيها بواسطة من ينوبهم في ذلك". انظر:

Eugène, A, op.cit. P.15.

³- كانت العزائب تمنح بظهير سلطاني يبين حدود الأرض والمنتوجات والضرائب التي يمكن جبيها والعزابة الذين يطلق عليهم كذلك اسم المسلمين المقيمين بالعزيب، فكان الشريف يتمتع بكامل الحقوق على الأرض والمشتغلين فيها، كما له حق مراقبة الإنتاج وتوزيع المهام. انظر: الهروي الهادي، م.س. ص.176.

⁴- حليم عبد الجليل، "البحث السوسولوجي بالمغرب"، م.س. ص.26.

⁵- المازوني محمد، "عزبان الزوايا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر بين التفويض المخزني وسلطة شيخ الزاوية ملاحظات أولية"، مجلة أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد 35، 2009. ص.6.

في الأراضي التابعة لأحواض نفيس وغيغاية، إذ شمل محيط مراكش "وحده أكثر من ثلاثمائة عزيز"¹، ثم تحول هذا الاستغلال بفعل تعاقب الزمن إلى ممتلكات خاصة بالزاوية.

عمل المخزن على توفير المياه لمختلف الزوايا والقائمين عليها، سواء تعلق الأمر بأراضي الزاوية أو بدور مقدميها، كما هو الحال حين طلب ابن عبد الكامل إدخال فيض ماء سقاية باب دكالة لمنزله التابع للزاوية العباسية²، فأمر السلطان محمد بن عبد الرحمان خليفته المولى الحسن أن "يبين أعماله من عدم أعماله فليمكن الطالب المذكور من الماء من المحل المذكور في الرسم على الوجه المبين فيه"³، ويضيف السلطان في نهاية الرسالة: "ولا بد من اشتراء ملك من الأملاك بقيمة الماء وغبطته وكراء ما يشتري يصير في إصلاح مياه الأحباس"⁴.

يتضح من خلال هذه الإشارة أن المخزن كان يعتمد إلى شراء الممتلكات من دور ومحلات، ويخصص كراءها لتدبير مياه الأحباس، بهدف التخفيف من كثرة المصاريف على بيت المال في ظل ما كان يشهده المغرب من صعوبات مالية نتيجة هزائمه العسكرية.

لم يتوقف المخزن عند الإنعام بالحصص المائية بل عمد إلى إحياء وتجديد الإنعام بحصص أخرى، فقد أقدم على التحقيق في شأن إحياء حصة مائية قديمة في إحدى سواقي أمزميز تمتع بها الولي عبد الله الغزواني لما طالب بها حفيده السيد فضول، فأمر المخزن إثر ذلك قائد المنطقة آنذاك (عمر المزميزي) بالوقوف على هذه القضية، ونص الرسالة كالآتي: "فاعلم أن السيد فضول حفيد مولانا عبد الله الغزواني ادعى أن لجده المذكور

¹- المازوني محمد، "عزبان الزوايا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر"، م.س. ص.4. نقلا عن:

PASCON, P, *Les systhèmes du sol dans le haouz de marrakech*, RGM, no1-2, 1962. P.104.

²- الزاوية العباسية سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها السبتي أبو العباس، مناقبه وأخباره كثيرة وعجيبة استقر بمراكش وتقرّب من المخزن الموحد، توفي سنة 601هـ/ 1205م ودفن خارج باب تاغزوت، وأصبح محطة صوفية بارزة، ومزارا تشد له الرحال باعتباره واحدا من سبعة رجال مراكش. انظر: رابطة الدين محمد، مادة "السبتي أبو العباس"، *معلّمة المغرب*، ج14، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001. ص.4852-4853.

³- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى ابنه المولى حسن بتاريخ 19 ربيع الثاني 1282هـ/ 01 شتنبر 1865م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:2.

⁴- نفس الرسالة.

حظا في ساقية ببلادكم وكان أسلافه يجرونها إلى بلاد فروكة ولا زالت الآثار بها ظاهرة دالة على ما ذكره وأراد الآن إجراءها للمحل المعلوم لها كما كانت فبوصول هذا إليك وجه من يعمل معه الشرع عليها هنا وما حكم به ينفذ"¹.

تمتعت الزاوية البوعمرية بدورها بمجموعة من الإنعامات وقد تم إيرادها في هذا المحور على الرغم من تواجدها بمراكش لأنها استفادت من إنعامات في مجال حوز مراكش وفيما يلي ذكر لأهم الظواهر والإنعامات:

جدد السلطان المولى سليمان ظهائر التوقير والاحترام لـ "أولاد سيدي أبي عمرو نفع الله به ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا المتضمنة توقيرهم واحترامهم وألبسناهم أرضيه التوقير والاحترام وحاشيناهم عما تطالب به العوام"².

أشار المخزن في إحدى رسائله إلى بعض ممتلكات الزاوية البوعمرية سواء تعلق الأمر بداخل مدينة مراكش أو بأحوازها، وهو ما أشارت إليها رسالة المولى سليمان بتاريخ 13 ربيع الأول 1226هـ/6 أبريل 1811م، جاء فيها "أننا قدمنا المرابط المسن البركة سيدي محمد فتحا بن أحمد بن عبد الرحمن حفيد الولي الصالح القطب الواضح سيدي أبي عمرو بن أحمد القسطالي المعروف بالأمين دفين مراكش بروض العروس... على كافه أملاك الزاوية البوعمرية المخلفة عن جده المذكور حيثما كانت داخل المدينة وخارجها حسبما هي مفصلة في رسم الحبس بيد المقدم المذكور يتولى النظر فيها هو وأولاده من بعده... وأن يصرف مستفادها في مصالح الزاوية المذكورة"³.

¹ - رسالة إلى السيد عمر المزميزي بتاريخ 28 محرم سنة 1265هـ/ 23 دجنبر 1848م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

² - رسالة من السلطان إلى حفدة أولاد سيدي أبي عمرو بتاريخ في 17 شعبان 1212هـ/ 3 فبراير 1798م، وأعاد تجديد ظهيرهم سنة 1223هـ، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي رقم: 60، رسائل مولاي سليمان العلوي 1760-1822م، ج1، م.س. ص. 172.

³ - رساله من السلطان إلى المرابط سيدي محمد فتحا حفيد الولي سيدي أبي عمرو بتاريخ 13 ربيع الأول 1226هـ/6 أبريل 1811م، رسائل مولاي سليمان العلوي 1760-1822م، م.س. ص. 174-175.

هكذا إذن تمتعت الزاوية البوعمرية¹ بعراصي في مدينة مراكش وأراضي فلاحية في الحوز خاصة بمنطقة أغواطيم، قدرت مساحتها "بحوالي 2200 هكتار ثلثها للحرث والباقي للرعي، تكثرها منه بعض قبائل غيغاية ومسفيوة"²، وتسقى بمياه ساقيتين كبيرتين: توريكت وترزينت الطالع مأوهما من واد غيغاية إلى جانب أراضي أخرى بزعر وغيرها.

عمد المخزن في بعض الأحيان إلى الإنعام على الزوايا بأراضي وحصص مائية بعيدة عن مجالها، كما هو الحال حين أنعم على أحد فروع الزاوية الناصرية بتمكروت بحصة مياه من الساقية السلطانية بحوز مراكش، قدرت بـ "دورة ماء لنصف يوم الجمعة من الساقية السلطانية"³، وما هذا الإنعام إلا دليل على أن ولاء الزوايا للمخزن ساهم في تكديسها لثروات ورأسمال مائي مهم سواء داخل مجال نفوذها أو خارجه.

أنعم المخزن على زاوية كيك (مولاي إبراهيم) بعدد من الحصص المائية، كتلك التي حظيت بها الزاوية من ساقية الباشا "سيدي إبراهيم بن أحمد نجل [بثر] سيدي عبد الله بن حسين نفعا الله به [بثر] النوبة من الماء يوم الجمعة من ساقية الباشا"⁴.

تمتعت زاوية تامصلوحت بدورها بمجموعة من الإنعامات المائية المخزنية، ويرجع أقدم ظهير حسب ما توفر لدينا من وثائق إلى العهد السعودي وبالضبط سنة 1569م، حيث أنعم السلطان عبد الله الغالب على أبي عثمان سعيد حفيد عبد الله بن حسين بالتصرف في "جميع العين الغابرة الآبار المندثرة الآثار التي لم يتقدم فيها عمل لأحد قبله الكاينة بأعلا تنششت وسهريجا عن يمين رأس عين الحضري ولها رجلين أحدهما ممتد إلى مرس أولاد مخلوف والآخر طالع مع فيض البعجة من ناحية المغرب صرف إنعام وإكرام

¹- يوجد مقر الزاوية أمام مسجد ابن يوسف، أسسها أبو عمرو القسطللي المراكشي توفي سنة 974هـ/1566م، دفين حومة روض العروس. انظر: جلاب حسن، دراسات مغربية في التراث، م.س. ص. 244.

²- جلاب حسن، مراكش مباحث في التاريخ والحضارة، منشورات مؤسسة آفاق، مراكش، الطبعة الأولى 2016. ص. 101.

³- نيكولا ميشيل، "الأملوك الموهوبة للسلالات المقدسة"، ترجمة محمد هشام، مجلة أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد 35، 2009. ص. 79.

⁴- رسالة إلى مولاي إبراهيم، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1070هـ/ 29 دجنبر 1659م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

وإقطاع تملك على توالي الليالي والأيام"¹. وفيما يلي جرد بمعظم الإنعامات المائية التي استفادت منها زاوية تامصلوحت بحوز مراكش:

جدول رقم 8: الإنعامات المائية لزاوية تامصلوحت بحوز مراكش

السنة	السلطان	الشريف المستفيد	الإنعامات المائية
1569م	السلطان عبد الله الغالب	أبي عثمان سعيد حفيد عبد الله بن حسين	"جميع العين الغابرة الآبار المندثرة الآثار التي لم يتقدم فيها عمل لأحد قبله الكائنة بأعلا تنششت وسهريجا عن يمين رأس عين الحضري ولها رجلين أحدهما ممتد إلى مرس أولاد مخلوف والآخر طالع مع فيض البعجة من ناحية المغرب" ² .
1698م	السلطان المولى إسماعيل	عبد الله بن الوافي وسيدي أحمد أحفاد عبد الله بن حسين	"ولا تقربوهم في ليلة الجمعة ويومها المعروف لهم ذلك في الساقية المذكورة ولا يتعرض لهم أحد منكم" ³
1706م	السلطان المولى إسماعيل	مبثور	"وساقية تمزكلفت... وأنعمنا عليهم بالبلاد (بثر) صرف إنعام وإقطاع التملك على الدوام" ⁴
1711م	السلطان المولى إسماعيل	أحمد بن الوافي حفيد عبد الله بن حسين	" وأنعمنا عليه لجميع مافي صوره وتصرفه من فدادين أحدهما ساقية الجديدة والآخر بتمزكلفت وأعشار ذلك وغيره يفرقها على يديه لمن شاء من ضعفاءه وإخوانه وذو قرابته" ⁵ .

1- رسالة من السلطان عبد الله الغالب إلى أبي عثمان سعيد حفيد عبد الله بن حسين، بتاريخ شعبان 976هـ/ 1569م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
2- نفس الرسالة.
3- رسالة إلى العلي بن منصور والطالب أحمد الشمايع الواقفون على ساقية الباشا، بتاريخ 1110هـ/ 1698م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
4- رسالة من السلطان إسماعيل، بتاريخ 17 ربيع الأول 1118هـ/ 29 يونيو 1706م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
5- رسالة إلى أحمد بن الوافي نجل عبد الله بن حسن، بتاريخ 28 رجب 1123هـ/ 11 شتنبر 1711م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

1714م	السلطان المولى إسماعيل	حفدة عبد الله بن حسين	"وبلادهم التي بتمزكلفت ومائها ليلة الجمعة ويومها" ¹ .
1720م	السلطان إسماعيل العلوي	السيد محمد بن أحمد وولدي السيد الحسين	"جددنا لحمة المرابطين وهم السيد محمد بن أحمد وولدي السيد الحسين على ساقية تميلوت للولي الصالح البركة جدهم سيدي عبد الله بن حسين بجميع بئرها وساقيتها من مائها وأرضها جليلها وحقيرها وكذلك الحفرة المذكورة أن يجعلو فيها رحاء وأن يطلعوا الماء من تمزكلفت من غير معارض ولا مزاحم" ² .
1727م	السلطان المولى إسماعيل	إسماعيل بن عبد السلام بن سعيد حفيد عبد الله بن حسين	"وأسقطنا عنه جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية بحيث لا يطوف أحد بساحته... وأنعمنا عليه بجميع خمسه من العين الجديدة تنشاشت خرج باب الرب أحد أبواب مراكش حرسها الله تعالى" ³ .
1847م	السلطان عبد الرحمان بن هشام	مولاي سعيد المصلوحي	"ما أنعم به عليهم أسلافنا قدسهم الله حسبما بظواهرهم ساقية تمزكلفت وأراضي الحراثة المسمات أكفائي" ⁴ .
1851م	السلطان عبد الرحمان بن هشام	محمد بن عبد القادر حفيد عبد الله بن الحسين	"على التصرف في مصرف الصفاضف الخارج من تمزكلفت الذي أنعم به (... مولانا الكرام... إقرارا تاما أوحينا العمل بمقتضاه" ⁵ .
1876م	السلطان الحسن الأول	محمد بن سعيد المصلوحي	"بأيديهم من الماء والبلاد الاغيطيس وبلاد اكفائي المعروفة لحوانتهم حسبما ذلك مقرر في

- 1- رسالة من السلطان المولى إسماعيل إلى حفدة عبد الله بن حسين، بتاريخ شوال سنة 1126هـ/ أكتوبر 1714م. PASCON, P, T2, op.cit. P.13.
- 2- ظهير إنعام السلطان المولى إسماعيل على حفدة بن حسين، بتاريخ 8 ربيع الأول 1132هـ/ 19 يناير 1720م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
- 3- رسالة إلى حفدة عبد الله بن حسن، بتاريخ 7 ذو القعدة 1139هـ/ 26 يونيو 1727م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
- 4- رسالة بتاريخ 23 ربيع الأول 1263هـ/ 11 مارس 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.
- 5- رسالة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1267هـ/ 05 مارس 1851م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.

			الظهير الشريف" ¹ .
1876م	السلطان الحسن الأول	محمد بن سعيد المصلوحي	"في إجراء الخطارة التي أراد إحداثها والمروور بها في بلد المخزن بظهر الجلدی بأن يكون البير المعروف ببشار" ² .
1883	السلطان الحسن الأول	أولاد مولاي سعيد المصلوحي	"جددنا لهم وهو مصرف ماء يحمله قادوس فخدي من ساقية جانبنا العالي بالله عين تاركة يكون لهم في كل يوم جمعة نهرا" ³ .
1884م	السلطان الحسن الأول	الزاوية المصلوحية	"فقد أقرنا جانب الزاوية المصلوحية على ما حبسه عليها أسلافنا الكرام من نوبة ليلة الأحد ويومه كل أسبوع من ساقيته الشهيرة حسبما تضمنت الظهائر الشريفة التي بيده" ⁴ .

من خلال هذه الإشارات يتضح أن الزاوية المصلوحية قد نالت حظا وفيرا من الإنعامات المخزنية المائية، وجمعت إلى حدود فترة مشيخة مولاي سعيد المصلوحي حوالي 2000 هكتار مع ما ارتبط بها من ماء في حوض نفيس و500 هكتار في منطقة غيغاية بحصص مائية قدرت بحوالي 200 لتر في الثانية⁵.

وقد استمرت الإنعامات المائية على زاوية تامصلوحت حسب ما تمكنا من الحصول عليه من وثائق إلى القرن العشرين، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "أن الشريف الحاج بن سيدي مولاي سعيد المصلوحي، أن له نوبة الماء من ساقية اسكجور ليلة السبت ويوم

1- بعث القائد أحمد أمالك بدوره رسالة إلى مقدم الزاوية آنذاك محمد بن سعيد المصلوحي يبين من خلالها أوامر السلطان المولى الحسن القاضي بتجديد الإنعام عليهم. انظر: رسالة من القائد أحمد أمالك إلى محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 7 صفر 1293هـ/ 4 مارس 1876م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 22 صفر 1293هـ/ 19 مارس 1876م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

3- ظهير السلطان الحسن الأول إلى أولاد مولاي سعيد المصلوحي، بتاريخ 5 رجب 1300هـ/ 12 ماي 1883م، وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

4- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ/ 12 أبريل 1884م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

5 - PASCON, P, T1, op.cit. P.279.

السبت، كما وجدنا ذلك بالظواهر الشريفة كما نقلها سيدنا المقدس¹. فكيف دبّرت زوايا
حوز مراکش الرأس مال الرمزي المائي الذي تمتعت به؟

¹- رسالة من العربي بن عبد الله إلى الواقفين على ساقية أسكجور، بتاريخ 16 رجب 1320هـ/ 19 أكتوبر 1902. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

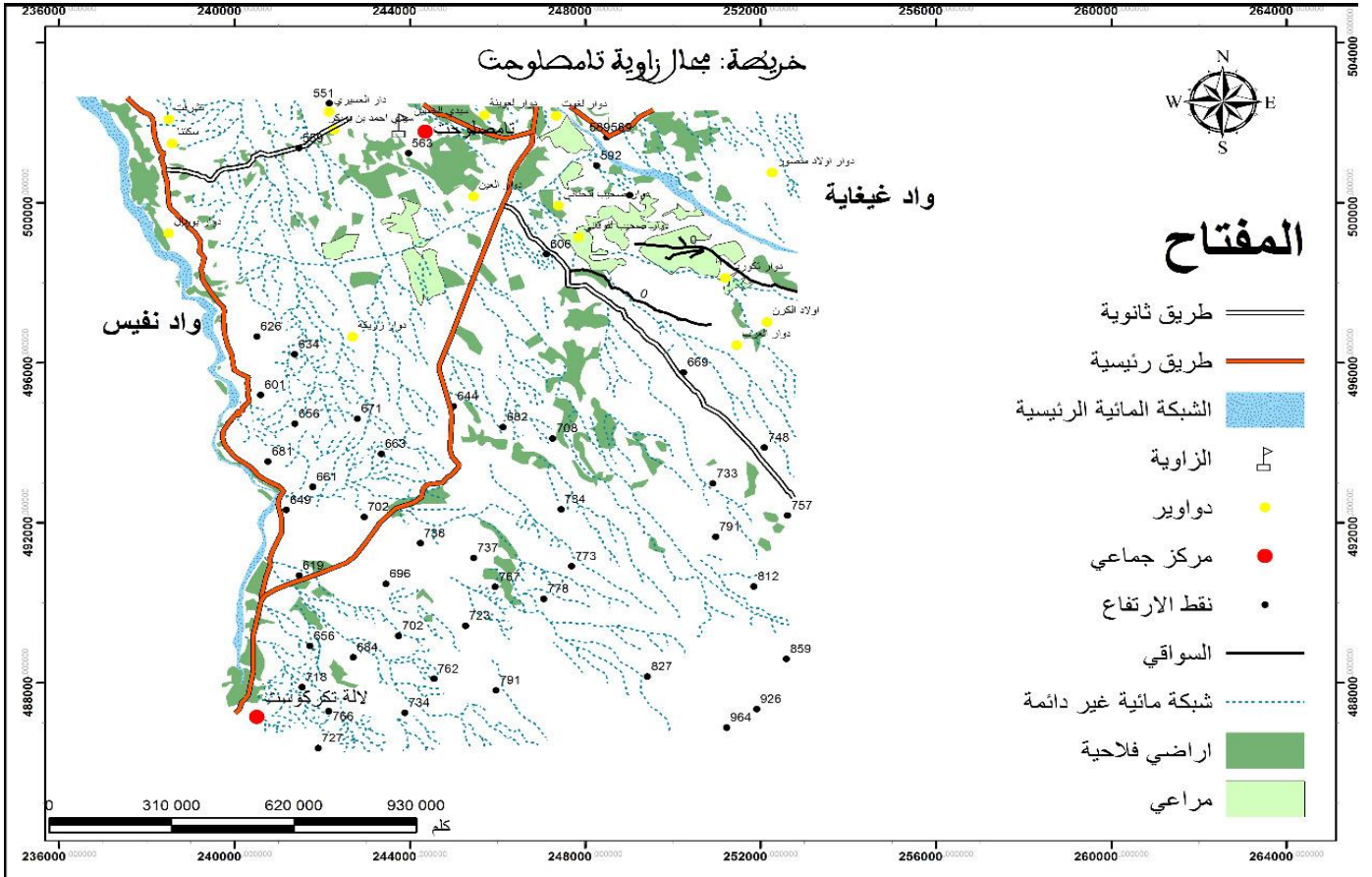
١١. الرأسمال الرمزي المائي: زاوية تامصلوحت نموذجاً

وقع الاختيار على زاوية تامصلوحت كنموذج للرأسمال الرمزي المائي، نتيجة ما حققته من تراكم للثروة المتمثلة أساساً في الأرض وما ارتبط بها من حصص مائية، كما عبرت عن ذلك العديد من المراسلات المخزنية والإشارات التاريخية، فكيف استطاعت الزاوية تحقيق هذا التراكم المهم إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر؟

لم تتوقف الزاوية عند حدود الإنعامات المائية المخزنية والاهتمام بالأراضي المحبسة عليها، بل تجاوزت حدود مجالها وترامت على أراضي الزوايا المتفرعة عنها والتي يرجع نسب مؤسسيها إلى عبد الله بن حسين، ونخص بالذكر زاوية مولاي إبراهيم بكيك التي أشرفت عليها تامصلوحت بمباركة مخزنية رغم معارضة شرفاء الأولى إلى أن الظهائر السلطانية حسمت الأمر منذ عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام كما سبقت الإشارة إلى ذلك، إلى جانب الاهتمام بزاوية مولاي الوافي التي تميزت بالأراضي الخصبة، ما دفع بزاوية تامصلوحت إلى الإشراف عليها إلى جانب زوايا أخرى¹ كما سيتضح من خلال الخريطة التالية:

1- قام مولاي الحاج مقدم زاوية تامصلوحت بإعادة ترميم عدد من الأضرحة بتامصلوحت مثل: مولاي عبد الله بن حسين، ضريح سيدي بوبراهيم، ضريح مولاي عبد الكريم، ضريح مولاي عبد السلام، ضريح مولاي الوافي بدار العين جنوب تامصلوحت وضريح سيدي مسعود بمراكش. انظر: المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص. 74.

خريطة رقم 4: مجال زاوية تامصلوحت



المصدر: عمل شخصي.

يتضح من خلال الخريطة أن اهتمام زاوية تامصلوحت بالزوايا السالفة الذكر راجع بالأساس لغنى الأراضي التابعة لها ووفرة المياه بها، وعلى سبيل الذكر نجد ضمن أراضي ضريح مولاي الوافي بالعين جنوب تامصلوحت نطاقا رئيسيا لإنتاج الزيتون، أما ضريح مولاي عبد الكريم وعبد السلام فكان بمجالهما خطارات وعيون¹. ففيما تمثل الرأسمال الرمزي المائي للزاوية؟ وكيف ساهم في تقوية نفوذها بمجال الحوز؟

1- الرأسمال الرمزي المائي:

قبل الحديث عن الرأسمال الرمزي المائي الذي تمكنت زاوية تامصلوحت من جمعه منذ تأسيسها، لا بد من الوقوف عند ثروة الزاوية عقب وفاة مؤسسها للكشف عن التراكم الذي حققته خلال القرن التاسع عشر على الخصوص.

¹- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص.75.

لم تتجاوز ثروة الزاوية عقب وفاة مؤسسها "عبد الله بن حسين" حسب صاحب الدوحة بقرة واحدة¹، أما الوثائق فتشير إلى بعض الأراضي السقوية والبورية المحيطة بنطاق الزاوية وأخرى بمنطقة السهيب وبتول البعيدين نسبياً عن مجال الزاوية، حسبما ورد في عقد القسمة بين ورثته سيد محمد وسيد أحمد حيث "خرج الأول محمد المذكور بزاوية تامصلوحت وأملاكها بياضا وسوادا بورا وسقيا... وكافة أشجاره مثمورا وغير مثمور على الأنواع وتباين الأجناس وخرج سيدي أحمد المذكور بتول والسهيب فيها بياضا وسوادا بورا وسقيا والمياه والأشجار على اختلاف الأنواع وتباين الأجناس منها رضى كل بما خرج به عوضا عما خرج به الآخر وتبارعا وتفاصلا في ذلك... وسلم كل منهما الآخر فيما بيده التسليم التام"².

يتضح من خلال عقد القسمة أن ثروة الزاوية لم تتعد بعض الأراضي البورية والمسقية، ومن المحتمل أن تكون هذه الأملاك من عائدات الزاوية المرتبطة بالزيارات والهبات، في ظل غياب الإشارات حول الإنعامات المخزنية، ويمكن تفسير هذا الأمر بكون العهد السعودي الأول كان بصدد تثبيت أركانه واستكمال مقومات دولته لضبط الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، عكس العهد السعودي الثاني أي ما بعد معركة وادي المخازن 1578م، حيث بدأت تظهر بوضوح إقطاعات وإنعامات سعودية على الزوايا عموماً³.

أما الأراضي البورية وكذا السقوية الموجودة في كل من بتول والسهيب فهي حسب الأستاذ المازوني أراضي في ملكية شيخ الزاوية الخاصة ومن "مجهوده الذاتي كمزارع، ولم تكن لها صلة بأداء الزاوية"⁴.

1- الشفشاوني، م.س. ص. 105.

2- عقد قسمة وتراض وتعديل بين الشريفين الأخوين سيد محمد وسيد أحمد، بتاريخ 3 شوال 973هـ / 2 ماي 1566م وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

3- المازوني محمد، "ثروة الزاوية في مرحلة التأسيس"، مقال غير منشور.

4- اعتمد الأستاذ الباحث محمد المازوني على ما جاء في مستخرج قديم خاص بأملاك الزاوية بما في ذلك عقد تملك أرض تولي الذي اطلع على نسخته الأصلية. انظر: المازوني محمد، ثروة الزاوية في مرحلة التأسيس، مقال غير منشور.

أدرك شرفاء زاوية تامصلوحت منذ تأسيسها وخاصة خلال القرن التاسع عشر أهمية الاعتماد على الأرض والماء لتحقيق الاستقرار المادي للزاوية، ولعل الرصيد الوثائقي الذي حظيت به الزاوية خلال الفترة المدروسة يثبت ذلك.

عمد محمد بن سعيد مقدم الزاوية خلال الفترة الممتدة ما بين (1872-1908م)، -زار المشرق وتأثر بالمشاريع الزراعية وتقنيات الري هناك- إلى زراعة الأراضي الحبسية الخاصة بالزاوية البالغة مساحتها حوالي 500 هكتار بأشجار الزيتون بعدما كانت أغلبها أراض عارية¹، معتمدا على الإنعامات المائية المخزنية وكذا العيون المملوكة للزاوية مثل عيون مولاي الحاج وهي كالاتي: ساقية بوكماز طولها 20 كلم، وعيون تغميرن، بوكمان ومعزوزة².

شكلت زاوية تامصلوحت إذن النموذج الأبرز للرأسمال الرمزي المائي، على الرغم من تمتع بعض زوايا الحوز بالإنعامات المائية المخزنية، إلا أن الرصيد الوثائقي المحصل عليه يشير إلى تمتع تامصلوحت بالحظ الأكبر والأوفر من هذه الإنعامات المائية. وفيما يلي جرد بالتراكم الذي حققته الزاوية أو ما نستخدمه على تسميته بالرأسمال الرمزي المائي في كل من حوضي غيغاية ونفيس.

جدول رقم 9: الرأسمال الرمزي المائي لزاوية تامصلوحت بحوض غيغاية

السواقي	ظهير الإنعام المائي
ساقية الباشا/ الباشية	"النوبة من ماء يوم الجمعة من ساقية الباشا" ³
ساقية تيكرت	"أن يخدم الساقية الجديدة المعروفة بتكرت وأن يطلع الساقية من تحت الشهيرة بحيث لا ينازعه أحد من بني مداس ولا من غيرهم" ⁴

1- تذكر الروايات المحلية أن مولاي الحاج إبان الأزمة المالية التي عرفتھا الزاوية في عهد والده التقى بالسلطان محمد بن عبد الرحمان وناشده التدخل لإنقاذ الزاوية فنصحه هذا الأخير بالاهتمام بالأرض. انظر: المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص.ص. 60-65.

2- نفسه. ص. 67.

3- ظهير إنعام السلطان المولى الرشيد إلى إبراهيم بن أحمد، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1070هـ/ 30 دجنبر 1659م. - PASCON, P, T2, op.cit. P.8.

4- ظهير إنعام المولى إسماعيل على مولاي عبد الله بن الوافي، بتاريخ 19 شوال 1103هـ/ 4 يونيو 1692م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

ساقية مولاي الحاج ¹	" فقد أقررنا جانب الزاوية ما حبسه عليها أسلافنا الكرام من نوبة ليلة الأحد ويومه كل أسبوع من ساقيته الشهيرة" ²
--------------------------------	--

انطلاقاً من الجدول يتضح أن زاوية تامصلوحت قد استفادت من حصص مائية بمجموعة من السواقي المتفرعة عن وادي غيغاية مثل: ساقية تيكرت والساقية الباشية إلى جانب ساقية خاصة بالزاوية وهي ساقية مولاي الحاج وتسمى كذلك بالساقية المصلوحية. وفيما يلي جرد بنصاب الزاوية من مياه حوض نفيس:

جدول رقم 10: الرأسمال الرمزي المائي لزاوية تامصلوحت بحوض نفيس خلال القرن التاسع عشر

السواقي	ظهير الإنعام
ساقية أسكجور	"لا تتعرض على ما هو منفذ للمرابط السيد محمد بن سعيد المصلوحي بظهيرنا الشريف من نوبة ليلة الجمعة ويومها من ساقية أسكجور" ³ .
ساقية أكفائي والجديدة	" بحيث لا تهضم لهم حرمة وواجبهم في السواقي المنعم عليهم بها مولانا الجد قدس الله روحه أبقيناهم عليها من غير منازع لهم في ذلك تامزكلفت والجديدة وأكفائي ومن نازعهم أو عارضهم في ذلك تلاحقه العقوبة" ⁴ .
ساقية تمزكلفت	" حفيد الولي الأشهر مولانا عبد الله بن الحسين على التصرف في مصرف الصفاضف الخارج من تمزكلفت الذي أنعم به (...مولانا الكرام...إقرارا تاما أوحينا العمل بمقتضاه" ⁵ .

- 1- بلغت المساحة المسقية حوالي 245 هكتار تسقى بحوالي 5 لتر في الثانية. أنظر: PASCON, P, T2, op.cit. P.484.
- 2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 15 جمادى الثانية عام 1301هـ / 12 أبريل 1884م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
- 3- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى القائد أحمد أمالك، بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ / 12 أبريل 1884. أنظر:
- 4- رسالة من السلطان محمد بن عبد الله إلى شرفاء زاوية تامصلوحت، بتاريخ 18 صفر 1186هـ / 20 ماي 1772م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.
- 5- رسالة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1267هـ / 05 مارس 1851م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

استفادت زاوية تاملوحت من السواقي ذات الصبيب المائي المرتفع بحوض نفيس مثل: أسكجور، أكفاي، الجديدة وتمزكلفت، إلى جانب إنعام السلطان المولى إسماعيل عليها بمصرف أبو عمود من ساقية تسلطانت بحوض أوريقة كما جاء في نص الظهير التالي: **"والمصرف الذي يقال له أبو عمود من تسلطانت أنعمنا عليه بهما"**¹.

هكذا إذن حظيت الزاوية المصلوحية برصيد مائي مهم تمثل في السواقي المتفرعة عن نفيس وغيغاية بالخصوص، وإذا ما قارنا توزيع الحصص المائية بساقية تمزكلفت على سبيل المثال بين مختلف المستفيدين منها من رجال المخزن والزوايا فإننا نجد مايلي:

جدول رقم 11: توزيع ماء ساقية تمزكلفت²

ملاك الأراضي	المساحة بالهكتار	الحصص المائية بالتر في الثانية
أراضي الدولة	7855	151
الكلاوي	558	7
المصلوحي	245	5
التباع	110	1

يتضح من خلال الجدول قيمة أراضي الدولة التي حازت 7855 هكتار من الأراضي و151 لتر في الثانية من المياه، أي حوالي 83% من مجموع مياه ساقية تمزكلفت، في حين حاز القائد الكلاوي نسبة 4% من المياه لسقي أراضيها التي بلغت مساحتها 558 هكتار، أما بالنسبة للزوايا فقد قدرت أراضي تاملوحت بـ 245 هكتار وحوالي 5 لتر في الثانية من ساقية تاملوحت أي نسبة 3% مقارنة بأراضي زاوية التباع التي لم يتعد نصيبها من الماء لترا واحدا في الثانية فقط، وبهذا تكون تاملوحت قد حظيت بالنصيب الأوفر من الماء من ساقية تمزكلفت مقارنة بباقي الزوايا.

¹- رسالة من السلطان المولى إسماعيل إلى عبدالله بن عبد الكريم حفيد مولاي عبد الله بن حسين، بتاريخ 12 ذو الحجة 1144هـ/ 6 يونيو 1732م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

²- PASCON, P, T2, op.cit. P.484.(بتصرف)

عموما استطاعت زاوية تامصلوحت تحقيق تراكم للثروة طيلة القرن التاسع عشر مستعينة بمكائنتها وحظوتها لدى المخزن، بحيث أن معظم أملاكها "في أغلبها مستخلصة من أدوارها السياسية والدينية، وهي في الغالب الأعم متنازلات المخزن تحديدا"¹. وفيما يلي جرد ببعض النطاقات المسقية التي بلغ عددها قرابة 12 نطاق مسقي، شكلت مصدرا أساسيا لإنتاج الزيتون:

جدول رقم 12: النطاقات المسقية لزاوية تامصلوحت خلال القرن التاسع عشر²

النطاق	المساحة بالهكتار	عدد أشجار الزيتون
عين معزوزة	1077	3500
أكدال مولاي الحاج	798	13500
تغميرين	79	1000
أغزراف	100	7000
واد الصفصاف	50	875
السهيبي	20	475
بجعو	60	600
تواريشث	10	120
بوبرلة	60	-
الفيضة	142	-
بلد الجديد	60	-
تغزاوت	16	-
المجموع	2472	27070

هكذا إذن عرفت ثروة تامصلوحت توسعا كبيرا بالحوز خلال القرن التاسع عشر حينما اعتمدت على الفلاحة عوض مداخل الزوايا التقليدية من زيارات وهبات وغيرها،

¹- Laroui Abdellah, **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830- 1912**, Maspéro, Paris, 1977. P.146.

²- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف، م.س. ص.68.

وهو ما جعل حقوق الزاوية المصلوحية تضاهي ما كان تحت تصرف وجهاء السلطة المخزنية بالحوز.

وبهذا أصبحت زاوية تامصلوحت من أكبر ملاك الأرض والماء بمجال حوز مراكش، حيث بلغت الحصص المائية حوالي 200 لتر في الثانية حسب تقديرات باسكون¹، أي حوالي 5/1 الدورات المائية من خطرات وسواقي الحوز²، والتي خصصت لسقي حوالي 2000 هكتار من الأراضي السقوية في حوض نفيس و500 هكتار في حوض غيغاية إلى حدود فترة مشيخة مولاي سعيد، أما ثروتها اليوم فتقدر بحوالي 10000 هكتار و47000 جذر مسقي بحوز مراكش³.

وقد وصف إدموند دوتي أراضي زاوية تامصلوحت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وشبهها بأكدال تأكيداً على شساعتها، فهي حسب قوله "بستان شاسع فسيح يحيط به سور، وقد امتلأ بأشجار الزيتون. فالشريف هو أكبر منتج للزيت في هذه الناحية"⁴. فكيف تم تدبير المسألة المائية والزراعية بالزاوية المصلوحية؟

2- تدبير الرأسمال الرمزي المائي بزاوية تامصلوحت خلال القرن التاسع

عشر

عرفت مسألة تدبير الزوايا للحقوق المائية وما ارتبط بها من أراضي تنوعاً، إذ سعت في البداية إلى حمايتها عبر طلب استصدار ظهائر التوقيع والاحترام خاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لما تنامي نفوذ القياد الكبار بحوز مراكش مما شكل خطورة على ممتلكات الزاوية وأثار مخاوفها، فكان طلب الظهائر أول خطوة لتأمين رأسمالها الرمزي المائي، إلى جانب توسيع مشاريعها المائية والاعتناء بكس السواقي والاهتمام بتدبير خدمة الأرض عبر اعتماد نظام الرباعة والخماسة.

¹ - PASCON, P, T1, op.cit. P.279.

² - نيكولا ميشيل، م.س. ص. 81-82.

³ - حسب الإحصائيات التي وافانا بها الأستاذ محمد المازوني في لقاء معه يوم 22 غشت 2022.

⁴ - دوتي ادموند، مهام في المغرب من خلال القبائل، م.س. ص. 403. وقد أكد هذا الوصف كذلك الفرنسي lagnel الذي خطط لإنجاز معصرة زيت تعمل بالآلة البخارية للزاوية.

✓ طلب استصدار الظهائر لحماية الرأسمال الرمزي المائي:

سعى مقدمو زاوية تامصلوحت إلى طلب استصدار ظهائر الحماية والتوقيع كلما تمتبيعة سلطان جديد، بهدف حماية ما جمعتة الزاوية من أراضي وحصص مائية وتحصين ممتلكاتها من تطاول القياذ أو القبائل المجاورة، وهو ما ساهم دون شك في تشكيل رأسمال رمزي مائي مهم بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

طلب شرفاء تامصلوحت سنة 1293هـ/1876م، من السلطان المولى الحسن إسدال رداء الأمان على الزاوية وعزبانها والمشتغلين فيها حتى يحصلوا على حصانة تمنع عنهم تطاول أيادي القياذ، فأصدر السلطان ظهير توقيع بتاريخ 11 جمادى الأولى 1293هـ/3 يونيو 1876م، أقر من خلاله حماية جميع الأملاك التابعة لزاوية تامصلوحت والتي شملت المناطق المسقية الثمانية للزاوية وهي: "عزيب الغيطس بالحوز- عزيب أكفاي به أيضا عزيب بوادي نفيس عزيب بعين مغروزة عزيب حذاء مولاي أحمد بن الوافي، عزيبان لمولاي ابراهيم بن أحمد بأغاطيم، عزيب بدار العين"¹. هكذا شملت حماية السلطان جميع العزائب التابعة في الأصل لزاوية عبد الله بن حسين وكذا عزيب زاوية مولاي الوافي وعزيبان لمولاي إبراهيم كما جاء في طرة الرسالة، وهو ما يؤكد باللموس تملك تامصلوحت لثروات الزوايا المتفرعة عنها، ما ساهم دون شك في جمع ثروات مهمة ظلت الأرض والماء مصدرها الأساسي.

تجددت حماية المخزن لعزبان زاوية تامصلوحت وهي نفس العزبان الواردة في الرسالة السابقة الذكر، وفوض لها التصرف فيها كتصرف المالك في ملكه سنة 1311هـ/1894م ونص الرسالة كالآتي: "وعزائبه لا يتصرف فيها ولا في أصحابها أحد سواه كما هو شأن عزائب الشرفاء"².

¹- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد محمد بن داود، بتاريخ 11 جمادى الأولى 1293 هـ/ 3 يونيو 1876م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

²- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد محمد ويده السوسي، بتاريخ 14 شوال 1311هـ/ 19 أبريل 1894م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

جدد شرفاء تامصلوحت طلب استصدار ظهير التوقير والاحترام من المخزن لما تعرض قائد أغواطيم الحيلاني بن علي على حصتهم من مياه ساقية أسكجور، فبعث السيد محمد بن مكي رسالة إلى القائد المذكور ينبهه إلى عدم التعرض على مياه الزاوية "وساقيته الشهيرة المعد له المنعم به عليهم بالظواهر الشريفة وهو ليلة الحد ويومها... فلا تتعرض له عن مائه حسب ما في ظواهره الشريفة ولا بد وتصادق معه بوجه جميل فإنه ذو نسبة"¹، يتضح من خلال الإشارة أمر السيد محمد بن المكي للقائد الحيلاني القاضي بعدم التعرض على مياه الزاوية المعروفة ليلة الأحد من ساقية أسكجور، لأنها حسب الظواهر الشريفة من الإنعامات السلطانية، كما نبه القائد المذكور إلى ضرورة التعامل الجيد مع مقدم الزاوية مولاي الحاج لأنه ذو مكانة وحظوة لدى المخزن.

يتضح إذن أن الظواهر السلطانية هي بمثابة تحصين للرأس مال الرمزي المائي الخاص بالزوايا من جهة، ومن جهة أخرى تأكيد على ارتباط مؤسسة الزاوية بالمخزن وبسلطته ونفوذه. فكيف دبرت الزاوية المسألة المائية والزراعية بعزائبها؟

✓ تدبير المسألة المائية بالزاوية:

قبل الحديث عن مسألة التدبير لا بد من الإشارة إلى بعض التقنيات المائية بتامصلوحت، والتي اقتصرنا من خلالها تسليط الضوء على الخطارات ومقارنتها ببعض المجالات الأخرى بحوز مراكش.

¹- رسالة من محمد بن مكي إلى السيد الحيلاني بن علي الواقف بأغواطيم، بتاريخ 21 رجب 1299هـ/ 8 يونيو 1882م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

جدول رقم 13: الخطارات ببعض مناطق الحوز¹

المجموع	عدد الخطارات مع تحديد عمقها		اسم المجال
	أقل من 20 متر	أكثر من 20 متر	
16	15	1	تامصلوحت
27	1	26	الأوداية
186	0	186	أوريكة

إذا ما قارنا عمق الفرشة المائية بتامصلوحت مع مجال الأوداية مثلاً فإننا نجد بها حوالي 27 خطارة 26 منها أقل من 20 متر وواحدة أكثر من 20 متر، أما مجال أوريكة فنجد به حوالي 186 خطارة جميعها أقل من 20 متر، وبهذا يتضح أن الفرشة المائية بمنطقة تامصلوحت عميقة مقارنة بباقي مناطق الحوز (أوريكة- الأوداية...)، وحسب الروايات الشفوية فإن معظم هذه الخطارات التي بلغ مجموعها 16 تابعة لزاوية تامصلوحت التي سهرت على تنقيتها وصيانتها حسب ما أشارت إليه بعض الرسائل المخزنية، أما اليوم فإن أغلب هذه الخطارات طمست معالمها بفعل جفافها وتزايد عدد السكان².

- المشاريع المائية وطرق صيانتها:

عمد شرفاء زاوية تامصلوحت إلى استصلاح الخطارات واستغلال مياه السواقي والعيون لسقي أراضيهم، إلى جانب اعتماد تقنية الأبراج المائية أو كما تسميها الساكنة المحلية بالمعيدات على طول مدخل تامصلوحت، وحول تاريخ تأسيسها أو كيفية عملها فإن المصادر التاريخية أغفلت الحديث عنها.

وحسب الروايات المحلية فإن فضل إحداث الأبراج المائية "المعيدات" يعود إلى فترة مشيخة مولاي الحاج المصلوحي (1872-1908م)، وهو الأمر الذي أكده باسكون بدوره

¹- PASCON, P, T1, op.cit. P.113.

²- وهو ما تمت ملامسته خلال الزيارة الميدانية لمنطقة تامصلوحت بتاريخ 2022/07/31م.

أثناء حديثه عن مولاي الحاج الذي أصبح أكبر منتج للزيتون في حوضي نفيس
وغياية وعمل على تصديره نحو الأسواق الفرنسية والانجليزية¹.

صورة رقم 1: معيدات تامصلوحت²



¹ - PASCON, P, T2, op.cit. P.289.

² - صور شخصية خلال زيارة تامصلوحت يوم 2022/07/31م.

المعيدات هي عبارة عن مضخات لرفع المياه من مستويات منخفضة إلى أخرى مرتفعة نسبياً لتجاوز عائق الانحدار الطبيعي في تامصلوحت، بلغ عددها حوالي 13 برجاً يحتوي كل واحد على أنبوبين (قادوسين) قطر الأول 15 سنتيمتر والثاني 60 سنتيمتر، أما ارتفاعها فقد تراوح بين 17 و15 متراً ومنها من قل عن ذلك، أما المادة المستعملة في بنائها فقد تم اعتماد الآجور والطين والجير¹.

تم جلب الماء إلى تامصلوحت عبر الأبراج المائية "المعيدات" من عين اوزكاً (Ouzgga) على بعد 25 كلم في اتجاه منطقة كيك، وقد جعل لها مولاي الحاج المصلوحي رافدين واحد في حي القصور والمواسين بمراكش والرافد الثاني في زوايته بتامصلوحت لسقي مزروعاته وكذا الحدائق المعلقة المتواجدة في قصبته والمسماة بـ "قبة السلطان" نسبة إلى السلطان الحسن الأول الذي قيل حسب الروايات المحلية أنه كان يزور تامصلوحت بين الفينة والأخرى، وعموماً فالهدف الأساسي من بناء هذه المنشأة هو ترشيد استهلاك المياه وحمايتها من التلوث خاصة وأن المغرب خلال القرن التاسع عشر عاش على وقع أزمات مائية وما تلاها من أوبئة ومجاعات.

- أشغال الكنس والصيانة:

إن المنشآت المائية بجميع أشكالها تحتاج إلى عمليات صيانة وكنس بشكل دوري مما قد يشوبها من أحجار وغيرها حتى يستمر عملها على أحسن وجه، غير أن هذه العملية خضعت لمجموعة من الأعراف المنظمة لها. فكيف كانت تتم هذه العملية في ظل إشراف مؤسسة الزاوية؟

¹ - رواية شفوية استقيناها من أحد أحفاد الزاوية المصلوحية وهو "عبد الله الأزهاري" البالغ من العمر 34، بتاريخ 9 غشت 2022م.

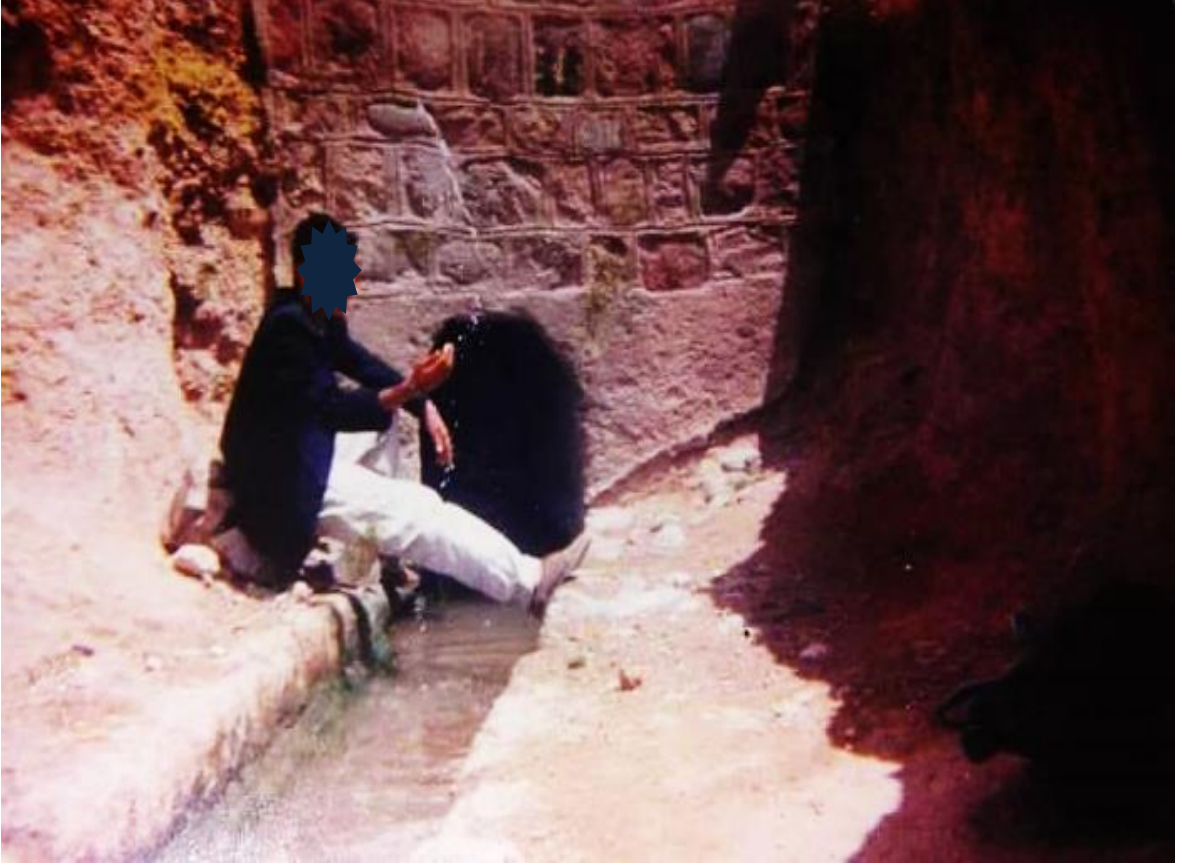
صورة رقم 2: صهريج لجمع المياه¹.



سهرت الزاوية المصلوحية على صيانة وكنس السواقي والخطاطير التي اعتمدت عليها في سقي أراضيها وعزائبها، خاصة وأن حفر بعض السواقي في الأصل ارتبط بكرامات الولي الصالح كالساقية المصلوحية، ولا أدل على ذلك من توافد الزوار على بعض العيون والتبرك بها كعين النسا التي اعتقد فيها بالإنجاب.

¹- صور شخصية خلال زيارة تامصلوحت يوم 2022/07/31م.

صورة رقم 3: عين النساء¹



لم يعمل الشرفاء في عمليات صيانة وكنس المنشآت المائية لأن مكانتهم وقيمتهم في المجتمع منعتهم من ذلك، وهو انعكاس واضح للتراتبية الاجتماعية السائدة داخل تامصلوحت والتمييز بين فئة الشرفاء والعامة²، وعموما ساهم الشرفاء في أعمال الصيانة عبر توفير الدواب وبعض وسائل العمل للمتطوعين ونخص بالذكر هنا أتباع الزاوية من العطويين الذين بلغ عددهم ما يقارب 2000 شخص، وفي أحيان أخرى كانت كل أسرة من عامة سكان تامصلوحت مطالبة بتوفير رجل منها للعمل في كنس وصيانة السواقي والخطاطير وهو ما عرف بحد الصايم³ أو عن طريق التوزيع¹، أما السواقي التي استفادت

¹- صورة تعود لفترة التسعينات قدمها لنا الأستاذ رشيد الكناني أحد أبناء المنطقة يوم 2022/07/31. وتجدر الإشارة إلى أن هذه العين قد تم طمست معالمها اليوم.

²- رواية شفوية عن السيد "الحاج أحمد المنتار"، أحد قدماء الساكنة المصلوحية المزداد بتاريخ 1943م، بتاريخ 31 يوليو 2022م.

³- أي بلوغ الفرد سن الصيام وهو العامل الأساس للمشاركة في عملية الصيانة، بمعنى أن الشخص أصبح قادرا على تحمل أعباء العمل. انظر:

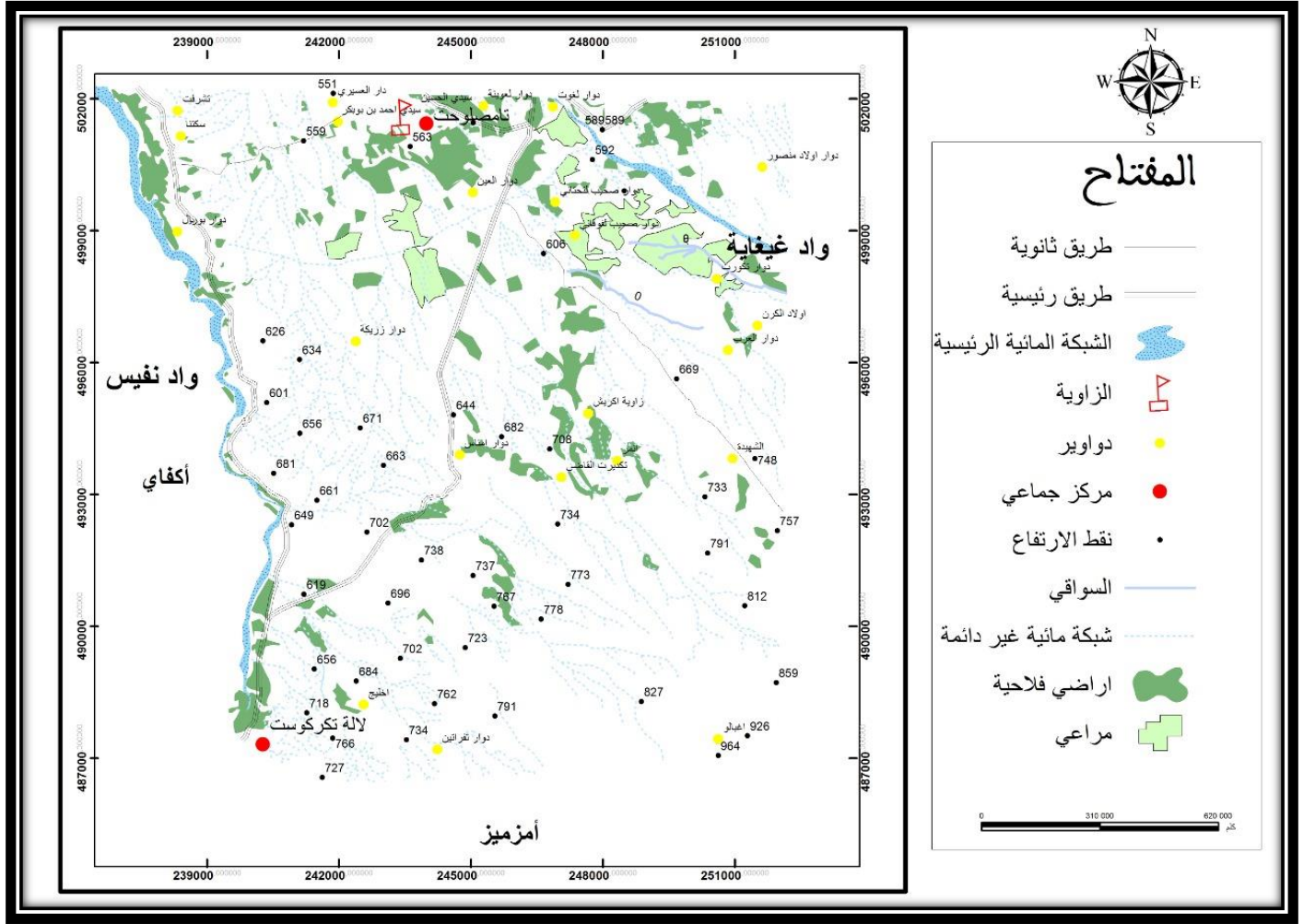
منها الزوايا بموجب الظواهر المخزنية فقد سهر هذا الأخير على صيانة بعضها كساقيتي تاسلطات وتاركة.

✓ تدبير المسألة الزراعية في الأراضي المصلوحيّة:

اهتمت زاوية تامصلوحت بالمجال الفلاحي وتأتي زراعة أشجار الزيتون ضمن أولوياتها، فكما سبقت الإشارة تصرفت الزاوية في عدة عزائب فوضت لها بموجب ظواهر سلطانية مع ما ارتبط بها من حصص مائية، فإذا ما تمعنا في العزائب التابعة لزاوية تامصلوحت فإننا نجد أنها تتمركز بالقرب من مصادر المياه الدائمة من وديان وسواقي، كما يتضح من خلال الخريطة التالية:

-
- أنظمة السقي في التراث المغربي: حالة المصطلحات والمفاهيم الخاصة بأنظمة السقي بسهل تافيلالت، مجلة دفاتر جغرافية، العدد 3-4، 2007، ص.77.
- حافظي علوي حسن، "قسمة الماء بالقلد ببلاد المغرب في العصر الوسيط"، ضمن أعمال ندوة الماء الممتلك: الدول القسمة وحق التصرف في الحظ من الماء، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2002، ص.125.
- 1- التوزيع أصلها كلمة أمازيغية "تويزي" بمعنى حمل أو ساعد على حمل شيء ثقيل، وهي مساعدة جماعية تطوعية من طرف أهل القبيلة لفرد أو عائلة، وتعبّر عن تعاون من أجل إنجاز أعمال ذات مصلحة جماعية كبناء مسجد أو تحويل مجرى مياه من أجل السقي. بورقية رحمة، "مادة التوزيع"، معلمة المغرب، ج8، م.س. ص.2652.
- حسب الرواية الشفوية التي قدمها لنا السيد "الحاج أحمد المنتار"، أحد قدماء الساكنة المصلوحيّة المزداد بتاريخ 1943م، بتاريخ 31 يوليوز 2022م.

خريطة رقم 5: الشبكة المائية الرئيسية بتامصلوحت.



المصدر: عمل شخصي

يتبين من خلال التوزيع الجغرافي لعزبان الزوايا وجودها بالقرب من مصادر المياه الدائمة، بحيث يحدها كل من وادي غيغاية ووادي نفيس، الذين استفادت من مياههما لسقي مزارعها وأراضيها الخصبة، وهو ما جعلها نسبيا في منأى عن مخاطر الجفاف وتبعاته. فكيف تم تدبير المسألة الزراعية بعزائب الزاوية؟

اعتمدت الزاوية لتدبير مختلف عزائبها بحوز مراكش على طرق مختلفة أهمها التوزيع، الرباعة والخماسة الذين تتم حمايتهم من طرف شريف الزاوية والدفاع عنهم أمام المخزن إذا اقتضى الأمر ذلك¹.

لم تعتمد تامصلوحت على عملية كراء أراضيها حسب الرواية الشفوية التي استقيناها من أحد أحفاد الزاوية المصلوحية، الذي أكد أن عزائب الزاوية كانت تعتمد على نظام الرباعة والخماسة الذين يقومون بزراعة الأرض بعد التفاهم مع الشرفاء على حصصهم، وهذه المسألة لا زالت مستمرة إلى حدود اليوم حيث يتوصل الورثة بنصيبهم من غلات الزيتون على وجه الخصوص²، أي أن أملاك الزاوية تحولت إلى ممتلكات خاصة لورثتها.

التوزيع: كلمة أصلها أمازيغي "توزي" بمعنى حمل أو ساعد على حمل شيء ثقيل، وهي مساعدة جماعية تطوعية تتم عن طريق العمل اليدوي أو تقديم الدواب من طرف أهل القبيلة لفائدة شخص أو عائلة³، وقد شكلت الأرض وما يرتبط بها من حرث وسقي وحصاد موضوعا للتوزيع في عدد من مناطق المغرب، كما هو الشأن بالنسبة للزاويا التي عمد مقدموها إلى إطعام المتطوعين في التوزيع طوال مدة عملهم. هكذا إذن فالتوزيع عبارة عن ظاهرة اقتصادية بالأساس هدفها خدمة الأرض⁴.

تم العمل في عزائب الزوايا باعتماد نظام العزابة⁵ أو ما يعرف كذلك بالمسلمين⁶ خاصة في الغرب وجبال أما في منطقة تامصلوحت وحسب المعلومات المتوفرة فإن شرفاء تامصلوحت اعتمدوا نظام الخماسة والرباعة.

1- حليم عبد الجليل، م.س. ص. 26.

2- رواية شفوية من أحد أحفاد الزاوية "عبد الله الأزهاري"، بتاريخ 9 غشت 2022م.

3- التوفيق أحمد، م.س. ص. 387.

4- بورقية رحمة، "مادة التوزيع"، معلمة المغرب، ج 8، م.س. ص. 2652-2653.

5- تحمل كلمة العزابة معنيين: الأول يتعلق بالرعاة الذين ينتقلون رفقة قطعانهم بحثا عن الماء والكأ، أما المدلول الثاني الذي يلامس موضوع البحث يرتبط بالعزاب غير المتزوجين الذين كانوا يتولون عملية الإشراف على تسيير العزائب سواء التي كانت في حوزة رجال المخزن أو شرفاء الزوايا، مقابل حماية الشريف لهم وإغنائهم من الكلف المخزنية وعدم الخضوع للقضاء المخزني. الفقيه الإدريسي، "مادة العزيب"، معلمة المغرب، ج 18، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. 2003. ص. 6054.

6- المسلمين: إن دلالة اسم المسلمين أطلق على العزابة، وهي فئة تابعة تبعية شبه مطلقة للشريف الذي يجمع الإتاوات ويفرض عليهم الأعمال المجانية وأحكام السجن دون أن يتدخل بينه وبين تابعيه أحد، كما يملك الشريف حق تسليفه لشخص آخر دون بيعه. الهادي الهروي، م.س. ص. 177-178.

الخماسة: نمط من أنماط استغلال الأرض يكمن في التعاقد بين صاحب الأرض والخماس شفهيًا أو كتابيًا، يقضي بحصول الخماس على خمس المحصول- إذا كانت حبوب يستثنى منها التبن- مقابل خدمته للأرض بالحرث والزراعة والسقي وجني المحصول، وعلى صاحب الأرض أن يوفر البذور والماء، وهكذا فالخماس يعمل طيلة النهار دون راحة إلا أيام السوق والأعياد لأنه يكلف بأداء بعض المهام الأخرى الخارجة عن الاتفاق.

إن الاتفاق المبرم بين صاحب الأرض سواء كان من وجهاء المخزن أو شريف زاوية أو مالك أرض بصفة عامة لا يجوز إلغائه إلا نهاية الموسم الفلاحي، وفي حالة وفاة أحد المتعاقدين ينوب عنهم أبنائهم ويبقى العقد ساري المفعول حتى جني المحصول¹.

الرباعة: صنف من أصناف الاتفاق الزراعي التقليدي بالمغرب، أي الشركة بالربع حيث يقدم الرباع خدماته في الأرض ويسهر على مراقبة الغلة، مقابل حصوله على ربع المحصول، وفي بعض الأحيان أكثر حسب الاتفاق المبرم بين الشريف والرباع².

خلق اعتماد نظام الرباعة والخماسة بدوره عدة مشاكل بحيث أخذ هؤلاء العزابة في التكتل وتكوين جماعات طالبت شرفاء الزاوية بامتلاك تلك الأراضي نظرا لطول خدمتهم بها، وأمام هذه المخاطر سارع الشرفاء إلى تسجيل عزائبهم بالمحافظة العقارية، غير أن هذا لم يمنع من استمرار اشتغال الرباعة والخماسة إلى اليوم بعزبان تامصلوحت.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الامتيازات والعزبان ليست ثابتة دائما فقد ظلت موضع مراجعة من طرف المخزن الذي كان يملك حق مصادرتها في أي وقت، وتحويل التصرف فيها إلى خدامه للاستفادة منها، كما جاء في نص الرسالة التالية: "وبعد فلينبه لشريف علم سيدنا أيده الله أن جنان اصْفيد المنعم به على الخديم بظهير شريف أسماه الله المنسوب للضريح المثبت نفعا الله ببركاته فقد دفعته للناظرين على الأحباس المذكور وحملوا منه

1- حليم عبد الجليل، مادة "تاخماست"، معلمة المغرب، ج6، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1992/1413 م. ص. 1999.

2- حليم عبد الجليل، مادة "تارباعت"، نفسه. ص. 2013.

نسخة مسجلة بالعدل والقاضي وردوه إلي وأخبروني فيه بالتصرف"¹، وقد ساهم نقل الإنعامات المائية من شخص إلى آخر أو من قبيلة إلى أخرى في نشوب عدة نزاعات. فما أبرز الصراعات المائية التي شكلت الزاوية طرفا فيها بمجال حوز مراکش؟

¹- رسالة من عبد الرحمان البوكيلي إلى السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 2 ربيع الثاني 1310هـ/23 أكتوبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

الفصل الثالث: الصراع حول الحقوق المائية

لطالما احتلت مؤسسة الزاوية مكانة مهمة لدى القبائل والمخزن على حد سواء¹، باعتبارها حكما في النزاعات القبلية ومنطقة أمن وحرم وزواك، إلا أن هذا لم يمنع مرور هذه المؤسسة بعدة صراعات منها ما ارتبط بالمنافسة على منصب مقدم/شيخ الزاوية، ومنها ما تعلق بعنصر الماء، وهذا الأخير هو موضوع هذا الفصل، أما المشاكل الداخلية للزاويا فقد استفاضت فيها بعض الدراسات² وأشارت إليها بعض المراسلات المخزنية³.

لم تسلم الزوايا من الصراع على الماء مع مختلف الكيانات المجاورة لها، سواء تعلق الأمر بالقبائل أو خدام المخزن من عمال وقياد، على الرغم من تحصنها بظهائر التوقير والاحترام المخزنية، ما دفع المخزن إلى التدخل لحسم النزاع، على الرغم من أنه كان في بعض الأحيان طرفا في النزاع بعد تراجعته عن بعض الإنعامات المائية وتحويل التصرف فيها لصالح طرف آخر.

لعل ما يفسر تطاول القبائل خاصة على مياه الزوايا بحوز مراكش بعد أن كانت تولي لها مكانة كبيرة وتحيطها بهالة من القدسية هو توالي سنوات الجفاف، إلى جانب الضغط الجبائي الذي عانت منه القبائل الملزمة بالدفع في ظل الإكراهات المالية التي عانى منها مخزن القرن التاسع عشر نتيجة هزائمه العسكرية – إيسلي وتطوان-، والتي وصفها باسكون بأزمة الدولة المغربية⁴.

لا بد من الإشارة أيضا إلى استغلال خدام المخزن من عمال وقياد نفوذهم من أجل الاستحواذ على الأراضي الجيدة بمجال حوز مراكش، وهو ما يستلزم الحصول على مياه وفيرة ما دفعهم إلى الترامي على الحقوق المائية لباقي الكيانات المجاورة من ضمنها

¹ - Walter, H, op.cit. P.253-254.

² - المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص.ص. 42-57.
³ - وحول النزاع بين شرفاء الزاوية نورد الرسالة التالية: "وبعد مجاملة مولاي الحبيب المصلوحي كان اشتكى به محجوره ولد أخيه وشرح لسيادتك كتاب مولانا المنصور بالله برفع النازلة للشرع والجمع عليها وورد الجواب بتنفيذ ذلك وفيه أن أهل الجمع اتفق رأيهم على تقديم من ينوب عن المحجور حتى يقد عمه ثم لما أراد مولاي الحبيب المذكور... السفر طلب كتابا لسيادتك في هذه النازلة فمكناه من هذا ليفد به على شريف حضرتك والعمل على ما شرح في كتاب مولانا"³. رسالة من محمد الصفار إلى الخليفة السلطان مولاي الحسن، بتاريخ 7 محرم 1283هـ/21 ماي 1866م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:2.

⁴ - PASCON, P, T1, op.cit. P.195.

الزوايا، بدأت هذه الظاهرة منذ القرن التاسع عشر لتصل مداها خلال القرن العشرين مع ظهور قياد من كبار ملاكي الأراضي أمثال الكلاوي، الكندافي وغيرهم¹.

هكذا إذن شكل الماء مصدر نفوذ وقوة، فالحصول على مياه وفيرة يعني الحصول على النفوذ والسلطة، إذ لا قيمة للأرض في الحوز دون ماء. فما أبرز النزاعات المائية التي شكلت مؤسسة الزاوية طرفا فيها؟ وكيف تدخل المخزن لحلها؟

¹ باسكون بول، "الفتنات الكبرى للفايدية"، ترجمة زبيدة بورحيل، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، العدد الخامس والسادس، 1989م. ص 67 - 149.

1. الترامي على الحقوق المائية للزوايا

شكلت الإنعامات المائية موضع نزاع بين الزوايا والقبائل المجاورة خاصة عقب توالي سنوات الجفاف، ولم يتوقف الصراع عند هذه الأطراف بل تعداه ليشمل الزوايا فيما بينها وكذا المخزن بعد تراجعها عن بعض إنعاماته عليها وتفويضها لطرف آخر. فما أبرز الصراعات المائية التي شهدتها زوايا حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

✓ الصراع مع القبائل:

تأتي تامصلوحت في مقدمة الزوايا التي تعرضت عزبانها لبعض الانتهاكات من طرف القبائل -بما أنها حصلت على حقوق مائية كبيرة في مختلف مناطق الحوز-، كما هو الحال حين هاجم فرع آيت داود (فرع من قبيلة آيت يمور) عزيزب الزاوية المصلوحية بأسكجور، ما دفع بشيخ الزاوية إلى رفع شكواه للسلطان¹.

تجدد الصراع حول مياه زاوية تامصلوحت لكن هذه المرة مع قبيلة مجاط سنة 1263هـ/1847م التي حاولت الترامي على حصص الماء المنعم بها على الزاوية من ساقية تمزكلفت، لما قل منسوب الماء بها، فوجه المخزن جوابا للمقدم "الشريف مولاي سعيد حفيد الولي الأشهر مولاي عبد الله بن حسين دفين تمصلوحت نفع الله به (...)" ما أنعم به عليهم أسلافنا قدسهم الله حسبما بظواهرهم ساقية تمزكلفت وأراضي الحراثة المسمات أكفائي لما طال النزاع في ذلك بين الفريقين"²، وضحت الرسالة الساقية موضوع النزاع وبينت كذلك كيفية توزيع المياه بها سنأتي على ذكرها في المحور الثاني³.

رفع محمد بن سعيد المصلوحي شكوى إلى السلطان الحسن الأول بتاريخ 7 ذو الحجة 1300هـ/ 09 أكتوبر 1883م حول هجوم أحد الأشخاص المسمى ولد أحمد وإخوانه على عزيزب زاوية تامصلوحت بمنطقة أسكجور ونهبهم للبهائم وضرب المكلف بالعزيزب بالرصاص، فجاء جواب السلطان على الشكل التالي: "وما تشكيت به من هجوم ولد أحمد

1- المازوني محمد، دراسات في تاريخ التصوف المغربي، م.س. ص 121.

2- رسالة بتاريخ 23 ربيع الأول 1263هـ/ 11 مارس 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

3- انظر: المحور الثاني "تدبير النزاعات المائية المرتبطة بالزوايا" من هذا الفصل.

مبارك الأموي وإخوانه... داود على عزيزكم ليلا بأسكجور وضربهم صاحبك بالرصاص ونهبهم لك[...] ما بينته من البهائم قد رفع الكلام في ذلك مع عاملهم هنا بالفصل في الدم والنهب فأجاب بأنه كتب لخليفته بذلك فإن هو فعل فذاك وإلا فأعلمنا¹، تدخل السلطان وكتب للعامل بضرورة الفصل في الدم والنهب الذي وقع للزاوية من طرف أحد أفراد القبيلة القائم عليها، كما أخبر مقدم الزاوية بضرورة إعلامه إذا لم يتم الفصل في الحادثة. يتضح إذن أن القبائل ترامت على الحقوق المائية للزاويا رغم ما كانت تكنه لها من احترام وتوقير -اقتصرنا على ذكر تاملوحت نظرا لقلّة الوثائق التي تناولت باقي زوايا الحوز-، ولعل السبب الأساسي وراء هذا الترامي هو عامل الجفاف، فإذا رجعنا إلى النزاع الذي دار بين تاملوحت وقبيلة مجاط نلاحظ أنه يعود إلى سنة 1847م وهي السنة التي شهد فيها المغرب جفافا عم جميع بلاد المغرب مدة خمس سنوات ما بين 1847-1851م²، أما مسألة نهب الزاوية سنة 1883م، فهي تعود بالأساس كذلك إلى الجفاف الذي بدأ منذ سنة 1880م ودام أربع سنوات خاصة بالمناطق الجنوبية في المغرب³.

✓ الصراع مع القياد:

تعرضت زاوية بن ساسي هي الأخرى للترامي على بعض ممتلكاتها من طرف القائد عبد الحميد الذي باع غلة أحد بساتينها (جنان)، وتدخل في أملاك أخرى بالرغم من أنها بعيدة عن مجال سلطته ونفوذه وتابعة للقائد الحاج أحمد أمالك، وهو ما عبرت عنه الرسالة التي بعث بها السلطان المولى الحسن الأول إلى أخيه المولى عثمان بتاريخ 3 شوال 1291هـ/13 نونبر 1874م ونصها كالآتي: "وبعد وصلنا كتابك بأن ابن بلة كتب لك متشكيا أن لوالده جنانا...تملكه بالشراء وتحت يده رسمه فترامى عليه القايد عبد الحميد

1- رسالة من السلطان الى السيد محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 7 ذو الحجة 1300هـ/ 9 أكتوبر 1883م.
- PASCON, P, T2, op.cit. P.70.
2 - MIEGE, J, T2, op.cit. p39.
3- رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى قائد أكادير الحاج عمر بن سعيد المتوكي، بتاريخ 16 جمادى الثانية 1297هـ/ 26 ماي 1880م. م.و.م، الوثائق، المجموعة الثالثة، م.س. ص.497.

وباع غلة زيتونه مع أنه بزاوية ابن ساسي التي إلى نظر وصيفنا الحاج أحمد أمالك كما ترامى لهم على أملاك بياالته¹.

تدخل القائد عبد الحميد في أمور زاوية بن ساسي من جديد سنة 1297هـ/ 10 يناير 1880م، حين عمد إلى سجن شخص -لم يرد ذكر اسمه في الرسائل المخزنية سوى أصله الذي كان من (ابزوا)- لما بلغ بوفاة فلاح كان يشتغل في إحدى أراضي زاوية بن ساسي وما خلف من ممتلكات، متجاوزا بذلك الأوامر المخزنية، وهو ما أكدته الرسالة التي بعثها أحمد عامر الإدريسي إلى السيد محمد بن العربي الجامعي، ونصها كالآتي: "وبعد فينهي إلى سيادتكم بأن رجلا من ابزوا من سكان مراكش خرج لزاوية ابن ساسي يحرق بها حرثا ومات رحمه الله بدار المختار بن عبد الدائم بحاشية الواد وجاءنا الرجل الذي بالدار وأخبرنا بالميت وما تركه عنده حسبما يصل سيادتكم بطي هذا فلما سمع القايد السيد عبد الحميد قبض على الرجل الذي أخبرنا وجعله بسجنه فأرسلنا له على متاع بيت المال ووجهنا لك طيه مولانا نصره الله فمنعنا من ذلك ولم يعمل بالظهير الشريف ونظركم أوسع"².

كما تعرض قائد أغواطيم الجيلالي بن علي على المياه المنعم بها على زاوية تاملوحت من ساقية أسكجور، فبعث السيد محمد بن مكي رسالة إلى القائد المذكور وفيها "وبعد فإن الشريف مولانا الحاج ابن مولانا سعيد المصلوحي أخبر أنك تتعرض له عن مائه وساقيته الشهيرة المعد له المنعم به عليهم بالظواهر الشريفة وهو ليلة الحد ويومها... فلا تتعرض له عن مائه حسب ما في ظواهره الشريفة ولا بد وتصادق معه بوجه جميل فإنه ذو نسبة"³، يتبين جليا أن مقدم الزاوية سعيد المصلوحي تشبث بظواهر الإنعامات المخزنية التي استفادت منها زاويته، ورفع شكواه للمخزن لما تعرض له الجيلالي بن علي، فجاء الجواب المخزني القاضي بضرورة ابتعاد الشخص المذكور عن

¹- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى المولى عثمان بتاريخ 3 شوال 1291هـ/ 12 نونبر 1874م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة رمز: th-54 cote

²- رسالة من أحمد عامر الإدريسي إلى السيد محمد بن العربي الجامعي، بتاريخ 27 محرم 1297هـ/ 9 يناير 1880م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4.

³- رسالة من محمد بن مكي إلى السيد الجيلالي بن علي الواقف بأغواطيم، بتاريخ 21 رجب 1299هـ/ 08 يونيو 1882م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

الحقوق المائية للزاوية وضرورة ربط علاقة جيدة بمقدمها نظرا لمكانته عند المخزن والقبائل المجاورة.

اعترض القائد الحاج أحمد أمالك بدوره على نوبة زاوية تامصلوحت من مياه ساقية أسكجور التي سبق للمخزن أن أنعم بها عليها، فتدخل السلطان لكف أيدي القائد على الزاوية حسب الرسالة التالية: "نأمرك أن لا تتعرض على ما هو منفذ للمرابط السيد محمد بن سعيد المصلوحي بظهيرنا الشريف من نوبة ليلة الجمعة ويومها من ساقية أسكجور"¹.

هكذا إذن يتضح أن خدام المخزن خلال القرن التاسع عشر تراموا على بعض الحقوق المائية والمحاصيل الزراعية للزاويا، إلا أن المخزن تدخل لكف أيدي القياد وتأكيد حقوق الزاوية.

✓ الصراع فيما بين الزاويا:

ترجع أولى النزاعات حول مياه زاوية تامصلوحت إلى سنة 1760م بين ورثة الزاوية أنفسهم²، ولعل هذا ما دفع ببعضهم إلى تأسيس فروع زوايا خاصة بهم كزاوية مولاي إبراهيم بمنطقة سكتانة سنة 1658م، ومولاي الوافي بمنطقة دار العين جنوب تامصلوحت سنة 1660م، ومولاي أمغار المؤسس لزاوية أقريش سنة 1773م³.

أحيانا تضاربت مصالح مؤسسات الزاوية حول مياه السقي، لما تعطل وصوله إلى أراضي بعضها، وهو ما حدث بين زاوية أبي العباس السبتي وتامصلوحت، بحيث أن نوبتي مياههما من ساقية أسكجور كانت متتابعة، فتعذر وصول الماء لزاوية أبي العباس السبتي في الوقت المتفق عليه، وهو ما عبرت عنه الرسالة التي بعث بها موسى بن أحمد إلى محمد بن سعيد المصلوحي وفيها: "فقد بلغ لمولانا أعزه الله إن النوبة المعلومة لجانب

¹ - رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى القائد أحمد أمالك، بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ/ 12 أبريل 1884.

- PASCON, P, T2, op.cit. P.72.

² - رسالة حول النزاع بين ورثة الزاوية بعث بها السلطان المولى محمد بن عبد الله إلى حفدة عبد الله بن حسين بتاريخ 5 صفر 1174هـ/ 16 شتنبر 1760م، للفصل في النزاع القائم حول مياه الزاوية.

- PASCON, P, T2, op.cit. P.20.

³ - ibid. P.4.

أحباس الشيخ سيدي العباس السبتى نفع الله به حصل للحبس ضياع فيها بسبب نوبة الليل التي تتصرفون فيها قبل يوم نوبة الأحباس لكونكم تحرفون نوبتكم إلى محل بعيد وبسبب البعد لا يصل الماء للحبس حتى يقرب محصى اليوم وينقطع عند الغروب ويفوت الحبس للانتفاع وقد أقر مولانا أيده الله بسؤالك عن هذا وبأن تبين كيفية تصرفكم في هذه النوبة وتبين وجه المدخل وموجب التصرف ليظهر لسيدنا أيده الله ما يكون في رفع الضرر الحاصل للأحباس"¹، يتضح من خلال نص هذه الرسالة أن زاوية تامصلوحت كانت وراء وقوع الضرر لأحباس أبي العباس السبتى وتأخر نوبتها في السقي بحكم أن الزاوية المصلوحية كانت تعمل على سقي أراضيها البعيدة نسبياً، مما نتج عن ذلك تأخر وصول الماء، فاضطر المخزن إلى التدخل لكشف المشكل ورفع الضرر عن أراضي أبي العباس السبتى.

✓ الصراع مع المخزن:

عمد المخزن في بعض الأحيان إلى مصادرة حصص المياه التي سبق أن أنعم بها على الزوايا، والأمر يتعلق هنا بمصرف الناصري الذي صادره السلطان سنة 1846م من زاوية تامصلوحت ومنحه لابنه مولاي علي، فلما عارض مقدم الزاوية سعيد بن محمد على ذلك جاء جواب القائد محمد بن إدريس ناصحاً كالاتي: " فقد وصل كتابك وعرفنا ما فيه وما ذكرت من أنه لا ينبغي تخليك عن مصرف الناصري بعدما أنعم به مولانا عليك وشرعت فيه بالحرثه فإن مولانا أيده الله إنما أزاله في الحقيقة لولده الأطهر سيدي مولاي علي حفظه الله ونظره أكبر وأشد ولكم في مصرف القويرق كفاية عن هذا وهؤلاء ايتيمور حتى هم خدام مولانا ورعيته واقتضى نظره الانعام عليهم فلا ينبغي أن يراجع في ذلك"²، يتضح من خلال هذه الرسالة معارضة مقدم الزاوية إنعام السلطان على قبيلة ايت إيمور، ربما لوجود صراع بين الزاوية والقبيلة المذكورة، فكان جواب القائد أن القبيلة

¹- رسالة من موسى بن أحمد إلى محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 27 ذو الحجة 1290هـ / 15 فبراير 1874م.

- PASCON, P, T2, op.cit. P.56.

²- رسالة من محمد بن إدريس إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي بتاريخ 19 ذو القعدة 1262هـ / 8 نونبر 1846م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

خادمة للمخزن والسلطان وتستحق الإنعام عليها وعلى شرفاء الزاوية عدم التدخل في الأمر.

يمكن تفسير تدخل المخزن وأخذه لبعض حصص مياه زاوية تامصلوحت بضعف الزاوية المذكورة نتيجة تراكم الديون عليها، وبما أنها زاوية موالية للمخزن فقد أوصى هذا الأخير بعدم التضيق عليها وتأخير سداد ديونها، وهو ما عبرت عنه عدة رسائل منها الرسالة الموجهة للقاضيين السيد محمد بن المدني السرغيني والسيد محمد بن عبد الواحد الدويري بتاريخ 1285هـ/1868م وفيها إخبار بحال الزاوية: "فان الشريف مولاي سعيد المصلوحي ارتكبه ديون عجز عن أدائها لكون ما كان عنده من الأملاك باعه ودفعه في بعض ما عليه ولم يبقى عنده إلا ما هو حبس لا سبيل إلى بيعه فاقتضى النظر أن يؤخر أرباب الديون إلى أن يوفي مالهم من ثمن غلاتها بعد إبقاء ما يصيره عليها في مصالحها ومصالحه مما لا بد منه وذلك بأن يدفع لهم الثلث من مستفادها ويبقى الثلث للقيام بنفسه والثلث يصيره على البلاد المحبسة في إصلاح خطاطيرها والقيام بخدمتها وهذا الفصل على هذا الوجه فيه خير لأرباب الدين"¹، تبين هذه الرسالة عجز سعيد بن محمد المصلوحي عن أداء ديون زاويته مما اضطره إلى بيع جميع أملاكه باستثناء ما حبس على الزاوية، فأمر المخزن تأخير أداء الديون إلى حين بيع الزاوية لغلات عزائبها وأداء ثلث مالها لأرباب الديون والثلث لمولاي سعيد لتدبير أمور الزاوية، في حين خصص الثلث الأخير لصائر الأراضي الزراعية وإصلاح الخطاطير المرتبطة بها، وهو ما يوضح بالأساس اعتماد الزاوية على نظام الخطارات لسقي أراضيها، ويبين كذلك قيمة الماء في زاوية تامصلوحت وقيمة ما يصرف على منشآته.

جدد السلطان دعوته إلى العمل بما ذكره في الرسالة السابقة فيما يخص مديونية زاوية تامصلوحت، عبر رسالة بعث بها إلى السيد محمد بن المدني السرغيني وفيها "وبعد بالعمل

¹- رسالة إلى القاضيين السيد محمد بن المدني السرغيني والسيد محمد بن عبد الواحد الدويري بتاريخ 1 محرم 1285هـ/ 24 أبريل 1868م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

في الديون التي كانت ركبت الشريف مولاي سعيد المصلوحي على ما أسسه في أمرها مولانا الوالد قدسه الله لما فيه المصلحة للمديون ورب الدين"¹.

وقد حمل الجفاف في بعض الأحيان المخزن إلى أخذ بعض الحصص المائية الخاصة بالزوايا، كما هو الحال حين طلب المخزن فردية ماء ساقية أسكجور الخاصة بزواوية تامصلوحت لسقي أراضيها، ونص الرسالة كالآتي: " فنخبرك بارك الله فيك لنجر فردية من الماء الذي بأسكجور لحرثنا الذي بالسويقية، لأن أشرف على الهلاك وصار للضياع من قلة الماء"²، يتضح جليا أن المخزن سعى إلى تأمين المياه لأراضيها التي تضررت بفعل الجفاف، ولو كان ذلك على حساب الزوايا، لأن الإنعامات المائية المخزنية تبقى في النهاية في ملكية المخزن يتصرف فيها كيف شاء.

يتضح إذن أن الإنعامات المائية المخزنية غير دائمة ومرتبطة بالقرار المخزني، الذي عمل على مصادرتها من الزوايا والإنعام بها على جهات أخرى، وفي بعض الأحيان عمل على تعطيل استغلال الحقوق المائية والتي تهم أساسا الزوايا.

¹- رسالة من السلطان إلى السيد محمد بن المدني السرخيني بتاريخ 6 رمضان 1290هـ/ 27 أكتوبر 1873م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

²- رسالة من خليفة السلطان وأخيه في مراكش المولى عثمان إلى الحاج محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 19 جمادى الأولى 1299هـ/ 7 أبريل 1882م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

II. تدبير النزاعات المائية المرتبطة بالزوايا

ذكر صاحب الاستبصار "إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فتعلم أنهم في أمر الماء"¹، هكذا شكل الصراع حول الماء أحد أوجه التدبير الاجتماعي بمغرب القرن التاسع عشر، على الرغم مما كانت تلعبه مجموعة من المؤسسات والأعراف والتشريعات الإسلامية²، فإن النزاع حول الماء ظل مستمرا خاصة عندما يصبح رجال المخزن والزوايا طرفا فيه، ما كان يستلزم تدخل المخزن للبت في هذه المنازعات المائية.

تدخل المخزن لتدبير النزاعات القائمة بين الزوايا ومختلف المنازعين لها من قبائل وقياد، بحيث عمد إلى حمايتها عبر استصدار ظهائر التوقيير والاحترام، في حين نهج سياسة مختلفة مع الزوايا المجابهة له فبعد أن كان حكما في الصراعات أصبح طرفا فيها، نتيجة خروج بعض الزوايا عن طاعته ومواجهته عسكريا، وفيما يلي نماذج من تدخلات المخزن في مختلف الصراعات المائية التي همت الزوايا التابعة له والتي سبقت الإشارة إليها. فهل انتهت هذه المنازعات لصالح الزوايا أم لصالح الأطراف المنازعة لها؟

✓ تدخل المخزن في صراع الزوايا التابعة له:

خص المخزن زاوية تامصلوحت بعدة ظهائر بعد الترامي على حقوقها المائية من طرف القبائل والقياد، أما المصادرات المائية المخزنية فقد تم الحسم فيها رغم اعتراض الزاوية في بعض الأحيان وتمسكها بظهائر الإنعام التي استفادت منها، إلا أن أوامر

1- مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار، م.س. ص. 152- 153.

2- دفع موضوع الماء وقلته أحيانا ببعض الفئات إلى تجاوز الأعراف التي اعتادت الانضباط عليها، فجاك بيرك أشار أنه كانت هناك أعراف تراعي التقسيمات السكانية على طول الوادي من الأعلى إلى الأسفل بالأطلس الكبير الغربي، وقد كان حق التصرف في المياه للأعلى أولا وما فضل منه للأسفلين بالتدريج، وفي حالة الشح وتقلص مياه الواد يتم اللجوء لعرف التصرف على وجه الخير، وذلك بأن يراعي أصحاب العالية ترك نصيب من المياه لأهل السافلة وأن لا ينفردوا به كله أو يحبسوه عنهم. وبالرغم من هذه الأعراف فقد نشبت نزاعات حول الماء خلال هذه الفترة. انظر:

- BERQUE, J, op.cit. P.107- 108.

- زرهوني محمد، "النزاع حول الماء الأرض"، م.س. ص. 33.

- زرهوني محمد، العلاقات بين السلطة و السكان، م.س. ص. 290-296.

السلطان قد نفذت على حساب الزاوية، كما هو الحال حين صادر السلطان مصرف
الناصري سنة 1846م من زاوية تاملوحت ومنحه لابنه مولاي علي¹.

عمد السلطان الحسن الأول إلى حماية حقوق تاملوحت عبر توجيه عدة رسائل
لخدامه من ضمنها رسالة إلى القائد محمد بن داود يبين فيها الحقوق المائية التي تتمتع بها
تاملوحت: "وبعد فإن الشريف السيد الحاج بن مولاي سعيد المصلوحي من المحسوبين
على جانبنا العالم الله كما كان أسلافه مع أسلافنا رحمهم الله فاستوص به خيرا وأسدل
عليه رداء الأمان وعلى عزبانه وأصحابه بحيث لا يروع له سرب... وبيان عزبانه
بالطرة وعزائبه لا يتصرف فيها ولا في أصحابها أحد سواه كما هو شأن عزائب
الشرفاء"²، وقد شملت حماية السلطان جميع عزائب الزاوية كما جاء في طرة الرسالة،
وهي كالآتي: عزيب الغطيطس بالحوز- عزيب أكفائي به أيضا عزيب بوادي نفيس عزيب
بعين معروزة عزيب حذاء مولاي أحمد بن الوافي، عزيبان لمولاي ابراهيم بن أحمد
بأغاطيم، عزيب بدار العين، يتضح إذن أن المخزن قد ضمن الحماية للزاوية من جميع
تطاولات القبائل والقياد، غير أن ما يمكن ملاحظته حول هذه الرسالة أنها غيبت ذكر بعض
العزبان كعزيب اسكجور الذي سبق ذكره أثناء نزاع الزاوية مع قبيلة ايت إي مور، وكذا
أثناء هجوم بعض المخربين (ولد أحمد مبارك الأموي وإخوانه) عليه³.

استعان المخزن أحيانا بأرباب المعرفة لحل النزاعات المائية والوقوف على نصاب
الماء في السواقي، وهكذا فقد أصدر رسالة بتاريخ 17 رجب الفرد عام 1300هـ/23 ماي
1883م، بين من خلالها حق التصرف في السواقي والعيون حتى يزيل أي غموض ويغلق
باب الصراع حولها: "أمضي بنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته ما تضمنته شهادة
أرباب المعرفة أسفله من كون من له ماء من ساقيه أربعين يتصرف فيه كيف شاء
ويحرث عليه في أي محل أراد ولا يحجر عليه في الانتفاع به في محل دون آخر وذلك

1- عارض مقدم الزاوية سعيد بن محمد على هذه المصادرة إلا أن القائد محمد بن إدريس نصحه بالامتنثال لأمر السلطان:
"فإن مولانا أيده الله إنما أزاله في الحقيقة لولده الأظهر سيدي مولاي علي حفظه الله ونظره أكبر وأشد". رسالة من
إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي بتاريخ 19 ذو القعدة 1262 هـ / 8 نونبر 1846م.

- PASCON, P, T2, op.cit. P.39.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد محمد بن داو، بتاريخ 11 جمادى الأولى 1293 هـ/04 يونيو 1876م.
- ibid. P.62.

3- رسالة من السلطان إلى السيد محمد بن سعيد المصلوحي، بتاريخ 7 ذو الحجة 1300هـ/8 أكتوبر 1883م.
- ibid. P.70.

الذي يقتضيه ثبوت الملك وتمام التصرف إمضاء تاما شاملا عاما... فعلى الواقف عليه من عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه"¹، بناء على شهادة أرباب العمل وضح المخزن كيفية التصرف في مياه الساقية المذكورة وإثبات ملكية أصحابها وحرية انتفاعهم منها. رغم ظواهر التوقير والاحترام التي تمتعت بها الزوايا إلا أن نوباتها المائية تعرضت للسرقة خلال القرن التاسع عشر، ويرجع السبب الأساسي في ذلك كما سبقت الإشارة إلى عامل توالي سنوات الجفاف، ما دفع المخزن إلى التدخل لحسم مادة النزاع، ففي ما يخص نزاع قبيلة مجاط وزاوية تملوحت حول حصص مياه ساقية تمزكلت زمن القلة، فقد أقر المخزن بما لجانب الزاوية من إنعامات سبق له أن متعها بها، وأمر شرفاءها الاحتفاظ بالأراضي الزراعية المسماة أكفائي مع ما ارتبط بها من ماء، أما مصرف الغيطس فتنمتع به الزاوية في حال وجود الماء بالساقية أما في حال قلته "ولم يبق إلا قدر أربعة مصارف فيرفع مولاي سعيد وإخوانه أيديهم عنها ويتخلوا عنها لمجاط حتى تعمر بالماء وحينئذ يرجعون للتصرف في المصرف المذكور إمضاء تاما"². يتضح من خلال نص الرسالة أن المخزن تدخل في موضوع النزاع وجعل حق الأسبقية في السقي زمن القلة وندرة التساقطات من نصيب قبيلة مجاط على حساب زاوية تاملوحت، ربما على اعتبار أن الإنعامات التي حظيت بها زاوية تاملوحت كافية لسقي أراضيها، أو ربما لأن الدور الأساسي المنوط بالزاوية ديني وروحي أكثر منه اقتصادي.

تدخل المخزن في شخص السلطان الحسن الأول لفض النزاع القائم حول ترامي القائد عبد الحميد على بعض أملاك زاوية بن ساسي وبيع غلة أراضيها بعد أن ادعى تبعية تلك الأراضي لنفوذ قبيلته، فأصدر السلطان أوامره لأخيه المولى عثمان بضرورة إرسال رسوم الملكية للقائد المذكور حتى لا تبقى له حجة للتطاول على تلك الأملاك والتحقيق معه عند وصول السلطان للمنطقة، ونص الرسالة كالاتي: "أخانا الأعز مولاي عثمان... فأخروا الكلام فيها حتى نكون هناك إن شاء الله ولما كتبت للقائد عبد الحميد بذلك أجابك بما في جوابه الذي وجهت من أن الجنان المذكور من جملة أملاك القبيلة التي استولى عليها

1- رسالة بتاريخ 17 رجب الفرد عام 1300هـ / 23 ماي 1883م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

2- رسالة بتاريخ 23 ربيع الأول 1263هـ / 10 مارس 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

والده فأجبت بذاك ولد ابن بلة فطلب مطالعة علمنا الشريف بذاك فساعدته فكل ما هو لهم من ذلك خاصا خالصا واستولى عليه يوجه نسخة من رسوم شرائهم له ليكون الكلام معه في ذلك ولا تبقى له حجة بالقبيلة"¹.

تم حل مشكل تضرر أحباس أبي العباس السبتي من تأخر وصول نوبتها المائية من ساقية أسكجور عبر وساطة السلطان الحسن الأول، الذي أمر بنقل نوبة زاوية تامصلوحت إلى يوم آخر حتى يتسنى لأراضي أبي العباس السبتي الاستفادة من نوبتها المائية في الوقت المحدد، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "وبعد فقد وصلنا جوابك عما تشكى به مقدم الروضة العباسية من ضياع جانبها في اليوم المحبس عليها من ساقية اسكجور بسبب مرتكبه ولد مولاي سعيد المصلوحي من رد الماء الذي يتصرف فيه ليلة ذلك اليوم إلى المحل الذي بينه وبين المحل الذي يتصرف فيه... وأمرنا بنقلها [بشر] بعيدة من نوبة الجانب العباسي ليوم آخر موال لها بنظر أرباب المعرفة وموافقة ولد مولاي سعيد حتى لا يحصل ضرر للجانبين بأنك أحضرتهم وأحضرت معهما وصيفنا الحاج أحمد مالك وخاطبتهم بذلك فأجاب ولد مولاي سعيد بالامتثال وقال أنه لا يحتاج لأرباب المعرفة اكتفاء بأمرنا الشريف إلا أنه استظهر بظواهر أسلافنا قدسهم الله وفيها أن نوبته ليلة الجمعة"²، يتضح إذن أن السلطان تدخل بنفسه لحل المشكل نظرا لأهمية الطرفين، وأمر بضرورة نقل نوبة زاوية تامصلوحت، غير أنه ربط تنفيذ أمره بموافقة مقدم الزاوية "مولاي سعيد"، وهو ما يبين المكانة التي حظيت بها تامصلوحت عند المخزن، فأكد مقدم الزاوية أحقيته في نوبته القديمة بظواهر سلطانية وفي نفس الوقت قبل بتنفيذ أمر السلطان شرط تجديد ظهير بنوبته الجديدة والتي اختار فيها ليلة السبت من ساقية أسكجور قصد التمسك به وإثبات أحقيته في السقي عند الضرورة، وهو ما جاء في نهاية الرسالة: "وحيث أمرنا له بنقلها لرفع الضرر قابل وعين نقلها ليلة السبت... وطلب أن يكون له ظهير شريف بنقلها ليلة

¹- رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى المولى عثمان بتاريخ 3 شوال 1291هـ/12 نونبر 1874م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة رمز: th-54.
²- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أخيه المولى عثمان بتاريخ 28 صفر 1291هـ/15 أبريل 1874م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

السبت ليتمسك به"¹. يتضح إذن أن الزاوية تشبثت بظواهرها القديمة بهدف إثبات حقوقها عند الضرورة وخاصة إبان النزاعات.

أما الصراع الذي وقع بين القائد أحمد أمالك والزاوية المصلوحية فقد تدخل المخزن لصالح هذه الأخيرة حيث أجبر القائد المذكور على "أن لا تتعرض على ما هو منفذ للمرابط السيد محمد بن سعيد المصلوحي بظهيرنا الشريف من نوبة ليلة الجمعة ويومها من ساقية أسكجور، وأن لا تعود لتحريك الكلام فيها أصلاً"². كما أرسل السلطان رسالة ثانية إلى الحاج أحمد أمالك بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ/ 12 أبريل 1884م، جدد من خلالها إنعامه بنوبة ليلة الأحد ويومه من ساقية أسكجور على الزاوية المصلوحية، ليؤكد الحقوق المائية التي تمتعت بها زاوية تامصلوحت للقائد أحمد أمالك حتى لا يكرر التعرض للزاوية، وفيها: "وبعد فقد أقررنا جانب الزاوية المصلوحية على ما حبسه عليها أسلافنا الكرام من نوبة ليلة الأحد ويومه كل أسبوع من ساقيته الشهيرة حسبما تضمنته الظواهر الشريفة التي بيده"³، يتضح من خلال الرسالة أن المخزن غالباً ما يجدد إنعاماته عقب اعتلاء السلطان الحكم أو إبان فترات الصراع حول الماء كما هو الشأن في هذه الحالة، بهدف الحفاظ على مصالح الزاوية وحقوقها المائية.

يتضح إذن أن النزاعات المائية التي تم جردها في هذا الفصل بُث فيها من طرف المخزن أي السلطة المركزية، بدل القائد أو غيره من خدام المخزن ولعل الأمر راجع بالأساس إلى أن هذه النزاعات شملتهم أيضاً، كما هو الحال بالنسبة للنزاع بين القائد بن بلة وزاوية بن ساسي ونزاع القائد أحمد أمالك والزاوية المصلوحية، أو يمكن أن يعزى تدخل المخزن إلى أهمية الطرف المتنازع والمتمثل في الزاوية، مما يوجب التدخل واستصدار أو تجديد ظواهر لحسم مادة النزاع، ذلك أن "السلطان لا يحكم بواسطة القائد والجابي

¹ - رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أخيه المولى عثمان بتاريخ 28 صفر 1291هـ/ 15 أبريل 1874م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

² - رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ/ 12 أبريل 1884م. - PASCON, P, T2, op.cit. P.72.

³ - رسالة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1301هـ/ 12 أبريل 1884م. - ibid. P.71.

والشريف فقط، بل يحكم بواسطة الرسالة والظهير"¹، وهو في نفس الوقت تدخل لتجديد إثبات ثقل المخزن، واعتراف بدوره الرمزي والسياسي وشكل من أشكال ممارسة سلطته على المجال.

✓ الزاوية ومجابهة المخزن:

جمعت الزاوية بين جميع الوسائل لضمان استمراريتها فنجدها تارة خاضعة وموالية لسلطة المخزن وتارة تأكيد المؤامرات إبان غيابه أو ضعف نفوذه حيث تعرف الزاوية نشاطا واسعا، ولعل أبرز مثال في هذا السياق هو زاوية إيليج التي استطاعت بسط نفوذها وسيطرتها الاقتصادية على المجال عبر التحكم في المسالك التجارية²، بعد تدميرها من طرف المولى الرشيد سنة 1081هـ/1670م³، لتستعيد الإمارة نشاطها من جديد مع أحفاد بودميعة، فقام السلطان الحسن الأول باحتواء الزاوية عبر تعيين شيخها ابن الحسين بن هاشم قائدا لمنطقة إيليج أثناء حركتيه نحو سوس خلال سنتي 1882 و1886م⁴.

لم تتوقف بعض الزوايا عند حد عصيان أوامر المخزن بل تمادت إلى مواجهته عسكريا، وهو ما حدث بحوز مراكش ونخص بالذكر هنا الزاوية الشراذية. فما حيثيات صراعها مع المخزن؟ وما نتيجته؟ وما مآل أراضي الزاوية وما ارتبط بها من ماء؟ سعى المخزن إلى احتواء الزوايا عبر الإنعام عليها بظواهر التوقير والاحترام إلى جانب الحصص المائية، في حين عمل على مواجهة الزوايا المعارضة له عبر تفكيكها أو تدميرها كما هو حال الزاوية الشراذية.

¹- المودن عبد الرحمان، البوادي المغربية قبل الاستعمار: قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1995. ص.243.

²- أصبحت إيليج سنة 1850م المكان الرئيسي لتبادل منتجات الصحراء ومنتجات سوس، وتلك القادمة من أوروبا عبر مرسى الصويرة. انظر:

- السوسي المختار، إيليج قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، 1966. ص.161.

- ناعمي مصطفى، "مادة إلج"، معلمة المغرب، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989. ص.643.

- PASCON, P, la maison d'Illigh, op.cit. P.69.

³- تم اعتقال مولاي الشريف العلوي من طرف بودميعة وهو السبب الأساسي وراء تدمير إمارة إيليج، حيث أشار الضعيف في هذا الصدد أن بودميعة سمع بأطماع الشريف في سوس "فاشتد غيظه وشاور خواصه في قبض مولاي الشريف فدل على صاحب [مولاي الشريف بوبكر] فأمره أن يقبض عليه"¹⁸، فاعتقله بوبكر في القصبة وهذا الإعتقال وقع قبل 1046هـ/1636م، وهو ما يتفق عليه من طرف جل المؤرخين. الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، م.س. ص.95.

⁴ - PASCON, P, la maison diligh. Op.cit. P.50.

تعود أولى مواجهات الزاوية الشراذية مع المخزن لفترة حكم المولى سليمان -هذا الأخير الذي عرف بسعيه إلى القضاء على بعض الأعراف¹، حيث عمدت الزاوية إلى إيواء الهاربين من العدالة²، ما دفع بالمخزن إلى التدخل سنة 1819م في شخص قائد قبيلة الشراردة قاسم الشراذي غير أنه انهزم، ما دفع بالسلطان المولى سليمان إلى تنظيم حملة أكبر استتفر لها عددا مهما من القبائل في مقدمتهم الرحامنة³، قبائل الحوز، جيش الودايا وبعض قبائل الغرب، فانهزم السلطان المولى سليمان وقاده الشراذيون إلى زاويتهم قبل إرجاعه إلى مراكش فكانت وفاته بعد ذلك بوقت قليل⁴.

يتضح أن الزاوية الشراذية قد تمتعت بنفوذ وقوة كبيرين ما شجعها على مواجهة المخزن، بل واستطاعت هزيمته والتغلب عليه مرتين على التوالي. فما كان مآل الزاوية بعد هذه الأحداث؟

عمل السلطان عبد الرحمان بعد توليته العرش على تدمير الزاوية الشراذية وتأديبها على عصيانها للمخزن، فتهياً "لأعمال الحركة للحوز بقصد تخريب القرية الشراذية وتشيت شمل جموعها...، فكتب لأخيه مولاي المأمون أن يحشر القبائل الحوزية أعرابها وبرابرها، ويربط على زرارة والشبانات وأولاد دليم ومن انضاف إليهم، وخرج مولانا المؤيد من فاس بالعساكر السلطانية من العبيد والوداية وأهل الغرب وبني حسن آيت ادراسن وزمور، وكتب إلى الشاوية ودكالة أن تكون خيلهم موجودة حين يمر عليها"⁵، فتمكن من القضاء على الزاوية وتخريبها سنة 1244هـ / 1828م - 1829م، وقبض على عدد كبير من الشراردة وعمل على تفريقهم وإرسالهم لكل من: الرباط، مكناس وفاس⁶، وتم منح أراضي الزاوية الشراذية بالحوز لقبائل الودايا⁷.

1- ضريف محمد، م.س. ص. 135.

2- Eugène, A, op.cit. P.182

3- يتضح أن قبيلة الرحامنة واجهت زاوية الشراذي رفقة باقي القبائل المعينة من طرف المخزن طمعا في الحصول على أراضيها مع ما ارتبط بها من ماء، فالنزاع إذن بين الطرفين كان بالأساس نزاع حول أراضي نفيس.

4- حول تفاصيل أحداث وقعة زاوية الشراذي انظر: الناصري، الاستقصا، ج8، م.س. ص. 160-164.

5- أكنسوس، الجيش العرمم، ج2، م.س. ص. 14.

- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص. 18.

6- PASCON, P, T1, op.cit. P.198.

7- Eugène, A, op.cit. P.182.

سكتت المصادر التاريخية عن الأملاك التي تمتعت بها زاوية الشراي وكذا الإنعامات المخزنية التي حظيت بها قبل تدميرها من طرف المخزن، ومن الواضح أن هذا الإغفال راجع للسياسة المعادية التي نهجتها خلال القرن التاسع عشر اتجاه السلطة المخزنية، غير أن الإشارة الوحيدة إلى ممتلكات الزاوية الشراية نجدها لدى بول باسكون الذي قدر امتلاك الزاوية لحوالي 5000 هكتار من الأراضي الزراعية¹، فالزاوية الشراية شأنها شأن باقي زوايا الحوز اهتمت بالمجال الفلاحي²، على الرغم من أن السواقي التي استفادت منها كان مأوها قليلا بخلاف سواقي أسكجور وتاركة الغنية بمياهها³.

خلاصة القول، دمر المخزن زاوية الشراي وفرق قاطنيها في كل من الرباط، مكناس وفاس ووزع أراضيها ومياهها على قبائل الأودايا، فبقيت الزاوية مخربة ومهمشة إلى حدود اليوم، وبهذا يتضح أن الزوايا المعادية للمخزن لا تدم طويلا، كما هو الحال بالنسبة لزاوية ابن الأحول بشيشاوة، إذ تم الظفر منها من طرف المولى الحسن سنة 1290هـ/1873م، كما أشارت إلى ذلك الرسالة التالية: "عن خير مولانا أيده الله ونصره وبعد فقد وصلنا كتاب سيدنا معلما فيه بنهوضك بالتأييد والظفر من زاوية ابن الأحول لآخذين ببلاد شيشاوة وبقصد المقام بها حتى تجتمع المحلة وعلما ما دفعه في المؤنة خديم سيدنا القائد عثمان المجاطي حسبما بيان ذلك بزمam تعريفها الذي وجهت لنا وصار ذلك بالبال وقد أنهينا كتابك الشريف والزمam لمولانا المنصور بالله وها جوابه نصره الله يصلك صحبة هذا الكتاب"⁴، نستنتج من خلال نص هذه الإشارة أن الزوايا الراضة لولاء المخزن يكون مصيرها التخريب.

¹- PASCON, P, T1, op.cit. P.244.

²- تقاسمت زاوية سيد الزوين والشراي الكثير من السمات مع الزاوية المصلوحيية فقد ذكر أنه "كان كثير الإطعام وربما يكون في زاويته من الطلبة الذين يقرؤون القرآن نحو الخمسمائة، يمونهم ولا يعلمون شيئا غير القراءة والخطب للزاوية، وكان معتنيا بالحراثة وحفر العيون" انظر: السملالي ابن إبراهيم العباس، الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الإعلام، ج7، م.س. ص.108.

³- الشابي، الجيش المغربي، ج1، م.س. ص.416.

⁴- رسالة من موسى بن أحمد إلى الخليفة مولاي الحسن، بتاريخ 24 ربيع الأول 1290هـ/ 21 ماي 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: th-A17-001.

خاتمة الباب:

طرحت ثنائية الماء والزاوية عدة إشكالات حول جدلية العلاقة القائمة بينهما، والدور الذي لعبه هذا العنصر الحيوي في إحداثها وكذا استمرارها؟ حاولنا الإجابة عن هذه الإشكالات من خلال بعض النقاط الأساسية التي لامست الموضوع:

أولاً: تموقع معظم زوايا حوز مراكش بالقرب من مصادر المياه، ما شجع شرفاءها على ممارسة النشاط الفلاحي وإحياء موات الأراضي، وقد كان هذا دأب معظم مؤسسي زوايا الحوز.

ثانياً: إدراك المخزن للدور المهم الذي تقوم به الزاوية على المستوى الديني والاجتماعي خاصة بالقبائل الحوزية البعيدة عن مجال نفوذه، ما دفعه لاستمالتها عبر استصدار ظهائر سلطانية لحمايتها وإسقاط الكلف عنها إلى جانب الإنعام عليها بأراضي مع ما ارتبط بها مياه، وهو ما يوحي بشكل صريح تبعية الزوايا لسلطة المخزن خلال القرن التاسع عشر.

ثالثاً: اضطلاع الزاوية خلال الفترة المدروسة في مجال حوز مراكش بعدة وظائف، فقد تعدت وظيفتها الدينية والاجتماعية لتشمل المجالين السياسي والاقتصادي، إذ ساهم ولاء بعض الزوايا للمخزن في تكديسها لرأسمال رمزي مائي مهم، فانساق شرفاء الزوايا نحو الفلاحة وتسيير العزبان وإنجاز المشاريع المائية إلى جانب التمسك بالظهائر السلطانية لإثبات حقوقهم المائية كلما اقتضت الضرورة ذلك.

رابعاً: شكل موضوع الماء مصدراً للنزاع خاصة عقب توالي سنوات الجفاف، والزاوية رغم المكانة التي حظيت بها في المجتمع المغربي إلا أنها لم تسلم من النزاع حول الماء مع مختلف الكيانات المجاورة لها سواء تعلق الأمر بالقبائل، القياد، أو حتى الزوايا فيما بينها، ما استلزم تدخل المخزن للحد من هذه النزاعات عبر تشكيل أرباب المعرفة واستصدار الظهائر كشكل من أشكال ممارسة السلطة.

كما يتضح من خلال التجارب السياسية لبعض الزوايا بمغرب القرن التاسع عشر أنه مهما بلغ نفوذها فلا يمكنها تشكيل قوة فعلية دون إرادة السلطة المخزنية، وإلا فسيكون مصيرها التخريب كما هو حال الزاوية الشراعية.

الباب الثالث: الماء والقبيلة

بحوز مراكش خلال القرن

التاسع عشر

تقديم:

تصدرت المنظومة القبلية وأعرافها اهتمام الباحثين، فتتوعد الدراسات بين التاريخية والأنثروبولوجية والسوسولوجية، واختلفت التعاريف كما اختلفت القبائل المدروسة، وصنفت إلى جبلية وسهلية، مخزنية وسائبة، وإذا كان الماء أساس قيام الحضارات ونشوء المدن والبوادي، فإن أهميته تكمن في العلاقات القائمة حوله بين مختلف الفاعلين، وتأتي القبيلة والمخزن في مقدمتهم. وقد عرف المغرب خلال القرن التاسع عشر أزمت مائية دورية، أثرت بشكل مباشر على المحاصيل الزراعية، مما أثر على التحصيل الضريبي وساهم في نشوب المنازعات حول الماء، إلى جانب تفشي ظاهرة الهجرة وتغير البنية الديمغرافية. كما شكل سعي المخزن للحفاظ على التوازنات¹، أحد الدوافع التي جعلته يعمل على نقل القبائل من مجال لآخر، ما أثر دون شك في توزيع واستغلال الموارد المائية. فما العلاقة القائمة بين الماء والقبيلة؟ وما التقنيات المائية المعتمدة بمجال حوز مراكش؟ وكيف أثرت الأزمت المائية على البنية الديموغرافية؟ وما الدور الذي لعبته الإنعامات المائية المخزنية في ولاء القبائل؟ وما أبرز الصراعات التي شكل الماء أساسا لها؟ وكيف تدخل المخزن لتدبيرها وحلها؟

للإجابة على هذه الأسئلة تم تقسيم الباب إلى ثلاث فصول لإبراز العلاقة بين الماء والقبيلة: تناول الفصل الأول موضوع الماء والقبيلة حيث تم الكشف عن التقنيات المائية بمجال حوز مراكش، وكذا الأزمت المائية وأثرها على التحصيل الضريبي والبنية الديمغرافية، في حين تناول الفصل الثاني العلاقات القائمة حول الماء بين المخزن والقبيلة، أما الفصل الأخير فتم من خلاله رصد مختلف المنازعات المائية بحوز مراكش والإجراءات التي اتخذها المخزن لحلها.

¹- أرفاك شفيق، التمثيل المخزني بقبيلة اشتوكة بسوس، 1882-1900، ندوة وقفات في تاريخ المغرب دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001. ص.466.

الفصل الأول: الماء والقبيلة

شكل الماء أساس استقرار القبائل بحوز مراكش، سواء كان هذا الاستقرار قديماً أو حديثاً. وقد ترجمت علاقة الماء بالقبيلة في التقنيات المائية المستعملة، إلى جانب المحاصيل الفلاحية ومن ثمة قيمة الضرائب المحصل عليها، أي أن التقلبات المناخية أثرت دون شك على المداخل الجبائية، خاصة وأن المغرب شهد خلال القرن التاسع عشر فترات جفاف دورية. فما أبرز التقنيات المائية المستعملة بمجال حوز مراكش؟ وكيف أثرت الأزمات المائية على التحصيل الضريبي والبنية القبلية؟

1. التقنيات المائية بحوز مراكش:

شهد مجال حوز مراكش فترات جفاف تخللتها بعض الفترات الرطبة وهو ما فرض تنظيم دقيق لاستغلال المياه، فظهرت النوبة ووسائل للتخزين والتجميع كالصهاريج المطفيات، إلى جانب تقنيات الآبار والخطارات وأخرى لتوزيعها كالقنوات والسواقي والجداول، مع وجود تنظيم خاص وأعراف لحماية حقوق المستفيدين لتفادي النزاعات. فما أبرز التقنيات المائية المستخدمة خلال القرن التاسع عشر؟

عرف مجال الحوز بناء عدد من الخطارات¹، سواء كان إحداثها من طرف القبائل أو المخزن، ويرجع تاريخ ظهورها حسب الشواهد المكتوبة إلى الربع الأخير من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي²، على يد المهندس الأندلسي (عبيد الله بن يونس)³، بهدف تزويد حاضرة مراكش بالماء، فبلغ عدد الخطارات حوالي ألف

1- لفظ "الخطارة" مشتق من "الخَطَر" أي تذبذب الماء واهتزازة، ومنه "الخطير" وهو زمام الناقة وحبيلها يسمى بذلك لأنه يخطر، أي يهتز عند مشيها. انظر: بنعبد الله محمد بن عبد العزيز، *الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي*، ج3، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1996. ص. 347.

والخطارة هي تقنية من تقنيات استنباط المياه، عرفها حسن حافظي علوي بأنها "عبارة عن آبار عديدة تتصل فيما بينها بنفق يحمل المياه عبر مسافة طويلة من منابعه إلى مقاصده"، بينما عرفها أحمد الشرقاوي بكونها "عبارة عن تصريف للمياه الجوفية (الباطنية) تنبثق منها عيون متباعدة بمقدار 10 إلى 15 متر على طول هذه القناة". انظر:

- علوي حافظي حسن، *سجل ماسة وإقليمها في القرن 8هـ/14م*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1997. ص. 76.

- الشرقاوي أحمد، *المصطلحات الخاصة بأنظمة السقي بسهل تافيلالت*، م.س. ص. 127.

2- رابطة الدين محمد، *مراكش زمن حكم الموحدين: جوانب من تاريخ المجال والإنسان*، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008. ص. 179.

3 - جاء في وصف إفريقييا للحسن الوزان أن "هذا الرجل جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين، فقصد إلى أعلى الأرض مما يلي البستان فاحتفر فيه بئرا مربعة كبير التربع ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض، ومر يحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفل بميزان،

خطارة¹ أغلبها تمركزت بالحوز الأوسط وواد نفيس²، من بينها الخطارات المتوسطة التي كانت في ملكية الأحباس كما هو الشأن بالنسبة لخطارات تامصلوحت، بن ساسي وسيدي الزوين³.

استفرد المخزن حسب باسكون ببناء الخطارات الكبرى، وهو ما أكدته بعض الرسائل المخزنية التي تعود لفترة القرن التاسع عشر، نذكر منها تلك التي أشارت إلى إحداث خطارة بمجال الحوز، واستقدام المتخصصين لبنائها تنفيذا لتعليمات السلطان، ونص الإشارة كالتالي: "فلينهي لكرم علم سيدنا أنا جادين في خدمة سيدنا بالفيضة العليا من بناء مشور دار سيدنا وخدمة عرصة سيدنا بها وخدمة القالة بالخطارة الجديدة وكذا بناء ما احتوج إلى بناية بها وكذا خدمة مرور خطارة سيدنا من الفيضة إلى القصبة الحلمية"⁴، ولا شك أن إحداث الخطارة يستلزم جهدا كبيرا ومسافة أطول، أي مرورها بأراضي عدد من القبائل، فما التدابير التي اتخذها المخزن بهذا الخصوص؟

عمد المخزن إلى شراء الأراضي من القبائل المزمع مرور الخطارة بمجالها، وهو ما تمت الإشارة إليه في نهاية الرسالة "وكذا زمام ما وجب من جبر وحجر وإجارة لبناء ذلك في بناء ومحل لمرور الخطارة المذكورة وأما ما وجب من الثمن في شراء مرورها في أرض الغير فقد تكفل بذلك وصيف سيدنا القائد ابريك الحباشي"⁵، يتضح أن المخزن عمد إلى إحداث الخطارات واستقدام المتخصصين لهذا الغرض من بينهم "المعلم بلال الخطاطري"، إلى جانب شراء الأراضي من القبائل لتأمين مرورها وتوفير المواد اللازمة لبنائها.

حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب على وجه الأرض يصب فيه، فهو جار مع الأيام لا يفتقر، فاستحسن أمير المسلمين ما فعل عبيد الله بن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم مثواه مدة بقائه عنده".
الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983. ص.43-44.

1- زروال أحمد، المجال الخطاطري بالضاحية المراكشية، ضمن المجال الضاحوي لمدينة مراكش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، سلسلة أعمال مجموعات البحث التدبير الجهوي والتنمية السياحية، دراسات مجالية رقم:2، 2008. ص.15.

2- أحمد الهزولي، "مادة الحوز"، م.س، ص.3633.

3- PASCON, P, T1, op.cit. P.113-114.

4- رسالة من مسعود الثباقي إلى الخليفة محمد نجل السلطان المولى سليمان، بتاريخ 12 جمادى الثاني 1225هـ/ 14 يوليوز 1810م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004-002.

5- نفس الرسالة.

ثم نجد تقنية الآبار وهي تعتبر من المنشآت المائية المستحدثة ذكرت في المصادر بأسماء مختلفة: الجب، الحاسي وغيرها، وتزداد أهمية هذه التقنية بالمجال القروي التي تنذر فيه الموارد المائية السطحية¹، وهذا ما ينطبق -على الأقل- على جزء من المجال الواقع شمال واد تانسيفت.

تعتبر تقنية الساقية الأكثر استغلالا بعد العيون والخطارات²، وقد بلغ عددها أواخر الستينات مائة وخمسين ساقية بمجال الحوز على طول ألف وخمسمائة كلم³، تم استغلالها عبر إحداث عدد من الأكوكات⁴، وفيما لي جرد بأهم سواقي حوز مراكش والمرتبطة بوادي غيغاية وأوريكة:

جدول رقم 14: سواقي وادي أوريكة وغيغاية⁵.

الواد	السواقي	المجموع
أوريكة أغمات	المنطقة السفلى- تمزندرت اغبالو- تمالزين 1 - تمالزين 2- اسكوين اغبالو- سارو بن يوسف- الشريفية- اكفاي-تمعزوزت- توريمت- تيهيليت-محطة اغبالو- محطة تاغرايت- مصرف الرحى- تمسكلت- تاوريكت-	27 ساقية.

1- بوكثير مسطاري، المنشآت المائية في افريقية في العصر الوسيط: دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالاتها، مجلة كان، العدد 22، 2013. ص.96-97.

2- حسن جلاب، دراسات مغربية في التراث، م.س. ص.191.

3- هوزالي أحمد ، م.س. ص.3633.

4- وهو سد تقليدي بني بمواد هشة تتكون من أغصان الأشجار المتواجدة على مقربة من الأنهار كالطرفاء والغار والقصب، يبقى فيه الماء مدة يتجمع في بحيرة كبيرة أو صغيرة حسب حجمه، لتحريف المياه وتحويلها نحو السواقي. انظر:

- ابن منظور، ج 3، م.س.، ص. 207-208.

- OUHAJOU, L, op.cit. P.101.

5- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز مراكش، مصلحة تدبير شبكة الري وصرف المياه، ملحقة الحوز الاوسط، المركز الفلاحي تحاوت رقم:429.

	تالغومت- تسلطانت ايطا- تمنتارت- تاسلطانت تير- مصدفة- تسلطانت اقبيلة- تاولت- تكفايت- بلا وحمو.	
غياية	صبيب امون- صبيب موزع باشية- تالوكاكت- تاكورامت تاوريكت- تارزينت- توكلخير مولاي الحاج- وادي سيدي فارس شهيدة- الضياع.	12 ساقية.

وقد سعى المخزن إلى إحداث العديد من السواقي بالحوز كتاركة، تاسلطانت وغيرها¹، فحصل بذلك على النصيب الأكبر من الماء ومن تم التحكم في المجال، وهو ما اتضح جليا في العديد من الصراعات المائية أو خلال فترات الجفاف والقلة، إذ عمد حين قل منسوب مياه السواقي سنة 1218هـ / 1804م إلى جمع مياهها، كما هو الحال حين جمع مياه الساقية البرانية والجديدة عبر قادوس كبير نصبت له معيدات يستريح فيها الماء ومن ثم إيصاله للمكان المراد به، وهو ما أشارت إليه الرسالة التالية: "بأن نجعل مادة القادوس الكبير للماء الخارج من الساقية البرانية ويكون مارا على ناحية الساقية الجديدة ليجمع الماء في محل واحد ونجعل له معدتين ليستريح فيهما الماء ويكون بينهما بعد ما يناسب فامثلنا أمر سيدنا بالسمع والطاعة وقد وجد الحال المعلمين جادين في جر مادة القادوس الفخري ولما تصل المادة للساقيتين للسانيتين الجديدتين نبذل المادة بالقادوس الثلثي لأنه أكبر من الفخري ونجعل له معدتين ليستريح بهما الماء فنحبك بارك الله فيك أن تطلع علم مولانا بهذا لنعلم هل نتم العمل على هذا أو على صنف آخر"²، يتضح أن عبد السلام

1- ومن بين السواقي المنشأة من طرف المخزن بمجال الحوز هناك الساقية اليعقوبية التي أنشئت في العهد الموحي من طرف السلطان يعقوب المنصور، وساقية الخزائنية التي أنشئت في عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

2- رسالة من عبد السلام السويهم إلى الحاجب موسى بن أحمد، بتاريخ 22 شوال 1218هـ / 3 فبراير 1804م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-002.

السويهم المكلف بهذه العملية تبين له أن يعتمد القادوس الثلثي عوض الفخري لأنه أكبر ثم ينشئ المعدتين، غير أنه ربط تنفيذ العملية بقبول السلطان لهذا التغيير.

شكلت مياه السواقي موضوع بيع وشراء بين سكان القبائل، وهو ما تم الوقوف على إحدى حالاته في بعض الرسائل، منها التي أشارت إلى عقد بيع نوبة مياه مع ما ارتبط بها من أراضي "اشترى الطالب الحاج محمد بن علي الحمري من البائعين له عمر بن الحسن الزراني العثماني الحنفي وأحمد بن محمد النسب جميع نصف نوبة واحدة من ماء البيضاء المتداول ماؤها إلى ثمان بل اثنتي عشر نوبة مع مالها من البياض والسواد"¹، يتضح أن المشتري الحاج الحمري اشترى نصف نوبة من بين اثنتي عشر من مياه البيضاء كما اشترى ما ارتبط بها من أراضي، والمقصود بالبياض والسواد هو الأراضي السقوية والبورية بثمن قدر بحوالي "28 مثقالا دراهم فضة سكية"، كما أشارت الرسالة إلى أن الحاج الحمري المذكور كان من كبار ملاكي الأرض بالمجال أثناء الحديث عن حدود البلاد موضوع البيع²، ويلاحظ من خلال هذه الرسالة أن شراء الماء ارتبط بشراء الأرض سواء كانت بورية أو مسقية.

عمد بعض شيوخ القبائل إلى شراء العيون، كما هو الحال حين اشترى محمد بن إدريس بن علي بن يوسف السبيطي لفريجي من الشيخ أتم السبيطي لفريجي ومن ورثة الشيخ أتم السبيطي اليعكوبي³ "جميع العين الجارية بالماء المسمة بالبريج شهرتها كافية عن حدودها الكائنة بساحل أولاد لفريجي فرقة من أولاد السبيطي... وذلك في عقد واحد

1- رسالة من محمد بن نافع البكيلي وغيره، بتاريخ 1 ذي القعدة 1225هـ/ 27 نونبر 1810م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004-001.

2- وقد أشارت الرسالة إلى تحديد موقعها وحدودها "يحد سواد المبيع المذكور ناحية الشروق بلد عين مسعود بن أحمد الشيبانية غربا بلدا المشتري المذكور ويمينا ويسارا بلاد المشتري المذكور كذلك وبياض المبيع المذكور معلوما له هناك في الإشاعة مع من له باقية بجميع منافع المبيع المذكور ومرافقه وحرمة داخلا وخارجا وطرقه الموصلة إليه ومسلك مائه وما عد منه ونسب إليه اشترى صحيحا قاطعا حائزا". رسالة من محمد بن نافع البكيلي وغيره، بتاريخ 1 ذي القعدة 1225هـ/ 27 نونبر 1810م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004-001.

3- وفيما يلي أسماء البائعين "كافة أولاد الشيخ أتم السبيطي لفريجي وهم اعمر بن أبي شعيب والسيد عبد الكريم بن محمد وأخوه محمد واحميد بن عبد القادر النسب ومحمد بن محمد بن الحسين ومحمد بن لمهدي لمحمدي وأولاد عبد الله ابن أحمد فرقة من أولاد الشيخ أتم وهم الحاج علي بن عبد الله والهاشمي بن احميدة وأخته زهراء وأختها حواء وأختهم رقية بنت حميدة وولد عمهم أحمد بن يعكوب وأحمد بن كروم وعلي بن يعكوب وذلك كلهم أولاد الشيخ أتم المذكور ومن ورثة الشيخ أتم السبيطي اليعكوبي وهم اعمر ابن ملوك وأخوه سعيد وأخوهما ميلود بن ملوك وبنت عمهم فاطمة بنت اعمر وولد عمهم عبد العزيز بن علي ومبارك بن محمد بن اعمر". عقد شراء بتاريخ 25 رمضان 1226هـ/ 12 أكتوبر 1811م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004-001.

وصفقة واحدة بثمن قدره للعين المذكورة خمسون مثقالا دراهم فضة سكية لجميع منافع العين المذكورة ومرافقها وكافة حرمها ومجاريها الداخلة فيها والخارجة منها"¹، قبض فيها ورثة الحاج لفريجي خمسة وعشرين مثقالا وورثة الحاج اليعكوبي خمسة وعشرين كذلك، وحاز المشتري العين المذكورة حوزا تاما كما أشار إلى ذلك عقد البيع الذي أكد على صحة الملكية دون وجود شرط يفسده.

عملت القبائل على صيانة السواقي وإصلاحها جراء ما يشوبها من أضرار، كتخريب الأكوات جراء توالي الأمطار، كما هو الحال حين بلغ السلطان الحسن الأول خدامه بالحوز "بافتقار السواقي للإصلاح لتوالي الامطار عليها بالمساء والصباح"، فقامت قبائل غيغاية بإصلاحها امتثالاً لأوامره "وقيامكم في إصلاح ساقية اكوك احسن قيام"².

تعرضت سواقي الحوز إلى أضرار كبيرة جراء فيضان بعض الوديان ما كان يستلزم القيام بإصلاحها، كما هو الشأن حين أسقط واد البعجة سنة 1884م جميع سدود ساقية تاركة "في هذه الناحية الحوزية والوديان عامرة والشعب ممتلئة ومن ذلك وادي البعجة"³، فقام باشا مراكش الحاج أحمد أمالك بتبليغ أمزال المنطقة المسمى بن الجلالي لتحديد ما يجب القيام به، خاصة وأن أراضي المخزن بالمنارة كانت تسقى بمياه تاركة، غير أن أمزال "لم يلتفت لما هو مكلفا به من رد البال لهذه الساقية وغيرها وقد سقط مجرافي الجرف الذي بأكوكها في قم الساقية المذكورة"⁴، فاضطر الباشا إلى إبلاغ السلطان لما تضررت جنانات المنارة لإلزام أمزال المذكور بضرورة إصلاح الساقية، يتضح من خلال نص الإشارة أن عملية الإصلاح كانت تنجز من طرف القبائل وتحت إشراف أمزال وفي بعض الأحيان الباشا، لما كان الأمر يتعلق بتضرر أراضي المخزن.

1- عقد شراء بتاريخ 25 رمضان 1226هـ / 12 أكتوبر 1811م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004-001.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 13 جمادى الثانية 1301هـ / 9 أبريل 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 5.

3- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 29 رجب 1301هـ / 24 ماي 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 6.

4- نفس الرسالة.

II. الأزمات المائية وانعكاساتها على البنية القبلية بالحوز:

انعكست الأزمات المائية على البنية القبلية بمجال حوز مراكش، سواء تعلق الأمر بأداء الضرائب أو بالهجرات القبلية. فكيف أثر الجفاف على التحصيل الضريبي خلال القرن التاسع عشر؟ وما أبرز التنقلات القبلية التي واكبت فترات الجفاف بحوز مراكش؟

1- الأزمات المائية وأثرها على التحصيل الضريبي

تأثر تحصيل الضرائب بشكل مباشر بالتساقطات. فهل أخذ المخزن الظروف الطبيعية بعين الاعتبار أثناء تحصيل الضرائب؟ أم أنه كان يؤجل تحصيلها إلى السنوات ذات المحصول الجيد؟

في تحصيل الضرائب يجب التمييز بين الفئات المعفية وبين المفروضة عليها، فأما المعفية فقد شملت بالأساس الزوايا التي سبقت الإشارة في الباب الثاني إلى بعض ظواهر الإعفاء الضريبي التي تمتعت بها، كما هو الحال بالنسبة لحفدة عبد الله بن حسين بزواوية تامصلوحت ومولاي إبراهيم بكيك...، أما بالنسبة لزكاتهم فقد ترك المخزن لهم حرية توزيعها على ضعفاء المنطقة، وهي عادة مألوفة بالنسبة للزوايا، كما هو موضح في نص الظهير التالي: "حفدة الولي الأشهر مولاي عبد الله بن احسين على مقرر عاداتهم في دفع زكواتهم وأعمارهم لضعفائهم ومسجد الولي المذكور كما كانت عادة أسلافهم مع أسلاف مولانا الكرام قدس الله أرواحهم... ذلك أصلا منهم محررون بالظواهر الشريفة"¹. فما السياسة الضريبية التي نهجها المخزن إزاء القبائل؟ وهل يمكن القول أن الماء كان وراء تغيير المخزن لسياسته الضريبية تبعا للتساقطات المطرية؟

1- لم يتوقف الإعفاء عند هذا الحد بل حتى إن العوام في منطقة تامصلوحت والذين كانوا يؤدون "زكاة الماشية والزيت أما الحبوب فتدفع للمرس السعيد"، تدخل مولاي الحاج المصلوحي وطلب من السلطان تحصيل زكاتهم حبوبا ومواشي "الإنعام عليه بحياسة الحبوب لإعانة الضعفاء والقيام بالزواوية فأنعم أيده الله عليه بها على أن تصرف في الصالح فلما توصل بها أعطى منها للأغنياء من الشرفاء أهل الحل والربط قطعاً لألسنتهم ومنع منهم المستحقين"، وهو ما دفع السيد عباس بن داوود لمراسلة السلطان بما يكون عليه العمل في هاته الحالة، هل يعود المخزن لجمع الزكاة المذكورة كما كان الحال في السابق؟ خاصة وأنه قد بلغ قدر المحصل من زكاة الماشية والزيت نحو 100 ريال، والحبوب حوالي 700 خروبة إذا كانت المحاصيل جيدة، أم يترك الوضع على ما هو عليه ويتغاضى عن ما يقوم به مقدم الزاوية المصلوحية. انظر: رسالة من عباس بن داوود إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 4 ربيع الثاني 1303هـ / 9 يناير 1886م، م.وم، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

قبل الحديث عن السياسة الضريبية التي تبناها المخزن زمن الأزمات المائية، لا بد من الإشارة إلى بعض المداخل الضريبية وأثر الماء على قيمتها، وفيما يلي جرد ببعض مداخل المستفادات حسب ما توفر من وثائق:

جدول رقم 15: مداخل مستفادات مراكش لسنة 1290 هـ / 1873 م من القمح والشعير¹

المواد	الجمال	المد
القمح	100	250
الشعير	45	113

عرفت هذه السنة أيضا بيع البهائم (البقر) بحوالي 370 ريال، وقد وصف الإنتاج الفلاحي (الصابة) لهذه السنة بالضعيف سواء في الحوز، دكالة وكذا الشاوية.

جدول رقم 16: مداخل مستفادات مراكش ما بين 1860-1893 م

السنة	المنطقة	مجموع المداخل بالمتقال
1254 هـ / 1838 م	الحضرة المراكشية	21060004
1277-1279 هـ / 1860-1862 م	أكدا	36719539
1279 هـ / 1862 م	أبواب مراكش	43304537
1280 هـ / 1863 م	أبواب مراكش	56134375
1280 هـ (سبعة أشهر الأخيرة) // 1863-1864 م	سوق زمران	623750
1280 هـ / 1863 م	أسواق دمنات	7172070
1280 هـ (ستة أشهر الأخيرة) // 1863-1864 م	سوق أمزميز	890816

¹- رسالة إلى الحاج عبد الكريم بريلش، بتاريخ 13 ربيع الأول 1290 هـ / 10 ماي 1873 م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001-002.

²- خ ح، الرباط، ك رقم: 14. ص. 18.

³- بيان مستفاد مراكش لسنة 1281 هـ / 1865 م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 2.

⁴- نفس الرسالة.

⁵- نفس الرسالة.

⁶- بيان مستفاد مراكش لسنة 1281 هـ / 1864 م، م.و.م. محفظة مراكش رقم: 2.

⁷- نفس الرسالة.

⁸- نفس الرسالة.

1281 هـ / 1864 م	أسواق دمنات	143500 ¹
1283 هـ / 1866 م	مجاط وأولاد مطاع أمزميز وزكيتة	1521 ² 4926
1309 هـ / 1892 م	سوق السبت بالحوز	114000 ³
	سوق غيغاية	113000
1310 هـ / 1893 م	مستفادات مراکش	4947219 ^{4 5 6}

يتضح من خلال الجدول أعلاه التذبذب الحاصل في مداخيل مستفادات مراکش، وهو ما يترجم عدم انتظام التساقطات من سنة إلى أخرى، فإذا ما قارنا مداخيل أبواب مراکش لسنتي 1862 و 1863م، سيتضح أن مداخيل السنة الأخيرة تفوق نظيرتها بحوالي الضعف، أما إذا قارنا مداخيل الأسواق مثلاً، فيتضح الاختلاف الكبير بين أسواق دمنات التي تفوق نظيرتها السبت وغيغاية وأمزميز وزمران، أما مداخيل السوق الواحد مع اختلاف السنوات فنجد أنه خلال سنة 1280 هـ / 1863م، حصل المخزن على ضرائب أكبر بكثير من سنة 1281 هـ / 1864م بحوال أربع أضعاف، وهو ما يدل على أن سنة 1280 هـ / 1863م كانت سنة جيدة مداخيلها مرتفعة وبالتالي وجود تساقطات مطرية وموسم فلاحى جيد، عكس سنة 1281 هـ / 1864م التي عرفت فيها مدينة مراکش والمناطق الجنوبية عموماً قلة التساقطات⁷.

1- بيان مستفاد مراکش لسنة 1281 هـ 1864م، م.و.م. محفظة مراکش رقم:2.

2- خ ح، الرباط، ك رقم: 62. ص.17.

3- رسالة من السيد أحمد بن الطاهر بنمل الرباطي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رجب الفرد 1310 هـ / 10 فبراير 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

4- رسالة من أمناء التهامي بن شقرون، محمد بن بلعيد، محمد المختار الصبان إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 12 ربيع الثاني 1310 هـ / 2 نونبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

5- رسالة من أحمد بن الطاهر بناني الرباطي إلى السلطان، بتاريخ 14 ربيع النبوي 1310 هـ / 5 أكتوبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

6- رسالة من أحمد بن الطاهر بناني الرباطي إلى السلطان، بتاريخ 24 رجب 1310 هـ / 10 فبراير 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

7 - MIEGE,J,T2, op.cit. P.39.

وتجدر الإشارة إلى أن مداخل سوق السبت وغيغاية كان يتم كرائهما في صفقة واحدة، غير أنه خلال سنة 1309هـ/1892م تم كراء كل سوق على حدى، وهو ما أشارت إليه الرسالة التالية "وبعد فتوافي حضرة مولانا العالية بالله عقدتي سوق السبت بالحوز وسوق غيغاية عن سنة كاملة مبدأها فاتح رجب الفرد الفارط عامه بعد ما كنا نكترتهم صفقة واحدة سمسرنا كلا منهما وحده فظهرت نتيجة ذلك على حسب ما بالعقد طيه وعلى خدمة مولانا"¹، فأفضى هذا التغيير إلى نتائج إيجابية ورفع من مداخل المخزن.

1-1 السياسة الضريبية زمن الأزمات المائية:

نهج المخزن سياسات مختلفة تجاه القبائل، فمنها التي أمهلها دفع الضرائب إلى المواسم الفلاحية الجيدة، ومنها التي أعفاها من بعض الضرائب كالهدايا أو تموين الحركات، وفيما يلي مختلف السياسات التي نهجها المخزن تجاه قبائل الحوز خلال الأزمات المائية في القرن التاسع عشر.

طلبت قبيلة فروقة من المخزن إمهالها أداء ما بذمتها من ضرائب إلى غاية موسم الحصاد، بعد أن ألزم قائدها بتحصيل "اداء خمسمائة خروبة وخمسين خروبة الباقية عليهم من زريعة الشعير التي نابتهم وسط قبائل الدير وعليه فقد ألزمتهم ذلك فالتزموا وطلبوا امهالهم في ذلك إلى وقت الدراس بحول الله لفراغ مخازنهم وقتئذ من ذلك فتعين اعلام سيادتكم بمطلوبهم والنظر لعلاك"²، يتضح أن القبيلة كانت تعاني من فراغ مخازنها، لذا طلبت من المخزن إمهالها إلى غاية موسم الحصاد، يلاحظ إذن أن مسألة الحسم في تأجيل تحصيل الضرائب ظلت مرهونة بموافقة السلطان نفسه والعمل بما يقتضيه نظره.

أمهل المخزن في بعض الأحيان تحصيل ما بذمة القبائل من ضرائب، فقد أمهل استخلاص واجب الجزية عن يهود مراکش وغيغاية حتى سنة 1892م، حيث تم استخلاص "ما دفعه السيد المختار الصبان مما بذمته من ثمن الغل وواجب جزية أهل

1- رسالة من السيد أحمد بن الطاهر بنمل الرباطي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رجب الفرد 1310هـ/ 10 فبراير 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

2- رسالة إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 2 جمادى الثانية 1310هـ/ 21 دجنبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

الذمة بمراكش وغيغاية عن عامين أحدهما عام 1293 والآخر 1308 وثنم الزيت"¹.
يتضح من خلال الرسالة أن أهل الذمة لم يؤدوا واجب الجزية عن سنة 1876م و1890
إلا في سنة 1892م، غير أنه لم تتم الإشارة إلى سبب التأخر والغالب على الظن هو تأثرهم
بالتقلبات المناخية.

نهج المخزن أحيانا سياسة الإعفاء الضريبي تجاه عدد قليل من القبائل، وهو ما
أشارت إليه بعض الظواهر المخزنية، كذلك الذي أمر فيه المولى سليمان بأن لا " تفرض
درهما على أحد ولا تذكر زكاة ولا أعشار واشتغل بالصلاح... وهذه السنة لا تذكر أعشارا
ولا زكاة ولا مغرم ولا حاجة لنا بهدية ولا غيرها وكل ما تقبضه اصرفه على الصلاح"².
يتضح من خلال نص الرسالة تخلي السلطان عن جمع الضرائب من هذه القبيلة، نظرا
للنهب الذي تعرضت له فأمر السلطان على إثر ذلك بأخذ أموال الفاسدين وصرفها على
الضعفاء.

أعفى السلطان الحسن الأول بعض الفرق من أداء الضرائب، بل وأنعم عليهم بها وهو
ما حدث مع احميان وأولاد الحاج سنة 1819م، والغالب على الظن أن السلطان أعفاهم
نتيجة توالي سنتين من الجفاف: 1816-1818م " بحول الله أمر احميان وأولاد الحاج
وجعلناهم من جملة جيش أخواننا الأوداية وزكواتهم وأعشارهم هذه السنة فقط أنعمنا
عليهم بها يجعلونها في السلام"³. يتضح من خلال الرسالة أن السلطان اعتبر الفرقتين
المذكورتين من ضمن قبائل الكيش التابعة لجيش الأوداية وأعفاهم من أداء الزكاة
والأعشار، غير أنه نبه في ختام رسالته إلى أن هذا الإنعام والإعفاء يهم سنة 1819م دون
غيرها.

لم يتخل المخزن خلال بعض الأزمات المائية التي عرفها مجال حوز مراكش
والمناطق الجنوبية عن تحصيل الضرائب، بل وألزم قياد تلك القبائل بتفسير سبب نقصان

1- رسالة من عبد السلام التازي إلى أمناء البنيقة المراكشية، بتاريخ 7 جمادى الأولى 1310هـ/ 26 نونبر 1892م،
م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

2- ظهير السلطان المولى سليمان، بتاريخ 24 ذي القعدة 1235هـ/ 1 شتنبر 1820م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز:
A14-006-001.

3- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى القائد عياد، بتاريخ 2 شوال 1234هـ/ 24 يوليوز 1819م، م.و.م، الرباط،
محفظة رمز: A14-006-001.

قيمة الضرائب، وفي مقدمتهم محتسب مراكش عبد الرحمان البوكيلي: "بوصول قوائم الخرص الذي وجهت للحضرة الشريفة وقد قبلت مع نظايرها في السنة الماضية فوجد نقص كبير في الحبوب له بال حسبما ذاك مبين ويأمر مولانا أيده الله الخديم أن يبين سبب ذلك النقص فهو غير مقبول نعم سيدي فعند السمع والطاعة فإن سبب ذلك عدم المطر وقلة الماء في السواقي وعن درس الزرع له بال وقع للناس فيه ضياع لأجل ما ذكر¹، يتضح من خلال هذه الإشارة أن السلطان لم يتقبل النقص الحاصل في عملية الخرص لسنة 1887م مقارنة بقيمته خلال السنوات الماضية، فبرر البوكيلي هذا النقص بقلة المياه في السواقي وندرة التساقطات بحوز مراكش.

المخزن أيضا لم يتخل عن جمع الهدايا بكونها جزء من ضرائب القرن التاسع عشر، ولو تعلق الأمر بسنة جافة فإن المخزن كان يمهل بعض القبائل مدة قبل تحصيلها وهو ما حدث لقبيلة عبدة، حيث أمر السلطان الحسن الأول القائد عيسى بن محمد العبدى "بتوجيه مايتي ريال تثنية وخمسين ريالا إليكم بقية هدايا إيالته عن أعياد خمسة ءاخرها الموسم النبوي الفارط"².

يتضح إذن اختلاف السياسة الضريبية التي نهجها المخزن إبان السنوات الجافة باختلاف القبائل، فنجد تارة يعفي بعضها وتارة يفرض على قبائل أخرى أداء ما بذمتها خلال السنوات الجيدة، وعموما يمكن القول بأن تأجيل تحصيل الضرائب هو السمة الغالبة على السياسة للضريبية في مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

2-1 السياسة الضريبية خلال المواسم الجيدة/ التساقطات المطرية:

كما عرف المغرب سنوات جافة فقد عرف فترات مطيرة، وهو ما عبرت عنه إحدى الرسائل المخزنية "وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بما اعطى الله سبحانه من المطر الغزير

1- رسالة من عبد الرحمن بن أحمد البوكيلي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 8 صفر 1305هـ/ 22 أكتوبر 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:7.

2- رسالة من السلطان إلى أمناء البنيقة المراكشية، بتاريخ 5 جمادى الثانية عام 1310هـ/ 24 دجنبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

الذي عم نفعه واطمأنت به نفوس العباد فالحمد لله¹، وفي رسالة أخرى نجد "فقد وافانا كتابك مخبراً بعفو الله على عباده ورحمته إياهم بنزول المطر الغزير تفضلاً منه وإحساناً"². فهل تمكنت القبائل من أداء ما بذمتها من ضرائب للمخزن؟

ميز المخزن في عملية الخرص بمجال الحوز بين الأرض المسقية والبورية، بحيث يتم خرص الأولى أما البورية فتعطي الواجب نقدا نظرا لكونها منتجة أحيانا وقاحلة أحيانا أخرى، وهو ما وضحه السلطان عبد الرحمان بن هشام في إحدى رسائله "وعلمنا ما ذكرت من خصب مزارع السقي كالحوز وشيشاوة وضعف الصابة في بعض المزارع البورية وانعدامها في بعضها وطلبت أن نبين لك كيفية العمل فيمن عادتهم الخرص ممن يحرق أرض البعل هل يخرص لهم على العادة أم يدفعون الواجب دراهم فمن حرق في أرض السقي يخرص له ومن حرق بأرض البعل يعطي الواجب دراهم"³.

قدمت قبيلة أمزميز سنة 1249هـ/1833م في شخص قائدها محمد بن أحمد المزميزي "خمسة آلاف مئقال زكاة وأعشار إيالتك"⁴، وفي سنة 1252هـ/1837م أدت واجب الهدية للسلطان وفيما يلي رسالة هذا الأخير لقائد القبيلة محمد بن أحمد المزميزي "فقد وصل لحضرتنا الشريفة عيادة إخوانك صحبة أخيك وقاموا بواجب الخدمة والطاعة وحضروا العيد ونالوا دعوة المسلمين وأدوا الهدية المذكورة في كتابك كثر الله خيركم"⁵، وعموما فإن قبيلة أمزميز من أبرز قبائل الحوز القريبة من المخزن والملتزمة بأداء جميع الضرائب والهدايا، وهو ما وضحته العديد من الرسائل المخزنية التي جمعت قياد المنطقة بسلاطين القرن التاسع عشر خاصة السلطان الحسن الأول.

1- رسالة من موسى بن أحمد إلى السيد عبد الله بن أحمد، بتاريخ 26 ربيع الأول 1295هـ/ 29 مارس 1878م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-016-007.

2- رسالة من موسى بن أحمد إلى الباشا عبد الله بن أحمد، بتاريخ 17 ذو الحجة 1295هـ/ 11 دجنبر 1878م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-018-002.

3- أمر السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى السيد حسن، بتاريخ 5 محرم 1283هـ/ 19 ماي 1866م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 2.

4- رسالة إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 4 رجب 1249هـ/ 16 نونبر 1833م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-006.

5- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 17 ذي الحجة 1252هـ/ 24 مارس 1837م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-008-001.

عرفت الهدية تنوعا بين القبائل، بين التي تقدم المال وتلك التي تقدم الخيل وغيرها، ففيما يخص الأولى فقد قدم القايد أحمد بن القايد على يد كل من السراغنة وتادلة وبني مسكين بمناسبة عيد الأضحى "ألف مثقال هدية منا لسيدنا"¹، شملت الهدايا السلطانية خيلا كذلك فقد تلقى السلطان من: "الأشياخ الموجهون بمال بناء صور أجدل ويدهم فرس لهدية سيدنا" وقد كان رفقتهم ثمانية أشخاص من فطواكة ومثلهم من ولتانة لتقديم واجب الهدية وفي نفس الوقت تقديم شكوى للسلطان "ليعلم سيدي أنهم وصلهم ضر من السراغنة جوارهم"². يتضح أن الهدية كانت وسيلة ومناسبة للحديث إلى السلطان والإبلاغ بأحوال الرعية وتقديم الشكاوى.

عمد المخزن في السنوات الجيدة إلى مطالبة القبائل بواجب الزكاة والأعشار، وهو ما طالب به السلطان قبيلة "جلاوة" حين بلغ لعلمه "أن صيف قبيلة جلاوة صالحة في هذه السنة غاية فخطبهم بأداء فريضة الزكاة والعشر وأنها قاعدة من قواعد الإسلام الخمس وأنها طهارة للأنفس ونمو وبركة في الأموال وحفظ لها من الآفات وافرض عليهم أربعة آلاف مثقال"³.

وفي بعض الأحيان طالبت بعض القبائل قائدها بتحصيل الضرائب نظرا لوفرة الإنتاج ورخاء الأسعار، وهو ما حدث سنة 1265هـ/1849م لما طلب أشياخ الفايحة "من قايدهم ابن الشرقي الرحماني بالقدوم عليهم لقبض واجب قبائلهم وذكروا له من رخاء أسعار تلك الناحية ما يحمله على إجابتهم قبل قوات ابانه ولما لحوا عليه وتبين له صدقهم فيما أخبروا به"⁴، طلب القائد إمداده ببعض الفرسان لجمع تلك الضرائب فاجتمع له "بنحو الخمس عشر مائة بين فرسان ورمات من مسفيوة وزمران وقبائل الدير ومجاط وأولاد

1- رسالة من أحمد بن محمد بن القايد إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 30 ذو القعدة 1265هـ/ 16 أكتوبر 1849م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

2- رسالة من الوصيف علي بن حمد إلى الوزير الأعظم محمد بن إدريس، بتاريخ 17 رجب سنة 1263هـ/ 30 يونيو 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة.

3- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى ابنه سيدي محمد بتاريخ 16 ربيع الأول 1252هـ/ 30 يونيو 1836م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-008-001.

4- رسالة من محمد إلى السلطان، بتاريخ 2 رمضان 1265هـ/ 21 يوليوز 1849م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

أطاع وحربيل والمنابذة وعأيت يمور والمغفرة"¹. هي حالات نادرة التي طالبت فيها القبائل بجمع ضرائبها، وأشارت إلى هذا الأمر رسالة وحيدة دون غيرها، إذ غالبا ما كان القياد يقومون بهذه العملية في وقت الحصاد، إلى جانب الضرائب السالفة الذكر فُرض على القبائل أداء واجب الحركة الذي كان المخزن يحدد مقداره "وقرأنا عليهم كتاب سيدنا وجعلنا لسيدنا الشريف ثلاثين أوقية لكل ليلة على حاحا وخمسة دجاجة والسخرة"².

واجه المكلفون بعمليات الخرص عدة مشاكل، سواء مع القبائل المعنية بالأمر أو مع القائمين عليها من عمال وقياد، وعلى سبيل الذكر فبعدما تم خرص كل من: التراريين والاعروصيين وأولاد اعلا بتورار وغيرهم³ سنة 1888م، وقع نزاع بين قياد هذه المناطق والعامل المكلف بالخرص، فتدخل المخزن لإيقاف النزاع والقيام بعملية الخرص كما يجب، خاصة وأن محصول هذه السنة كان جيدا، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "وعندهم في هذه السنة زرع كثير والآن اقتضى نظر سيدنا أيده الله أن يأذن عمالهم المسمون يمنتهم بإيقاف خلافهم معي على خرصهم على العادة القديمة فنعم والخدم ما وجب عليه إلا الاعلام ونظر مولانا أيده الله اتم"⁴.

تجدد الصراع بين رجال المخزن والمكلفون بتحصيل الضرائب، ويتعلق الأمر في هذه الحالة بالسيد سعيد أخ الحاجب موسى بن أحمد الذي تدخل لتأخير جمع ضرائب أهل تنشاشت، وهو ما أثار حفيظة باشا مراکش أحمد أمالك وراسل الحاجب المذكور على إثر ذلك، فأجاب هذا الأخير بما يلي "كما أنه لما خاطبت أهل تنشاشت بأداء ما عليهم من الثلث والعشر تعرض عليهم وقال لا بد أن يتأخر عنهم فأنزمتهم بدفعه وطلبت منا أن نحده من ذلك بها نحن كتبنا له كما طلبت ونحن لا نوافق على ذلك ولا نحب أن يدخل

1- رسالة من محمد إلى السلطان، بتاريخ 2 رمضان 1265هـ/ 21 يوليوز 1849م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 1.

2- رسالة من الطاهر الذوبلالي إلى المولى الحسن، بتاريخ 22 ربيع الثاني 1290هـ/ 18 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001-003

3- ورد في الطرة أسماء المعنيين بالخرص وهم: الاعروصيين والتراريين وأولاد اعلا بتورار وبأيت الباكي الحاج احمد امالك العماريين عند الخديم المزميزي وقسمة عنهم عند الخديم الجرجوري.

4- رسالة من عبد الرحمان البوكيلي إلى السلطان، بتاريخ 14 ذو القعدة 1305هـ/ 22 يوليوز 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 7.

فيما لا دخل له فيه"¹، يتضح من خلال هذا النص تدخل الحاجب موسى بن أحمد الذي بين رفضه لتصرف أخيه وكفه عن التدخل في مهام غيره، لكي يتم تحصيل الضرائب كالمعتاد.

طرح موضوع حرث بعض الفلاحين من فتواكة وولتانة في أراضي قبيلة السراغنة عن طريق الشراء أو الرهن وتأدية الضرائب بقبيلتهم عدة مشاكل، من بينها نهب مزروعاتهم سنة 1263هـ/1847م من طرف السراغنة، بدعوى أن عاملهم أحمد بن القيد أمرهم بتخريف تلك الأراضي ولو حرث بها الغريب، مما أضر بهؤلاء الفلاحين، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "يعلم سيدي انهم قديما مندوا عقلا وعقلوا أسلافهم يحرثون الكثير منهم ببلاد السراغنة كل منهم مع جواره بعضهم شرا منهم ملكا ويحرث فيه وبعضهم رهن ويحرث تحت رهنه وبعضهم يعطونه أصحابه يحرث بالعشور وكل منهما يعطي عشور الواجب مع قبيلته إلا هذه السنة زعموا السراغنة أن عاملهم السيد أحمد بن القيد قال لهم كل من حرث عنده أحد من البراني خرصوا زرعه من جملتكم"²، فطلب الوصيف علي بن أحمد من الوزير الأعظم محمد بن إدريس الوقوف مع الفرق المذكورة حتى يبلغوا شكايته للسلطان أثناء تقديمهم الهدية "بالفضل من سيدي أن يكتب لعاملهم كل واحد يعطي عشوره مع قبيلته كما كانت عادتهم من قديم ولا تخرق على أحد عادة"³.

يتضح من خلال هذه الرسائل أن التحصيل الضريبي بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر قد طرح عدة مشاكل، سواء تعلق الأمر بالقبائل أو تدخلات رجال المخزن، وهو ما أثر دون شك على الموارد المالية المحصل عليها، ففي العديد من الأحيان لم يتوصل أمناء مراكز الضرائب، وهو ما أشارت إليه إحدى الرسائل التي تناولت عدم توصل الأمناء بخرص بلاد أمزميز لسنة 1309هـ/1892م وفيما يلي نصها: "أن المكلف بأمالك الجانب العالي بالله بأزميز لم يدفعوا لنا قوايم خرص عام 9 ولا حملوا شيئا"⁴,

1- رسالة من موسى بن أحمد إلى الباشا أحمد أمالك، بتاريخ 20 صفر 1291هـ/7 أبريل 1874م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:3.

2- رسالة من الوصيف علي بن أحمد إلى الوزير الأعظم محمد بن إدريس، بتاريخ 17 رجب 1263هـ/30 يونيو 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:1.

3- نفس الرسالة.

4- رسالة من أمناء المرس السعيد بمراكش إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 28 رمضان 1310هـ/14 أبريل 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

فاضطر المخزن إلى التدخل في العديد من الأحيان لمحاولة إنجاح عملية جمع الضرائب في الوقت المحدد، وعلى العموم ظل السلوك الجبائي للمخزن -في إخضاع القبائل أو إعفائها المؤقت من بعض الضرائب- محكوما بالمنطق السياسي¹ والاقتصادي والاجتماعي وكذلك الطبيعي، نظرا للظروف المناخية الصعبة التي عاشت على إيقاعها البلاد خلال القرن التاسع عشر.

2- الأزمات المائية وتنامي ظاهرة الهجرة بحوز مراكش

عرفت ظاهرة الهجرة استفحالا كبيرا خلال القرن التاسع عشر، نظرا لمجموعة من العوامل أهمها: توالي سنوات القحط والجفاف وتضرر الفلاحين²، الشيء الذي دفع بهم إلى الهجرة بحثا عن القوت³، وهو ما أكدته رسالة استغاثة أحد المهاجرين بالسلطان المولى الحسن، يطلب منه الترخيص له للاستيطان بمدينة فاس قائلا: "فليكن في علم سيدنا أننا هاجرنا بأهلنا من قبيلة بني يزناسن لاستمرار القحط بها، وقصدنا الاستيطان بالحضرة الإدريسية رجاء خيرها..."⁴. فكيف أثرت العوامل الطبيعية على البنية الديموغرافية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟ وكيف ساهمت الأزمات المائية في استفحال ظاهرة الهجرة؟

2-1 تأثير العوامل الطبيعية على البنية الديموغرافية:

كانت الأوبئة إلى جانب القحط وظهور المجاعات التي اجتاحت البلاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على وجه الخصوص وراء الارتفاع الكبير في الوفيات، وهو ما أكدته صاحب الابتسام بقوله: "مات جل الضعفاء وأشرف الناس على الهلاك"⁵. ساهمت هذه العوامل في التراجع الديموغرافي بالبلاد، حيث لم يكن "عدد سكان البلاد يتجاوز في أفضل الأوقات أربعة ملايين نسمة"⁶.

1- جادور محمد، م.س. ص.ص. 151-152.

2- معريش محمد العربي، م.س. ص. 62.

3- الهروي الهادي، م.س. ص. 217.

4- رسالة من محمد بن البشير آل سيدي علي البكاي الزناسي إلى مولاي الحسن، بتاريخ 29 ربيع الأول 1301هـ/ 28

يناير 1884م. البزاز، الأوبئة والمجاعات، م.س. ص. 362.

5- مجهول، الابتسام، م.س. ص. 70.

6- القبلي محمد، م.س. ص. 448.

انعكس عامل الجفاف على الأسعار بمراكش وأحوازها، ما أثر دون شك على البنية الديمغرافية، فقد انتشرت الفوضى والقتال بين الناس، وهو ما وصفته الرسالة التي بعث بها القائد محمد بن ابراهيم الحرار إلى القائد عمر المزميري يصف فيها أحوال مدينة مراكش وهي كالتالي: "وأهل المدينة فرج الله عنهم في هم شديد وضيق بعيد كيف لا والأسعار شاردة الزرع بستة وعشرين مثقالا والشعير باثني عشر مثقالا واللحم بثلاثة أواق للرطل والخبزه بثلاثة أوجه والسمن باحدى عشر أوقية وهذه كلها لا يوجد منها الا القليل وأما الملح فلا وجود له حتى بلغت اثنين وثلاثين مثقالا فنطلب الله ان يفرج على المسلمين وفي كل يوم القتال"¹.

رفعت فئة من سكان مراكش شكوى إلى السلطان يصفون فيها حالهم من شدة الغلاء وسقوط الموتى من الجوع، ونص الشكوى كالآتي: "مما حل بهم من قلة ذات اليد وشدة غلاء الأسعار كما لا يخفى على الصادر والوارد حتى أن ثمانية منهم بين الكبار والصغار ماتوا جوعاً"²، فأرسل الطبيب اليماني إلى أمناء البنيقة المراكشية يخبرهم بأن السلطان "أنعم على المذكورين بهذا الزمام من الرجال والنساء الممنون عليهم بالإسلام بخمسين أوقية لكل رجل متزوج وخمس وعشرين أوقية لكل أعزب من الذكور والنساء... فيأمركم سيدنا أعزه الله أن تمكنوهم من القدر المذكور"³.

ساهمت القحوط والأوبئة بدورها في تفشي ظاهرة الهجرة وانتقال نشاط بعض السكان من الزراعة إلى الرعي، فقد كانت المناطق الخصبة التي أفنى الوباء أهلها قبلة للعناصر البشرية القادمة من الأطراف الصحراوية لتعميرها، وهذه الظاهرة كانت معروفة على الأقل منذ القرن الرابع عشر جراء الطاعون الأسود⁴، وتواصلت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، كما وقع بالنسبة لقبيلة الرحامنة التي دخلت إلى سوس عقب مجاعة 1521-

¹- رساله من محمد بن ابراهيم الحرار إلى القائد عمر بتاريخ 13 شوال 1278هـ/ 12 أبريل 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-002.

²- رسالة إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 21 جمادى الثانية 1266هـ/ 3 ماي 1850م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

³- رسالة من الطبيب بن اليماني إلى أمناء مراكش، بتاريخ 2 رجب 1266هـ/ 13 ماي 1850م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

⁴- الهروي الهادي، م.س. ص. 215.

1522م، ثم واصلت زحفها إلى أن استقرت بمراكش¹، وفي هذا الصدد يقول روبير مونتاني أثناء حديثه عن المناطق الجبلية "فإن هذه المناطق كانت تتعرض غداة الحروب والأوبئة لتجددات بشرية كبيرة"².

كما أشار جاك بيرك إلى أن أمغار قبيلة دويران "الحاج بوجمعة" تمكن من جمع أراضي كثيرة في نهاية القرن الثامن عشر، غير أن الطاعون الذي ضرب البلاد بداية القرن التاسع عشر أودى بحياته، فتدخلت الجماعة رغما عن ورثته وصاشرت جميع أملاكه³.

2-2 الأزمات المائية والهجرة:

كان الناس عقب جفاف 1266هـ/ 1850م، يجوبون الحقول بحثا عن جذور النباتات لسد رمقهم، وهو ما أكدته الناصري بقوله: "وأكلت الناس الجيف والميتة والنبات وصار يعرف عند أهل البادية بعام الخبيزي وإيرني"⁴، وفي هذه الفترة أيضا عرفت القبائل هجرات من المناطق المتضررة جراء الجفاف والمجاعة إلى المناطق الأقل تضررا⁵، وكانت الأزمة قد اشتدت في كل من قبائل الحوز وابن مسكين وعبدية ودكالة، فنزحت هذه التجمعات البشرية نحو بلاد الغرب حسب ما أورده الناصري: "فأهرعت هذه القبائل إلى بلاد الغرب والفحص"⁶، بينما هاجر أهل تافيلالت والمناطق الجنوبية عامة نحو مدينة مكناس وفاس⁷. وبالتالي يمكن القول إن الجفاف والمجاعة دفعا بالناس إلى ترك ديارهم والهجرة بحثا عن القوت، وهو ما أكدته المختار السوسي بقوله "واشتد الجوع على

¹ - Rosenberger,B, et Triki,H, **famines et épidémie au Maroc aux XVI et XVII siècle**, op.cit. P.70.

²- Montagne Robert, **l'aghbar et les hautes vallées du grand atlas**, Hes, Paris, librairie larosse, tome VII, 1927. PP.1- 32.

³- BERQUE,J, op.cit. P.91.

⁴- الناصري، **الاستقصا**، ج9، م.س. ص.61.

⁵- الغديري مصطفى، وثائق مخزنية، **كنائش الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة**، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 3، 2001. ص.109.

⁶- الناصري، م.س. ص.61.

⁷ - Miege, J.L, **journaux et journalistes a Tanger au XIX siècle**, Hes, vol XLI, 1954. PP.214- 215.

الناس... وافترق جل الآباء مع أولادهم. وهربوا عنهم. وكذلك أزواجهم وتركوهن ولا يبالون بهن من شدة ما نزل بهم من جوع"¹.

عمد أهل تادلة إلى الرحيل عن قبيلتهم سنة 1248هـ/1832م لما توالى سنوات الجفاف وقصدوا قبيلة أمزميز بحوز مراكش بحثا عن ظروف أحسن، وهو ما أشارت إليه الرسالة التي بعث بها السلطان إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، وفيها: "وقد تفرق أهلها أيادي سبأ زمن المسبغة لا أعادها الله"².

يتضح من خلال هذه الإشارات أن الجماعات البشرية غالبا ما اتجهت نحو المناطق الخصبة، عند اشتداد الأزمات الطبيعية خاصة المائية منها، إلى جانب النزوح نحو المدن الساحلية³، فقد كانت الحبوب تتواجد بالخصوص في المراسي سواء التي تم جلبها من المناطق الداخلية أو المستوردة من الخارج، ونخص بالذكر مرسى مدينة الدار البيضاء ومرسى مدينة آسفي، في حين أن مدينة مراكش شكلت مركزا لاستقطاب النازحين من الجنوب والمناطق الداخلية.

لم تكن هذه العوامل وحدها وراء هجرة الناس وفرارهم، فالضرائب المخزنية المفروضة على القبائل كانت أيضا أحد الأسباب الرئيسية، إذ دفعت ببعض الساكنة إلى الهجرة وفي أحيان أخرى تجنب الذهاب إلى الأسواق التي يتولى فيها المخزن تحصيل الضرائب⁴، وهكذا انضافت الجبايات المخزنية كعامل للهجرة إلى جانب ظاهرتي الجفاف والمجاعة، وهو ما أكدته مضمون تقرير بعث به العامل محمد السبيطي إلى السلطان المولى

1- السوسي محمد المختار، المعسول، ج 15، م.س. ص.ص. 10-11.

2- رسالة من السلطان إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 26 ربيع الثاني عام 1248هـ/ 21 شتنبر 1832م،

م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-006-001.

3- "واجهت المغرب بعد المعاهدة البريطانية 1856 مجموعة من المشاكل... بالإضافة إلى إغراق الأسواق المغربية بالمنتجات الإنجليزية وتوافد الأجانب بكثرة". انظر:

- Ben Saghir, K, op.cit. P.78.

- بوكبوط محمد، مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الأمين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر، هسبيريس تمودا، العدد 40، 2005. ص.50.

4- الشابي مصطفى، النخبة المخزنية، م.س. ص.56.

محمد بن عبد الرحمان، حيث قال: "ولما رمنا قبض ما فرض وجدنا البعض من المفروض عليهم فر عن اخوانه لضعفه"¹.

انعكس تحصيل الضرائب زمن الجفاف على البنية الديمغرافية ببعض مناطق الحوز، فقد عمد بعضهم إلى ترك قبائلهم والرحيل عنها لقبائل أخرى تهربا من أداء الضرائب، كما هو الشأن حين فرت فرقة من آيت سمك إلى قبيلة أمزميز، فبعث السلطان على إثر ذلك رسالة إلى قائد أمزميز، يوبخه من خلالها على عدم المساعدة في القبض على الفارين وكذا منع من كلف بذلك: "فقد أخبر وصيفنا الحاج محمد بن عبد الصادق بأن بعض آيت سمك بقي عليهم شيء من زكاتهم وعشرهم وامتنعوا من أدائه وفروا من القبيلة وجعلوا يتسوقون سوق أمزميز فوجه أصحابه للقبض عليهم فمنعتهم من ذلك وما كان من حقه أن تتعرض لهم عليهم بل كان من حقه أن تشد عضدهم وتقبض لهم عليهم وتمكنهم منهم"²، يتضح من خلال هذه الإشارة أن المخزن لم يتساهل في جمع الضرائب وتأديب الرافضين أداءها، بل وحتى السعي إلى إرجاع الفارين بسببها بمساعدة القياد وإلزامهم أداء ما بذمتهم للمخزن.

عمد أهل النزایل بالحوز إلى الرحيل لما تطاول القايد عبد الله بن عمر السوسي عليهم، بعد أن ألزم بعض القبائل بخدمة جزء من الساقية وهو من واجب قبائل الدير، ومن امتنع انهال عليهم بالضرب حسب ما أوضحت الرسالة التالية: "وأن أهل النزایل...عزموا على الرحيل لإضراره بهم"³.

وعموما فإن الهجرة أو النزوح القروي الذي عرفه حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، قد انطلق مع توالي سنوات الجفاف والقحط وما تلاها من مجاعة وانعدام الأقوات، الشيء الذي أدى إلى تغيير في النسيج الاجتماعي سواء في الحواضر أو البوادي. وإذا كانت المعطيات لا تسعف على تقييم هذه الظاهرة بشيء من الدقة، إلا أنه يمكن القول بأن

¹- رسالة من العامل محمد السبيطي إلى السلطان المولى محمد بن عبد الرحيم، مؤرخة في سنة 1867م. عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، م.س. ص. 101.

²- رسالة من السلطان إلى القائد محمد ابن أحمد المزميزي، بتاريخ 6 صفر 1251هـ / 2 يونيو 1835م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-007-001.

³- رسالة من السيد عثمان إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 6 شوال 1305هـ / 15 يونيو 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

ظاهرة الهجرة همت معظم القبائل، وامتدت على نطاق جغرافي واسع، حيث كانت المدن وخاصة الساحلية منها مراكز جذب لأفواج الفارين من الجفاف والمجاعة، خاصة وأن المغرب عرف خلال القرن التاسع عشر العودة الدورية للأزمات، فقد أشار نيكولا ميشيل إلى أن تردد المجاعات لم يكن نتيجة الجفاف فقط، بل أيضا ناتج عن ظاهرة تراكم الأزمات، فآثار السنوات الجافة يظل مستمرا خلال السنوات المطيرة، بحيث تكون البذور محدودة ودواب الحرث قليلة وضعيفة¹، وبالتالي فحتى في السنوات المطيرة التي أعقبت تلك الجافة استمرت آثار المجاعة نتيجة تقلص المساحات المزروعة، وانخفاض مستوى المدخرات. فما هي أهم التدابير التي اتخذها المخزن في هذا الإطار؟

اتخذ المخزن مجموعة من التدابير للحد من هذه الظاهرة بحوز مراكش، فكان أحيانا يقوم بإرجاع الفارين إلى قبائلهم، كما هو الحال حين أمر بإرجاع أهل تادلة الفارين إلى أمزميز بحوز مراكش زمن الجفاف ونص الرسالة كالآتي: "وقد تفرق أهلها أيادي سبّا زمن المسبغة لا أعادها الله وقد عاد الله بخير على المسلمين وانتعشوا وهم أولى بعمارتها من غيرهم وعليه ها نحن وجهنا حامله الشيخ وزير الدين ولد حادة ليُرحل من بإيالتك من أهل تادلة ويتوجهون لبلادهم فشد عضده في ذلك ولا تبق منهم أحدا بإيالتك وإياك ثم إياك والتراخي وفقك الله"²، يتضح من خلال هذه الرسالة حرص المخزن على إرجاع الفارين زمن الأزمات المائية، خاصة بعد انتعاش البلاد وتساقط الأمطار، لذا وجب إعادة تعمير تادلة، وبما أن أهلها أولى بها فقد أمر قائد أمزميز محمد بن أحمد بترحيل جميع أهل تادلة إلى بلادهم الأصلي.

أمر المخزن في بعض الأحيان القبائل بمساعدته على الإمساك بالفارين، وهو ما حدث مع أهل نفيس حيث طلب منهم القبض على أي فاسد من فاسدي الأعراب -لم يرد ذكر اسمهم- الذين يمرون من تراب قبيلتهم ونص الأمر كالآتي: "وبعد فقد أخبرنا أن فرقة من فساد الأعراب فروا من بلادهم وجعلوا وجوههم لناحية سوس مارين على واد نفيس

1- حبيدة محمد، قراءة في كتاب "اقتصاد المعاشات في مغرب ما قبل الحماية" لنيكولا ميشيل، هسبيريس تمودا، العدد 40، 2005. ص. 118-119.

2- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 26 ربيع الثاني عام 1248هـ/ 21 شتنبر 1832م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-006-001.

وعليه فنأمرك أن تأمر أهل واد نفيس أنو يكونوا عينا وأذنا عليهم وأن كل من فر على ناحيتهم يأكلوا متاعه ويقبضون الرقاب ويأتون بهم ولا بد ولا بد وقد وجهنا عشرة من المخازنية للوقف على ذلك"¹ يتضح من خلال هذا النص أن المخزن شد عضد أهل نفيس بعشر مخازنية للقبض على الفاسدين المذكورين.

من خلال ما سبق يمكن القول أن السكان كانوا يهاجرون لعاملين أساسيين: أولهما الجفاف وما تلاه من مجاعة، فخلال كل موجة جفاف عصفت بالبلاد إلا وتحركت أفواج من المهاجرين الفارين منه والباحثين عن أماكن تكون أحسن حالا نسبيا حيث توجد الأقوات، أما العامل الثاني فهو التحصيل الضريبي الذي ارتبط بدوره بالجفاف، فلجأ بعض سكان القبائل إلى الفرار من وطأة هذه الجبايات التي تصبح أكثر إجحافا وثقلا مع قلة التساقطات.

¹ - رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الحاج إبراهيم الكركوري، بتاريخ 14 ذو الحجة 1278هـ / 11 يونيو 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-002.

الفصل الثاني: الماء والمخزن والقبيلة

لعب الماء دورا أساسيا في استقرار القبائل من جهة والتحكم في المجال بالنسبة للمخزن من جهة أخرى، فشكلت ثلاثية الماء والقبيلة والمخزن دورا هاما في تدبير المسألة المائية بمجال حوز مراكش، ونسجت حوله مختلف العلاقات سواء بين القبائل فيما بينها أو بين القبائل والمخزن، فما أبرز العلاقات التي ربطت ثلاثية الماء والقبيلة والمخزن؟ وكيف دبر المخزن المسألة المائية بمجال الحوز اعتمادا على قبائل الحوز؟ وما الدور الذي لعبته الإنعامات المائية المخزنية في استتباب الاستقرار وولاء القبائل؟

1. تدبير القبائل للمسألة المائية بالأراضي المخزنية

سخر المخزن نفوذه وسلطته لحرثة أراضيها وخدمة سواقيها اعتمادا على القبائل، هكذا اشتغلت بعض قبائل الحوز في جنانات السلطان القريبة منها عبر تقسيم العمل فيما بينها، وهو ما نستشفه من خلال عدد من الرسائل ولا أدل على ذلك من تردد عبارة "وقد شرعوا فيما نابهم من الحرثة للجناب المولوي"¹.

كلف المخزن عماله بالإشراف على فلاحه أراضيها، وكان من الطبيعي أن يشغل كل عامل عددا من أفراد قبيلته في هذه المهام، فقد تناولت إحدى الرسائل المخزنية خدمة أراضي السلطان في كل من "تسلطانت وتبوهنت والحوز واغاطيم"²، وفيما يلي نصها: "وأن سيدنا أيده الله أمر كل عامل يخرج بنفسه لمباشرة حرث ما كلف به إخوانه ويخيم عليه حتى يتم بحول الله"³، ونستشف من الرسالة أيضا أن العمل في أراضي السلطان يتم بشكل دوري وفي كل سنة: "إذا حان الحصاد يخرج ليقابل بنفسه ببنيته بجميع إخوانه وينزل عليه حتى يحصد ويدرس وينقل الزرع والتبن لمحله وهاكذا يكون عمله في كل سنة"⁴.

1- رسالة إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 2 جمادى الثانية 1310هـ/ 21 دجنبر 1892م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 9.

2- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 5 شعبان 1305هـ/ 16 أبريل 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

3- نفس الرسالة.

4- نفس الرسالة.

بعث الوزير محمد بن العربي المختار إلى الحاج محمد بن عمر باسته يخبره بأن السلطان قد أمر خليفة مراكش المولى عثمان بشد عضده باثنين من المخازنية لنقل المحصول المخزني إلى (أجدير)، وكذا توفير الدواب اللازمة لخدمة الأراضي في أكدال والسكر بشيشاوة، إلى جانب خدمة الساقية الباشية ونص الرسالة كالآتي: "فأمر بالكتب لمولانا عثمان الخليفة بشد عضدك على خدمة أكدال وبأن يكون على بال من ساقية الباشية ومن مصرف الحرشة المعد لجنان ابن الحاج وينفذ لك أمين من المخازنية للوقوف على زرع الجرف الأحمر وزرع الصالحية حتى ينقل لأجدير كما كتب مولانا دامت عزته للقائد الحسين بالقيام على ساق الجد في خدمة السكر وبأن لا يتراخي في أمره"¹.

اشتغل سكان قبائل الحوز في أراضي المخزن في بعض الأحيان وفق ما يسمى بالخماسة والرابعة، أي القيام بأعمال الزراعة والحصاد وكذا "تنقية الربيع وتنظيف المصاريف"²، وغير ذلك من الأعمال مقابل الحصول على خمس المحصول، فعلى سبيل المثال قدم جنان الشريفة للرباع بهدف خدمته مقابل حصوله على خمس المحصول من الفول "بعد إزالة ما وجب للرباعة في البحيرة الخمس وفي الفصة نصف الثمن"³.

يتم خدمة الأراضي المخزنية في أحيان أخرى بالشركة، وهو ما وضحته الرسالة التي بعثها الوزير محمد بن العربي المختار إلى الحاج محمد بن عمر باسته يبلغه من خلالها بأوامر السلطان الحسن الأول القاضية بتقديم إحدى الأراضي المخزنية بشيشاوة للخدمة بالشركة، ونص الإشارة كالآتي: "وقد أذن لك مولانا أعزه الله في حرث الذرة وادفع البلاد بالشركة وها الأوامر المولوية تصلك"⁴.

لم يقتصر عمل القبائل على خدمة الأراضي بالحرث والزرع والحصاد فقط، بل شمل أيضا خدمة السواقي، وهو ما أشارت إليه العديد من المراسلات المخزنية، كتلك التي

¹- رسالة من محمد بن العربي المختار إلى الحاج محمد بن عمر باسته، بتاريخ 27 جمادى الأولى 1296هـ/ 18 ماي 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

²- رسالة من السيد عبد الله إلى الخليفة المولى عثمان، بتاريخ 23 ربيع الثاني 1290هـ/ 19 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001-001.

³- نفس الرسالة.

⁴- رسالة من محمد بن العربي المختار إلى الحاج محمد بن عمر باسته، بتاريخ 27 جمادى الأولى 1296هـ/ 18 ماي 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

أشارت إلى تقسيم العمل بين قبائل الحوز لخدمة ساقية تاركة ونص الرسالة كالآتي:
"فأمرنا للوصيف القيام بخدمة ما ينوبه في كنس ساقية تاركة كغيره من الديارة حظهم منها وطلعت الساقية من الوادي عامرة بعد أن جمعت على أكوكها السكان حتى صلحوا واتقنوا خدمته"¹، يتضح أن سكان الحوز خدموا ساقية تاركة وأصلحوا أكوكها وأتقنوا إصلاحه، أما في ما يخص عمليات الحرث والسقي فإن خليفة السلطان في مراکش المولى عثمان كتب للعمال يأمرهم بتوفير ما يلزم لهذه العملية "فوردت أزواجا قليلة من عند المزميزي وقد شرعنا في الحرث بهم بعين دادة ولا زلنا في انتظار أزواجهم وأزواج المزوضي ووزكيتة وشرعنا في الحرث"².

عمل القياد وقبائلهم على كنس العيون التابعة للمخزن "لا يخفى سيدنا أيده الله أني كنت شرعت في كنس مواد العيون الساقية لجنات الجنب العالي بالله التي إلى نظري"³، غير أن ماءها حسب ما أشار إليه العامل عباس لم "يعد مأوها في استيعاب الأملاك المشار إليها وقد بينت قبل لشريف علاك أن نجاح ما ذكر لا يتم بحول الله إلا بجر ما كان يقوي عيونها من السواقي السلطانية والباشية وتبهنّت أو بإحداث سواق جديدة بأعلاها أو حذاءها على حسب نظر العراف زيادة في التقوية"⁴، يتضح أن مياه العيون لم تعد كافية لسقي أراضي المخزن بمجال الحوز وأنها تحتاج لجر المياه من السواقي المخزنية الكبرى كالباشية وتبهنّت للزيادة في منسوب مياهها.

أكد المخزن في بعض الأحيان على القياد ضرورة تسخير القبائل لخدمة السواقي، كما هو الحال حين دعا السلطان الحسن الأول القائد عباس بن داوود إلى التأكيد على قبائل فروقة لخدمة نصيبهم من ساقية تاركة، فكان جواب هذا الأخير كالآتي: "تأمرني فيه أن ازعج فروقة لخدمة ما نابهم في ساقية تاركة على العادة وعليه فالسمع والطاعة"⁵، غير

1- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 12 صفر 1305هـ / 22 أكتوبر 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 7.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السيد عباس إلى السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 5 صفر 1306هـ / 11 أكتوبر 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 8.

4- نفس الرسالة.

5- رسالة من عباس داوود إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 محرم 1305هـ / 10 أكتوبر 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 7.

أن القائد مر على القبيلة قبل وصول رسالة السلطان، فوجد سكانها قد أنجزوا حصتهم من العمل "وقبل هذا عرفني بمضمن ذلك وصيف سيدنا عبد الله بن محمد السوسي المكلف بإصلاحها فمررت القبيلة وأنهوا العمل في منابهم قبل ورود هذا الكتاب"¹.

عمل المخزن في بعض الأحيان على الإنعام على خدامه بحمايتهم والمشتغلين في أراضيهم من تطاول وتجاسر بعض القياد، فقد أنعم السلطان عبد الرحمان بن هشام على عبد المالك الدخيسي بـ " حرث في البلاد التي أنعمت عليه بها عند تكنة والخماميس من إخوانه"² غير أن الخماسين الذين كانوا يشتغلون بأرضه "قد فروا خوفا من المولى علي دخيسه"³، يتضح أن تدخل علي الدخيسي كان وراء هروب الخماسين من الأرض المنعم بها على عبد المالك، وهو ما استوجب تدخل المخزن لحد النزاع والتطاول فقد أمر السلطان "والي دخيسة بالتخلي عنهم وعدم التعرض عليهم وأوص الخديم إبراهيم التكني عليهم وعلى حفظ زرع المذكور وإياك أن تصله يد احدا ويضيع منه شيء"⁴.

يبدو أن أملاك المخزن بحوز مراكش قد تعرضت إلى عدة أضرار، منها الناتجة عن عوامل طبيعية وأخرى بفعل عوامل بشرية، كالضرر الذي أصاب أكدال نتيجة المطر الغزير والبرق والرعد، مما أدى إلى إفساد بعض المزروعات التابعة للمخزن، وهو الأمر الذي أفصحت عنه الرسالة التالية "وقع بنواحي مراكش مطر غزير ورعد وبرق كبير فافسد بعض الأجرانات السعيدة وبعض أشجار أجدال السعيد البران وغير ذلك من زروع القبائل وعليه فأنمرك أن تبحث في تلك الأشجار وما آل الأمر إليها وتعلمنا بالواقع"⁵.

سببت الأمطار ضررا للمحاصيل الزراعية التابعة للمخزن والقبائل على حد سواء، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أن في يوم العشرين من رمضان الفارط وقع بنواحي مراكشة مطر غزير ورعد وبرد كثير فافسد بعض الأجرانات

1- رسالة من عباس داوود إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 محرم 1305هـ / 10 أكتوبر 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:7.

2- رسالة من السلطان عبد الرحمان إلى ابنه المولى محمد، بتاريخ 1 رجب 1263هـ / 14 يونيو 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.

3- نفس الرسالة.

4- نفس الرسالة.

5- رسالة بتاريخ 20 شوال 1310هـ / 07 ماي 1893م، م.و.م. الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

السعيدة وبعض أشجار أجدال السعيد البراني وغير ذلك من زروع القبائل وعليه فأمر ك أن تبحث في تلك الأشجار وما آل الأمر إليها وتعلمنا بالواقع فيها"¹، يتضح من خلال نص الرسالة أن الأمطار الغزيرة بدورها شكلت عائقا أمام التدبير المخزني لأراضيه وهو ما ألحق بها أضرارا كثيرة.

تعرضت أملاك المخزن والغلات التابعة له في بعض الأحيان إلى السرقة من طرف المشتغلين فيها، مثل ما وقع سنة 1310هـ/ 1892م حيث تجرأ ثمان خماسة² من العاملين في إحدى أراضي المخزن بتسلطانت، على سرقة خمسة وخمسين خروبة من الشعير، وهو ما أشارت إليه الرسالة التي وجهها الحاج محمد بن إبراهيم إلى السلطان المولى الحسن الأول "تنهي لكرم علم مولانا الشريف أن الخماسة المقيدون طرته من خماسة أكران مولانا أيده الله الذي إلى نظر المجاطي بتسلطانت الذي أمر مولانا بإبقائهم بمصباح حتى يؤدوا الخمسة والخمسون خروبة من الشعير البتي للجانب العالي بالله مما كانوا نهبوا الأجران المذكور"³. وإذا ما تم الرجوع إلى السنة التي حصل فيها النهب فنجدها سنة جافة، ولعل هذا العامل هو ما دفع بالخماسة إلى مد اليد على مزروعات المخزن.

واجه المخزن عدة مشاكل عند تكفل القبائل بأراضيه، وتعتبر مسألة تراخي القياد وعدم إنجاز الأعمال في وقتها من أهمها، فقد بلغ للسلطان تهاون القائد الأوريكي عن خدمة جنانات المخزن وأن الأراضي "من تملالت إلى خشيشة الشبه شيء بالفيافي"⁴، غير أن جواب القائد جاء مغايرا لما وصل للسلطان، حيث أكد أنه قام بالواجب وحرث أرض المخزن وزرعها في الوقت ولم يتهاون عنها "ويعلم علم سيدنا الشريف فأكران الذي إلى نظرنا أننا قمنا بحرثه في الوقت وفرغنا من حرثه قبل تاريخ المذكور أعلاه وإن اقتضى

1- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القايد محمد ويوة، بتاريخ 20 شوال 1310هـ/ 26 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9. نفس الرسالة بعث بها السلطان إلى عبد الرحمن البوكيلي، بتاريخ 20 شوال 1310هـ/ 26 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

2- وهم: محمد بن العربي بن موسى، الجيلالي بن علال، عمر بن لحميم، إبراهيم بن المعطي، علال بن الحاج محمد، الفاطمي بن العويينة، محمد بن عمر، بن الحبيب.

3- رسالة بتاريخ 7 جمادى الأولى 1310هـ/ 27 نونبر 1892م، م.و.م، الرباط. محفظة مراكش رقم:9.

4- رسالة من محمد بن القرشي الأوريكي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 20 رجب 1310هـ/ 26 فبراير 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

نظر سيدنا الشريف من يشاهد هذا النبت المحروث في الأكرانات فسيعلم منه المحروث في أول الحرث من ضده"¹.

بلغ لعلم السلطان الحسن الأول أيضا تراخي عامل مجاط عن خدمة الأراضي المخزنية بتسلطانت، فنفي هذا الأخير ما اتهم به وأكد خدمته للجنانات المذكورة وحرثها في الوقت المحدد مباشرة بعد تساقط الأمطار وبحضور من كلف المخزن بمعاينة هذه العملية، وهو ما نستشفه من نص الرسالة: "وحاشا معاذ الله ان نتكاسل عن خدمة الله وخدمة سيدنا أو ينالنا تراخ ولا مهلة فما نحن إلا حازمون ضابطون منتبهين من الغفلة عن ما يسوء ظن سيدنا في جانبنا وأما الحرث فقد بدأنا بعد سقوط المطر الأول قبل كل أحد"².

فسد زرع المخزن في كل من السويهلة³ والمنارة بسبب تهاون المكلفين بحصاده ودراسه، فعين المخزن كلا من "مولاي أحمد بن عامر للتوجه مع خديم علاك الحاج محمد بوسته لتقويم ما فسد من زرع الجنب العالي بالله مع الفول بالمنارة والسويهلة"⁴، إلى جانب عدلين وشيخي بصر لتقويم الخسائر.

وإذا كان تهاون العمال قد شكل ضررا للأراضي المخزنية بحوز مراکش، فإن الجفاف وترامي القبائل على مياه المخزن قد ألحق بها ضررا أكبر، فقد بعث السيد أحمد البوكيلي إلى الخليفة المولى الحسن يخبره باحتياج بعض العراصي للخدمة نتيجة جفاف العيون التي كانت تسقى بها، وهو ما يتطلب إرسال عمال للاشتغال بالخطاطير قبل اضمحلالها هي الأخرى، فأجاب الحاجب موسى بن أحمد بما يلي: "وصلنا كتابك معلما بما أخبر به مولاي أحمد البوكيلي من أن المامونية السعيدة وعرصة ابن إدريس محتاجان إلى ترتيب عدد من الخدامين فيهما للتفريس والتعشيب وحرث الأرض والأشجار والتنقية

1- رسالة من محمد بن القرشي الأوريكي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 20 رجب 1310هـ/ 26 فبراير 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:9.

2- رسالة من السيد إبراهيم بن محمد المجاطي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 12 رجب 1310هـ/ 29 يناير 1893م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

3- منطقة تقع على بعد 21 كلم من مدينة مراکش، ذكرت في الرسائل المخزنية منذ عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن على الأقل، وليس كما يذهب إليه البعض بكونها منطقة تعود لفترة الاستعمار أو أنها مستحدثة ولا تاريخ لها إلا إبان الفترة الإستعمارية 1912-1956م.

4- رسالة من الوصيف محمد بن داود إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 4 ربيع الثاني 1302هـ/ 20 يناير 1885م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:7.

وأن العطش قد أضر بهما غاية لتوقف العيون على الخدمة والمبادرة بها لاشفاء الخطاير على الاضمحلال إن لم تتدارك بالخدمة"¹، فأمر السلطان محمد بن عبد الرحمان أن يكون العمل في العراسي والخطاير المذكورة حسب ما يشير إليه "أرباب الطريقة وأما العيون فتخدم من جملة عيون أجدال على يد الوقافين عليها"².

تدخل المخزن لكف أيدي الناس عن الاستفادة من مياه سواقيه حين قل منسوبها "فقد كنا قدمنا لكم أمرنا الشريف بأن ساقية تسلطنت لا يرخص في الحرث عليها إلا في وقت البكر وأما في مثل هذا الإبان الذي يقل فيه الماء فلا وقد بلغنا أن عليها بحاير وعليه فالذي يكون عليه عملكم أن القريبة النفع تعمق والبعيدة تقلع"³، وكان لا بد من تنفيذ الأوامر السلطانية القاضية بأن البحائر القريبة للساقية تسقى نسبيا ولكن البعيدة عن مجالها يجب اقتلاعها لأن ماء الساقية قليل والمخزن نبه إلى ذلك قبل شروع القبائل في عملية الحرث.

كما عمد المخزن إلى تمييز سواقيه عن القبائل عبر إحداث كنانيش خاصة لهذا الغرض، بهدف الرجوع إليها عند الضرورة، وهو ما يستشف من الرسالة التي بعث بها السلطان الحسن الأول إلى أمناء الصائر بالبنيقة المراكشية "وبعد فتصلكم بطيه نسخة من رسم بتعيين السواقي التي تسقى منها أملاك بأزميز وبأولاد مطاع وبتزكين نأمركم أن تقيدوها عندكم بالكناش على القاعدة في مثلها...مراجعتها وقت الحاجة إليها"⁴.

هكذا إذن عرفت عملية تدبير القبائل للأراضي المخزنية فوضى نتيجة عدم وجود ضابط موحد للعمل، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية: "أن اكرانات المخزن الشريف بتسلطانت والمنارة والسويهلة وعين دادة والحوز لا ضابط عند من يقوم بحرثها ودرس

1- رسالة من موسى بن أحمد إلى الخليفة المولى الحسن، بتاريخ 21 ربيع الأول 1287هـ/ 20 يونيو 1870م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 3 رمضان 1297هـ/ 8 غشت 1880م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

4- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أمناء الصائر بالبنيقة المراكشية، بتاريخ 20 ذو الحجة 1290هـ/ 7 فبراير 1874م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001.

زعرها وحصاده"¹، مع العلم أن التنظيم القديم كان يفرض على كل قبيلة خدمة جنان معين، إلا أن تدخل المحتسب عبد الرحمن البوكيلي الذي "أكثر من الخوض في ذلك وكلف القبائل في كل موضع من المواضع التي وقف عليها فميز لكل منهم حظه ولم يقتصر على الضابط المذكور من كون كل قبيلة تقوم بأكران وحدها على العادة فاختلفت على القبائل ذلك وبقوا حيارى"². يتضح أن القبائل لم تعرف طريقة العمل في أراضي المخزن، لما تتالت عليها الأوامر من الباشا أحمد أمالك ثم من عبد الرحمان البوكيلي، ما دفع خليفة مراكش المولى عثمان لما توالى عليه الشكايات والمراسلات من القبائل إلى مراسلة السلطان ليبيّن له طرق العمل في الأراضي المخزنية.

¹- رسالة من الخليفة عثمان بمراكش إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 4 ذو الحجة 1304هـ / 23 غشت 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:7.
²- نفس الرسالة.

II. دور الإنعامات المائية المخزنية في ولاء بعض القبائل.

شكلت الإنعامات المخزنية المائية أحد أوجه تدبير المخزن للمجال، وقد اختص السلطان بهذه الإنعامات يوزعها حسب إرادته وما ظهر له وهي عادة يحظى بها خدام المخزن والقبائل التابعة له على حد سواء "جريا لعادة مولانا الكريمة مع خاصة خدمة عتبه الشريفه"¹، وفيما يلي جرد بأهم الإنعامات المائية التي همت مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

1- الإنعامات المائية على رجال المخزن:

شملت الإنعامات المائية أقرباء السلاطين، فقد أنعم السلطان عبد الرحمان بن هشام على ابنه مولاي علي "بمصرف الناصري ومصرف الغويرق الخارجين من ساقية تمزكلفت وبسطنا له يد التصرف في البلادات التي تسقى منهما إنعاما تاما"²، بعد أن نزعه من زاوية تامصلوحت.

أنعم السلطان عبد الرحمان بن هشام على السيد العربي بن المقدم الأودي سنة 1834م بعريضة يستغلها إبان خدمته للمخزن، فوجه السلطان رسالة للسيد عبد السلام السلوي يأمره فيها بأن: "يدفع للعربي بن المقدم الأودي عريضة من عراصي تكون تحت يده ويتصرف فيها بالاستغلال والسلام"³.

منح السلطان الحسن الأول لبعض خدامه في منطقة أغواطيم قطعا أرضية مع ما ارتبط بها من ماء، فقد كان المخزن يملك بهذا المجال حوالي ثمان فرديات واثنين وثلاثين مصرفا من ماء الساقية بالمنطقة، أنعم منها المخزن على "الأمين الصبان بظهير شريف يتضمن اختصاصه بفردية واحدة كما ورد مولاي أحمد السويدي بتنفيذ فردية له أخرى من الماء المذكور فلباقى ست فردية وورد الآن ولد مولاي أحمد عامر بظهير شريف

1- رسالة من عبد الله إلى السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 12 ذو القعدة 1310هـ / 27 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 9.

2- ظهير السلطان عبد الرحمان بن هشام خصه لابنه مولاي علي، بتاريخ 8 رمضان 1262هـ / 29 غشت 1846م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

3- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى السيد عبد السلام السلوي بتاريخ 22 رمضان 1249هـ / 1 فبراير 1834م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-006-002.

أسماء الله يتضمن تنفيذ له نصف فردية فيكون الباقي خمسة ونصف"¹، يتضح أن الحصص المائية المتبقية للمخزن هي خمس فرديات ونصف بعد إنعامه بحوالي فرديتين ونصف، فطلب الباشا أحمد أمالك من السلطان أن يبين له كيفية تدبير الحصص المائية المخزنية حتى يعلم كل واحد نصيبه ويقف عند حده، كما جاء في نهاية الرسالة "ويجلس كل واحد عند حده ويعلم ما نفذ له"².

وإذا غفل المخزن عن الإنعام على بعض خدامه، فإنهم كانوا أحياناً يطلبون الإنعام عليهم بحصص مائية، فمثلاً طلب السيد عبد الله من السلطان الحسن الأول الإنعام عليه بنوبة مياه من عين تضاعت التي كان يتصرف فيها القائد المتوفي محمد بودلاحة، ونص الطلب كالآتي: " وأن من جملة نعم مولانا التي عمتنا وفضله الذي به الله أكرمنا ملك نوبيات من الماء لعين تضاعت في شركة خديم مولانا القائد محمد بن الطيب بودلاحة رحمه الله كان له بها نوبة ونصف وثمن ونصف ونصف فلما صار إلى عفو الله جعل الله البركة في عمر سيدنا وأطاله صارت ملكاً لمولانا أيده الله فطمع الخديم الآن في جود مولانا... أن ينعم عليه باستغلالها والتمتع بما يعود من نفعها"³.

تجدد طلب الإنعامات المائية سنة 1893م، فبعد وفاة القائد أحمد بن عامر الذي كان يتصرف بحرث زوجتين مع ما ارتبط بهما من ماء من ساقية تمزكلفت، طلب ابنه الغالي من السلطان الحسن الأول الإنعام عليه بها "اطلب من سيدي أن ينعم بها عليّ لأنني لا ملجأ الي ولا أقصد أحد سوى مولانا وخيره كثير"⁴، خاصة وأن السلطان سبق له أن أنعم على أخيه الطاهر بالتصرف في حرث "زوجتين بأغاطيم"⁵، وأرفق طلبه بنسخة من ظهير الإنعام الذي استفاد منه والده، ويتضح أن الغالي المذكور لم يتوصل بأي جواب فأعاد

1- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رمضان 1300هـ/ 28 يوليو 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من عبد الله إلى السلطان المولى الحسن الأول، بتاريخ 12 ذو القعدة 1310هـ/ 27 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

4- رسالة من الغالي بن أحمد بن عامر أحد أمناء الهري السعيد بمراكش إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 18 شوال 1310هـ/ 4 ماي 1893م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

5- نفس الرسالة.

مراسلة السلطان من جديد بعد مرور حوالي شهرين من الرسالة الأولى، بين من خلالها انتظاره لجواب السلطان "اني لا زالت ارتقب ما يقع به مولانا"¹.

طلب محمد بن داود بدوره من السلطان الحسن الأول الإنعام عليه بحصة مائية من ساقية الجديدة التابعة لآيت إيمور، بهدف سقي مزروعاته التابعة لساقية تمزكلفت نتيجة انقطاع مياهها، فأجاب السلطان بما يلي: " فقد وصل كتاب استنعامك بالمحتاج إليه من الساقية الجديدة ماء لسقي مزروعك بتمزكلفت لدى انقطاع ما بها درءا للضرر الداخل من أجله فها كتابنا الشريف بذلك لعمال آيت يمور"²، وافق السلطان على طلب القائد المذكور وأنعم عليه بما طلب من مياه الساقية الجديدة وكتب لعماله في آيت إيمور بالتنفيذ.

لجأ المخزن في بعض الأحيان إلى استبدال إنعامات خدامه بأخرى في مناطق جديدة، فعلى سبيل الذكر عوض السلطان الحسن الأول الطالب سعيد بن أحمد بفردية ماء من ساقية تملالت عوض الفردية التي كان يستغلها بتاركة، والتي أنعم بها السلطان على الباشا أحمد أمالك، وفيما يلي نص الإنعام: "فناأمرك أن تحوز الفردية التي بيد وصيفنا الطالب سعيد بن أحمد بتاركة فقد عوضناها له بغيرها بتملالت"³، يتضح من خلال الرسالة أنه لم يتم ذكر سبب هذا التغيير هل بسبب نقل الطالب سعيد المذكور إلى منطقة تملالت أم لسبب آخر.

أحيانا أنعم المخزن على خدامه بحصص مائية بمجال بعيد عنهم، كما هو الشأن بالنسبة للفقير السيد محمد المزطاري الذي كان بسوس واستفاد من فردية ماء بساقية تمزكلفت: "وبعد فسخرة المكاتب الواردة لقواد أهل سوس كافة على يدك بإنعام سيدنا

1- رسالة من الغالي بن أحمد بن عامر أحد أمناء المرس السعيد بمراكش إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 14 ذو الحجة 1310هـ/ 28 يونيو 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بن داود، بتاريخ 25 صفر 1301هـ/ 25 دجنبر 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:5.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 4 جمادى الثانية 1301هـ/ 31 مارس 1884م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

عليهم بفردية الماء من ساقية تمزكلفت منفذة للفقير الكاتب السيد محمد المزطاري"¹، وهذا يذكرنا بإنعام السلطان على الزاوية الناصرية².

كان يحوز بعض رجال المخزن أحيانا الإنعامات المائية التي كان يتصرف فيها قياد قبلهم بدعوى أنهم متمتعين كذلك بظواهر شريفة، كما هو الشأن بالنسبة للقائد مبارك بن الشليح "الان من مدة الذي نزع بن الشليح من القصب فترك فرديتان المخزن وحاز فردية من الساقية المذكورة فسار يحرث عليها لنفسه أنه قال عنده امر المولاي"³، يتضح أن القائد المذكور حاز فردية من الماء وتصرف فيها دون سند يسمح له بذلك، وهو ما دفع بالقائدين محمد بن الجيلالي السريغيني والحاج أحمد بن درسه المجاطي إلى الاستفسار حول صحة الظواهر التي ادعى التمتع بها، وهكذا يتضح أن الإنعامات المائية كانت تنتقل بأمر مخزني من قائد إلى آخر فور وفاته أو إعفائه من مهامه، أو يتم التراخي عليها من طرف قياد آخرين بالمنطقة.

كما سبقت الإشارة فإن الإنعامات المائية المخزنية تبقى بيد المخزن يتصرف فيها كيف شاء، وينعم بها على من أراد، غير أن خدامه كانوا يتصرفون في هذه الإنعامات بعد وفاة أصحابها أو انتقالهم، وهو ما دفع المخزن إلى مساءلة خدامه أحيانا حول مصير بعض الإنعامات ومن يتصرف فيها بعد المستفيدين الأصليين منها، وهو ما أبرزته رسالة بعث بها السلطان الحسن الأول إلى محمد بن الجيلالي السريغيني والحاج أحمد بن درسه المجاطي، بهدف إحصاء أراضي ومياه المخزن بالسراغنة ومجاط، فكان جواب هذين القائدين كالآتي: "الفرديتان من الماء اللتان كانتا بيد الوصيف أحمد امالك من ساقية تمزكلفت فأمرنا سيدنا نبينوا له بيد من هما ماء وأرضا وكذلك قرر ما كان بيد الهاشم كاتبه وما كان بيد القايد إبراهيم الاجراوي وعند من هو ارضا وماء أيضا في ذلك"⁴، وقد امتثل القائدان للأمر السلطاني، وبينوا مآل جميع الحصص المائية كالآتي: "وأما الفرديتان اللتان كانتا بيد أحمد

1- رسالة من محمد بن العربي بن المختار إلى الباشا أحمد أملاك، بتاريخ 8 شوال 1296هـ/ 24 شتنبر 1879م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

2- انظر الباب الثاني.

3- رسالة من محمد بن الجيلالي السريغيني والحاج أحمد بن درسه المجاطي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 30 شوال 1306هـ/ 29 يونيو 1889م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.

4- نفس الرسالة.

مالك اعلم سيدي هما الذي باقيين بيد المخزن بأرضهم وعليهما الذي حدث سيدنا بالخشيش والمجون وبهما اكرانات سيدنا السعيدة وأما ما كان بيد القايد إبراهيم الأجرابي هما الآن باقيين بيد المخزن وحازاهما أحمد امالك من يد القايد إبراهيم الأجرابي من حيث توفي"¹، يتضح أن الحصص المائية التي بتمزكلفت رجعت لملكية المخزن، وكذلك ما كان يتصرف فيه القائد إبراهيم الأجرابي، إذ تمت حيازته بعد وفاته من طرف أحمد أمالك وإرجاعه للمخزن.

2- الإنعامات المائية على القبائل:

دأب المخزن على الإنعام القبائل كشكل من أشكال تدبير المجال، إلى جانب ضمان استمرار ولائها له، وفي أحيان أخرى كمكافأة على خدماتها، فقد أنعم المخزن على بعض الفئات القبلية بحصص مائية، كما هو الحال حين أنعم على الفقيه محمد بن الصديق "بستة أزواج من الحرث بأزغار العامل كلياً بحيث تبقى الأرض المذكورة تحت يده يحرثها في كل سنة ولا ينازعه أحد فيها"²، يتضح أن هذا الإنعام شبه دائم، فقد أكد السلطان المولى سليمان على اختصاص الفقيه المذكور بحرثها في كل سنة.

جدد السلطان الحسن الأول إنعامه على قبيلة الرحامنة بالاستفادة من الأراضي والمياه المتواجدة في كل من "كأغاطيم وسعادة وعين دادة وتبهنيت ونواحي تنسيفت وما يليها من جهة الويدان حوز ابن ساسي"³، كما جدد سنة 1873م ما أنعم به والده السلطان محمد بن عبد الرحمان على الرحامنة من اقتسام بلاد أولاد الدليم، وفيما يلي نص الأمر: "أولاد الدليم التي كان أنعم بها مولانا المقدس بالله على الرحامنة واقتسموها بينهم"⁴.

1- رسالة من محمد بن الجيلالي السريغيني والحاج أحمد بن درسه المجاطي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 30 شوال 1306هـ/ 29 يونيو 1889م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

2- رسالة من السلطان المولى سليمان إلى الفقيه سيد محمد بن الصديق، بتاريخ 4 شوال 1221هـ/ 14 دجنبر 1806م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A14-004.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أخيه وخليفته بمراكش مولاي عثمان، بتاريخ 6 محرم 1298هـ/ 9 دجنبر 1880م، م.و.م، الوثائق، المجموعة الحادي عشر، م.س، ص. 275-277.

4- أمر السلطان الحسن الأول إلى أخيه المولى عثمان، بتاريخ 19 رمضان 1290هـ/ 9 نونبر 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة رمز: TH-54.

أصدر السلطان عبد الرحمان بن هشام ظهيرا سنة 1851م ينعم فيه على كل من الأودايا وآيت إيمور في تانسيفت بأراضي رفقة ما يرتبط بها من ماء، ففي ما يخص قبيلة الأودايا فقد جاء هذا الإنعام في إطار نقل القبيلة من أحواز فاس الجديد إلى حوز مدينة مراكش وبالضبط بزاوية الشراذي وما ولاها خلف ضفة واد نفيس "وتعويض أملاكهم المتنقلين عنها بتعويض كافة البلاد المذكورة المتنقلين إليها مع ما اشتملت عليه من جميع العيون وراء الوادي وأمامه... تعويضا وتمليكا تامين شاملين مطلقين عامين يتصرفون فيها بجميع أنواع التصرف من حرث وغرس"¹، أما الظهير الذي خصه نفس السلطان لقبيلة آيت إيمور، فيهمّ منح الأرض واستغلالها دون تملكها سنة 1845م، ونص الظهير كالآتي: "يعلم من كتابنا هذا أسماء الله... أننا عوضنا بحول الله وقوته لقبيلة آيت إيمور... أبحنا لهم التصرف فيها بمنافعها وكافة حقوقها من غير ما ينقص أسباب الملكية"².

أنعم السلطان على الحاج قدور العلي بنوبة مياه من ساقية أسكجور، وشبه السلطان هذه النوبة بتلك المنعم بها على قائد المائة، فجاء جواب أحمد أمالك معلما السلطان بالامتثال لأمره ومنبها كذلك إلى أن قياد المائة بحوز مراكش لم يستفيدوا من أي إنعام مائي، "علمت ما تضمنه أمر سيدي إياي تنفيذ ماء من ساقية أسكجور للحاج قدور العلي مثل ما هو منفذ القايد الماية ليحرث عليه فامتثلت سيدي الأمر الشريف إلا أن قواد الماية لا ماء منفذ لهم"³.

أحيانا أخرى طلبت القبائل من السلطان الإنعام عليها ببعض الحصص المائية، كما هو الحال حين طلبت قبيلة آيت إيمور من السلطان عبد الرحمان بن هشام الإنعام عليها بحصص مائية من ساقية تمزكلفت، وهو ما أشارت إليه الرسالة التالية: "وإخواننا خدام

1- ظهير السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 6 ربيع الأول 1268هـ / 30 دجنبر 1851م، أورده: PASCON, P, T2, op.cit. P.144.

2- ظهير السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 11 شوال 1261هـ / 13 أكتوبر 1845م: ibid. P.141.

3- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 13 شوال 1301هـ / 5 غشت 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 6.

سيدنا ايت يمور طلبوا نكاتب لسيدنا... يجد عليهم بالنصف بتمزكلفت أو الذي كان جاد به سيدنا عليهم¹.

أنعم السلطان محمد بن عبد الرحمان في بعض الأحيان بالأموال، كما هو الشأن بالنسبة لجيش المغافرة، حيث أمر السلطان أمناء مراکش أن "تدفعوا لكل فارس من أخواننا المغافرة عشرة مثاقيل ولكل راجل نصفها ولكل مقدم خمسة عشر مثقالا ولكل قائد مائة عشرين مثقالا ولقائدهم الحاج أحمد الطاهر مائة مثقال مفردة"².

3- الصراع على الإنعامات المائية:

يجب التمييز بين نوعين من المنازعات المائية: الأول حول الإنعامات المخزنية، والثاني تهم الصراعات الأخرى بين القبائل حول الحصص المائية، ذلك أن الصراع على الإنعام المائي لا يحتدم بالشكل الذي يكون عليه الأمر في النوع الثاني، ويحسم فيه المخزن لأنه في نهاية المطاف المالك الحقيقي لهذه الحصص المائية يتصرف فيها كيف شاء، ولهذا السبب تم إدراج هذا المحور ضمن الفصل الثاني.

من الطبيعي أن تخلق الإنعامات المائية صراعا بين رجال المخزن، خاصة إذا توفي أحدهم أو انتقل عن المجال، فبعد أن أنعم السلطان على ولد القائد أحمد الحسن وإخوانه، تعرض لهم القائد المحجوب وأمرهم برفع اليد عن المياه، لأنه لا يحق لهم سوى أربعة مصاريف من ساقية تمزكلفت، ونص الرسالة كالآتي: "وعلام سيدنا بأن الفرديتين من الماء الذي جاد سيدنا بها على ولد القايد أحمد الحسن وإخوانه بعد ما حزنهم خرج لنا المحجوب بطاقة زعم أنها من عند الفاقه بن إدريس رحمه الله يذكر لنا أننا نرفعوا عليها اليد ونتخلوا عنها وقال ما نرفع لكم منها سوى أربعة مصاريف يفرقها لنا على القايد"³، وهو ما سيضر دون شك بزرع ولد القائد أحمد وإخوته، ما دفعهم إلى رفع شكواهم إلى

1- رسالة من عبد الله بن عبد الفاضل إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 صفر 1264هـ/ 3 فبراير 1848م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 1.

2- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى أمناء مراکش، بتاريخ 3 ربيع الثاني 1276هـ/ 30 أكتوبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-001.

3- رسالة من عبد الله بن عبد الفاضل إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 صفر 1264هـ/ 3 فبراير 1848م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 1.

السلطان عبد الرحمان بن هشام في انتظار جوابه "وبقينا على ما نحن عليه حتى يأتينا خبر سيدنا بما يكون عليه العمل"¹، كما بينوا له كيفية العمل في الساقية، وكيف أن السيد المحبوب المذكور متوسع في البلاد ومياه الساقية بقوله: "وأما ساقية تمزكلفت فوالله وجدك رسول الله الا نحو الثلث باق بأيدهم يلحقه بالحرث من توسيعه في البلاد والقبائل كلها تحرث معه...حتى ينظر هل هو متوسع أكثر من ما ذكرناه ونحن ضائقين ونظر سيدنا أوسع"².

خلفت الإنعامات المائية المخزنية عدة صراعات بين مختلف المستفيدين منها الذين حاولوا الاستبداد بمياه السواقي، وذلك حسب ما ورد في بعض الرسائل التي تناولت عدة شكايات، فقد بعث السلطان الحسن الأول رسالة إلى باشا مراكش الحاج أحمد أمالك يستفسره عن سبب منعه أصحاب مولاي رشيد من "نوبة الماء المنعم بها عليه من ساقية تاركة والزيتون الذي له في وسط بلاده بالسويقية"³، كما أشارت رسالة أخرى إلى استفادة بعض رجال المخزن بفرديات مائية من سواقي تمزكلفت وتاركة، فأدت قلة الماء بها إلى نشوب عدة نزاعات "الماء الآن كما ترى لا ماء في السواقي إلا ما هو في الباشية"⁴، ومرد ذلك حسب الباشا أحمد أمالك هو أن المنعم عليهم استفادوا من فرديات عوض مصاريف، ولحسم النزاع يجب "بتنفيذ المصاريف لا الفردية لكون الفردية فيها أربع مصاريف كما يبين لنا سيدي ما يقتصر على حرث جانبه الشريف من الماء المذكور وما ينفذ لكل من في الزمام"⁵، يتضح أن الباشا نصح السلطان بالإنعام بمصاريف عوض الفردية، حتى يتم حسم النزاع خاصة مع قلة منسوب مياه السواقي.

شمل النزاع جميع المستفيدين من الإنعامات المائية بمن فيهم مقدم الزاوية المصلوحية مولاي الحاج، الذي ورد على باشا مراكش أحمد أمالك يطالبه بالاستفادة من فرديتين من

1- رسالة من عبد الله بن عبد الفاضل إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 صفر 1261هـ/ 7 مارس 1845م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 24 ربيع الثاني 1301هـ/ 21 فبراير 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:5.

4- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رمضان 1300هـ/ 28 يوليوز 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

5- نفس الرسالة.

الماء ليلة الأحد ويومها حسب ظهير إنعام قديم يرجع إلى المولى إسماعيل، غير أن الباشا لم يستجب لطلبه، فقد تبين "أن هاتين الفرديتين ما قط تصرف فيهما هو ولا والده منذ خلفا للأن وما قط نسبتا لهما بوجه ولا مجال"¹، مع العلم أن مجموع الفرديات المخزنية التي تدور عليهم الساقية الموجودة بمنطقة أغواطيم ثمانية: "وهم الذين كانوا بيد الرحامنة وأربعة لقبيلة سكتانة واثنان لقبيلة غيغاية وهذا هو دور الساقية عن ثمانية أيام ولمولانا النظر في ذلك"²، يتضح أن الباشا ينتظر جواب السلطان للحسم في طلب مقدم الزاوية المصلوحية، خاصة وأن فرديات المخزن الثمانية من هذه الساقية موزعة على الرحامنة، سكتانة وغيغاية ولا مجال لإضافة مستفيد آخر، كما تجدر الإشارة إلى أن المخزن امتلك أكثر من نصف مياه الساقية إذا ما علمنا أن مجموع الفرديات بها حوالي أربعة عشر، فتدخل السلطان وأمر بتعيين "ثمانية من الفلاحة الذين لهم الخبرة بالسواقي والمياه اثنين منهم من زمران واثنين من السراغنة وأربعة من الديارة مع خديم سيدنا الحاج تهامي بوسنة بقصد الوقوف على ذلك حتى يقدروا ماء الساقية المذكورة بالفرديات والمصاريف وبينوا كم يجيب في كل فردية من المصاريف وكم تسقى الفردية"³، اعتمد المخزن على أصحاب المعرفة وشيوخ القبائل إلى جانب القائد بوسنة لتحديد نصاب جميع المستفيدين من مياه أغواطيم، وبيان عدد المصارف والفرديات نظرا للطلب المتزايد على الماء.

ترامت بعض القبائل على الإنعامات المائية المنفذة لبعض خدام المخزن، وهو الأمر الذي حدث للسيد سليمان بن قدور لما ترامت آيت إيمور على حصته المائية، ونص الرسالة كالآتي: "فإن السيد سليمان بن قدور تشكى على جانبنا العالي بالله بأن آيت إيمور مدّوا أيديهم في ماء الساقية المنفذة له"⁴، تدخل السلطان الحسن الأول لحسم مادة النزاع عبر

1- رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رمضان 1300هـ/ 28 يوليوز 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

2- نفس الرسالة. وتجدر الإشارة إلى أن الفرديات التي استفادت منها قبيلة الرحامنة قد تمت مصادرتها فيما بعد من طرف المخزن الذي عمل على ترحيل القبيلة نظرا لتمردها المتكررة.

3- رسالة من الوصيف أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 5 ذو الحجة 1300هـ/ 6 أكتوبر 1883م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

4- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى الخليفة أخيه مولاي عثمان، بتاريخ 4 صفر 1294هـ/ 17 فبراير 1877م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

تغريم آيت إيمور الخسائر وزجرها عن تكرار ذلك "فنامرك أن تكلفهم بغرم ما تراموا عليه وتوعدهم على العود إلى ذلك ولا بد"¹.

وفي أحيان أخرى تنازع أبناء القبيلة الواحدة حول اقتسام الإنعامات المائية المخزنية، كما هو الشأن بالنسبة لقبائل الرحامنة سنة 1290هـ/ 1873م التي اختلفت حول تقسيم بلاد أولاد الدليم التي أنعم بها السلطان عليهم "فبلاد أولاد الدليم التي كان أنعم بها مولانا المقدس بالله على الرحامنة واقتسموها بينهم أمّا قسم أولاد سلامة فهو مسلم عندهم وأما قسم أولاد بوبكر والبرابيش وسلام الغرابة وسلام الاعراب فوقع عليه التنازع بينهم"²، فتدخل السلطان الحسن الأول لفض النزاع عبر تعيين "أناسا عارفين بقسم البلاد يخرجون لها مع العدول وأمر خليف الرحامنة هناك بأن يعينوا منهم أناسا عقلاء من ذوي المروءة يخرجون معهم للوقوف على قسمها وكذلك خليفة القائد العربي ابن الشرقي يعين من أولاد سلامة من يقف معهم على تمييز أقسامهم وأمرهم بالوقوف في ذلك حتى يعينوا لكل فريق من الفرق الأربعة نصيبه فيها ووجه لنا نسخة من الرسم الذي قسموا به ذلك"³.

وقع النزاع حول الإنعامات المائية المخزنية وطرق استغلالها وتدبيرها، فقد كان المستفيدون منها يستغلونها عن طريق الرباعة أو الخماسة أو عن طريق الشركة، وهو ما كان يخلق عدة مشاكل عند عدم التزام أحد الأطراف، فيتم رفع الشكوى للسلطان كما حدث سنة 1297هـ/ 1880م فجاء جواب السلطان كالتالي: "فقد كتب بلخير وصيف دارنا المحروسة بعناية الله أن نصف الفردية من ساقية أسكجور المنعم بها عليه كان دفعها للقائد عبد الله بن عمر السوسي على وجه الشركة وكان يدفع له ما تيسر وهذه مدة من خمسة أعوام لم يدفع له شيئا وأنه اشتكى عليه بذلك فلم يحصل على طائل وعليه فنامرك أن تلزم عبد الله المذكور أداء ما ترتب له عليه من كرايها"⁴.

1- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى الخليفة أخيه مولاي عثمان، بتاريخ 4 صفر 1294هـ/ 17 فبراير 1877م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

2- أمر السلطان الحسن الأول إلى أخيه المولى عثمان، بتاريخ 19 رمضان 1290هـ/ 9 نونبر 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة رمز: TH-54.

3- نفس الرسالة.

4- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 22 ربيع الثاني 1297هـ/ 2 أبريل 1880م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:4.

الفصل الثالث: نزاع القبائل حول الماء والتدخل المخزني:

غالباً ما تحدث الصراعات إبان فترات الجفاف وما تلاها من مجاعات وأوبئة. فهل ينطبق هذا الأمر على قبائل الحوز؟

بالرجوع إلى معظم الصراعات التي تم الوقوف عندها نجد أن جل هذه المنازعات ذات ارتباط وثيق بالماء والأرض¹، فقد شكلت منطقة الحوز مسرحاً للنزاعات بين القبائل والجماعات حول حيازة الأراضي والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من مياه السقي، وقد عمل المخزن على تدبير المنازعات المائية عبر إرسال أوامر لعمال القبائل المتنازعة لفض النزاع أو التدخل المباشر عن طريق الخروج في حركات، وفي أحيان أخرى استعان بأرباب المعرفة والبصر، وهذه الأخيرة هي الوسيلة الأكثر استعمالاً في مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، فقد أصدر الحسن الأول ظهيراً إلى جميع عماله وخدامه بالحوز يعلن فيه حسب ما خلص إليه أرباب البصر ما يلي: "أمضينا بحول الله وقوته وشامل يمينه ومنته ما تضمنته شهادة أرباب المعرفة أسفله من كون من له ماء من ساقية أو عين يتصرف فيه كيف شاء ويحرث عليه في أي محل أراد ولا يحجر عليه في الانتفاع به في محل دون آخر وذلك الذي يقتضيه بثبوت الملك وتماص التصرف امضاء تاماً شاملاً عاماً"². فما أبرز المنازعات المائية التي شهدتها مجال الحوز خلال القرن التاسع عشر؟ وكيف تدخل المخزن لحسمها؟

1. الصراعات المائية القبلية بمجال حوز مراكش

- نزاع قبيلة مسفيوة:

وقع نزاع بين قبيلة مسفيوة والمرابطين التكليمين النازلين بفم واد الزات بسبب ترامي القبيلة المذكورة على ما نفذ لهم من إنعامات منذ عهد المولى إسماعيل، وهو ما وضحته الرسالة التالية: "وبعد مجاملة المرابطين التكليمين النازلين بفم وادي الزات من بلاد

1- شكلت الأرض السبب الأساسي للاستقرار بل وبداية تأسيس الدول كما هو الحال حين اجتاحت القبائل المرينية للأراضي مستغلين ضعف الموحدين ذلك "أن الغزاة الجدد قد سلكوا مسلك السلب والنهب ولم يراعوا في الأهالي إلا ولا ذمة. الأرض كانت همهم الأول". انظر: القبلي محمد، المجتمع والحكم والدين بالمغرب نهاية العصر الوسيط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2017. ص 16.

2- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى خدامه وعماله، بتاريخ 17 رجب الفرد 1300هـ/ 23 ماي 1883م. وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

مسفوية وبيدهم ظهائر أسلافنا الكرام قدسهم الله جدنا مولاي اسماعيل فمن دونه بإقرارهم على التصرف فيما بأيديهم من بلاد وماء مع الأمر بتوقييرهم واحترامهم وإخراجهم من جملة العامة في التكاليف والوظائف"¹، يتضح من خلال هذه الرسالة أن المرابطين استفادوا من إعفاء ضريبي إلى جانب استفادتهم من الإنعامات المائية مع ما ارتبط بها من أراضى، غير أن قبيلة مسفوية "نازعوهم في ذلك فلا بد كفهم عنهم وأجرهم على الحالة التي عهدوها بحيث لا تخرق عليهم عادة ولا يحدث في أمرهم نقص ولا زيادة"²، تدخل المخزن لكف أيدي مسفوية عن المرابطين المذكورين.

- صراع قبائل أوريقة:

نشأ صراع بين فرقتين من قبائل أوريقة سنة 1847م وهي سنة جافة، الأولى صالحة والثانية فاسدة استعانت بقبيلة مسفوية، فوصل الخبر إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام وكتب ما يلي: "وَمَرَّ عَامِلٌ مَسْفِيوَةً بِتَوَجِيهِهِ مِنْ يَكْفِ قَبِيلَتِهِ عَنْ مَعُونَةِ الْفَاسِدِينَ بِتَأْكِيدٍ وَعَزْمٍ كَمَا يَصْلُكَ كِتَابُ وَجْهِهِ قَائِدُ الْمَائَةِ الَّذِي تَوَجَّهَ لَشَدِّ عَضْدِ خَلِيفَةِ ابْنِ الْمَزْوَارِ وَمَعُونَتِهِ عَلَى دِفَاعِ الْفَاسِدِينَ"³، نلاحظ أن السلطان تدخل لفض النزاع عبر أمر عامل مسفوية بالتوجه إلى أوريقة وكف أيدي قبيلته عن مساعدة المفسدين، إلى جانب قائد المائة وخليفة ابن المزوار لحسم مادة النزاع.

- صراع أهل نفيس:

عملت قبيلة أمزميز -باعتبارها قبيلة موالية للمخزن، كما اتضح ذلك في العديد من المراسلات المخزنية خاصة فترة القائدين عمر المزميزي ومحمد بن أحمد المزميزي- على التدخل في بعض النزاعات لصالح المخزن وتأديب القبائل المتمردة على سلطته أو الفساد

1- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى ابنه المولى محمد، بتاريخ 14 ربيع الأول 1262هـ/ 11 مارس 1846م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى ابنه محمد، بتاريخ 8 شوال 1263هـ/ 19 شتنبر 1847م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

كما سماهم المخزن¹، وهو ما حدث سنة 1823م حيث قامت أمزميز بتأديب أهل نفيس "وصلنا كتابك أخبرتم فيه أنكم رجعت للفساد أهل وادي النفيس يوم الأحد وقتلتهم وهزمتهم هزيمة شديدة حملتهم على الهروب من بلادهم فهزمتهم دستورهم وأحرقتم ما يحرق منها"²، يتضح أن تدخل قبيلة أمزميز القوي دفع المتمردين على المخزن إلى الهروب والرحيل عن منطقة نفيس، كما نتج عن هذا التدخل سقوط ضحايا من كلا الطرفين أهل نفيس وأمزميز، وهو ما أشارت إليه الرسالة "وعرفنا من مات من الفساد ومنكم جعل الله البركة فيكم"³.

- صراع قبائل آيت إيمور:

كتب الحاج أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول يخبره بترامي قبيلة آيت إيمور على مياه أكوك ساقيتي تمزكلت وسعادة حسب ما أخبر به خليفة الحوز وأزال السواقي الحاج أحمد بن درسة، ذلك أن قبيلة آيت إيمور "أفسدوا الساقيتين معا مع وجود سيدنا أيده الله وهذا الفساد لم يريده الرجوع عنه فاحببت طالع علم سيدنا أيده الله بذلك ليصدر أمره الشريف لعاملهم بالقبض عنهم وتوجيههم لدى الحضرة الشريفة"⁴.

- صراع قبائل السراغنة:

نهبت السراغنة سنة 1263هـ/1847م مزروعات فلاحي فتواكة وولتانة الذين حرثوا في أراضيها بدعوى خرص مزروعاتهم تنفيذا لأوامر عاملهم السيد أحمد بن القيد،

1- عملت قبيلة أمزميز على مساعدة المخزن في القضاء على الفاسدين والمتمردين على سلطته، والسعي إلى تأديبهم والقبض عليهم، وهو ما وضحته الرسالة التالية: "وبعد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه والمفسدون الذين ذكرت إن وجدت سبيلا للقبض عليهم فافعل وإن احتجت إلى طرف من جيشنا بينه لنمدك به واحسم مادة الفساد قبل أن يكبر والسلام". رسالة من السلطان إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 26 ذو القعدة 1250هـ/ 25 مارس 1835م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-007-001.

2- رسالة من الأمير محمد إلى القائد عمر المزميزي، بتاريخ 29 محرم 1239هـ/ 4 أكتوبر 1823م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-001.

3- نفس الرسالة.

4- رسالة من أحمد أمالك إلى السيد علي المسفيوي، بتاريخ 1 ربيع الثاني 1314هـ/ 8 شتنبر 1896م، م.و.م، الرباط، محفظة الرحامنة رمز: TH-54.

بعد أن كان الفلاحون المذكورون يؤدون ضرائبهم وعشورهم في قبائلهم الأصلية، "وفعلوا بهم ذلك وتركوا لهم بعد أن حصده وجمعه وجعلوا كل يوم ينهبونهم لهم"¹

- صراع قبائل الرحامنة:

تعد الرحامنة من القبائل التي تأرجحت علاقتها بالمخزن بين الولاء والتمرد، إلا أن التمرد هو الطاغى على علاقتها به خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهو ما أشارت إليه العديد من المراسلات المخزنية.

جمع المخزن قبائل الحوز سنة 1862م بهدف القضاء على فساد الرحامنة الذين قطعوا الطرق "وأكلوا أموالهم ولم يراقبوا الله تعالى فيهم وحاصروا على بلاد المسلمين واضروا بهم ومنع الرفاق من إدخال الأقوات إليهم ظلما منهم وعنادا أفيعل هذا مسلم يخشى الله؟"²، فراسل السلطان كلا من "بني عامر والحوافصة وأولاد الشرقي وأولاد صالح وأولاد وكادة، وبعد فبوصول هذا اليكم قوموا على ساق الجد في جمع مؤنثكم وتأهبوا لملاقاتنا بقبيلتكم وها نحن وجهنا عاملكم خادمنا القائد علال الشرقي فكونوا عند الظن بكم"³، يتضح أن السلطان أمر عدة قبائل بجمع مؤنثها والاتحاد فيما بينها للقضاء على الرحامنة، كما ختم رسالته بلغة التهديد والوعيد "وإن تكاسلتم فإننا بحول الله نواخذكم بالقديم من تأخركم عن ضربهم وبالحديث"⁴، كما وقع قتال بين فرق قبيلة الرحامنة سنة 1874م وهو ما نستشفه من جواب موسى بن أحمد عن رسالة باشا مراكش أحمد أمالك الذي وصف له حيثيات هذا القتال: "وعلمنا ما شرحته من أمر الرحامنة وما وقع من القتال بينهم وأعلمنا به سيدنا"⁵.

تمردت قبيلة الرحامنة وخرجت عن سلطة عاملها سنة 1881م وعمدت إلى نهب الناس وقطع الطرق، وهو ما أشارت إليه الرسالة التي بعثها السلطان الحسن الأول إلى

1- رسالة من الوصيف علي بن أحمد إلى الوزير الأعظم محمد بن إدريس، بتاريخ 17 رجب 1263هـ/ 30 يونيو 1847م. م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

2- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى قبائل بني عامر والحوافصة وأولاد الشرقي وأولاد صبيح وأولاد وكادة، بتاريخ 13 ذو القعدة 1278هـ/ 11 ماي 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006.

3- نفس الرسالة.

4- نفس الرسالة.

5- رسالة من موسى بن أحمد إلى الباشا أحمد أمالك، بتاريخ 20 صفر 1291هـ/ 7 أبريل 1874م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 3.

القائد محمد العمراني في شأن توجيه المخازنية "فإذا بالأخبار ترادفت عليكم بأن الرحامنة تكالبوا على الطرق وشرعوا بالإفساد فيها حسبما شرحت ذلك وهم نازلون بالجريد وعاملاهم نازلان بالخميس البراني فأخذت المائة فارس عندك حتى يظهر لكم ما يؤل إليه فساد الرحامنة"¹، فتدخل المخزن وأمر عمال دكالة إلى جانب "جميع قواد القبائل المجاورين لهم مثل السراغنة وزمران بالزحف إليهم من جهاتهم فكونوا عند الظن بكم في ذلك أصلحكم الله"².

عمل المخزن على تأديب قبائل الرحامنة التي جاهرت بالفتنة سنة 1861م، فعمد السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى تأديبها ومصادرة عدد من أراضيها لتعود في ملكية المخزن، وبعد مرور حوالي عشرين سنة على هذا الإجراء وجه السلطان مولاي الحسن خبيرا للوقوف على الأراضي المخزنية المصادرة وإحصائها: "عين أملاك المخزن التي ببلادات الرحامنة المنتقلين منها ولم تزل إلى الآن خارجة عن حكمهم، كأغاطيم وسعادة وعين دادة وتبهنيت ونواحي تتسيفت وما يليها من جهة الويدان حوز ابن ساسي وتقبيدها والتطوف بها وتمييزها عن غيرها بالحدود المبينة لها بالأسامي الظاهرة وكيل المساحات وعد سوادها وحد بياضها طولاً وعرضاً"³، لم تتوقف أوامر المولى الحسن عند تحديد الأراضي بل أمر بضرورة تحديد المسقية والبور منها ورسم حدودها بشكل واضح حتى يتم تمييزها عن غيرها من أراضي الحوز، إلى جانب الكشف عن من يستغلها إذا وجد سواء كان ذلك بأمر مخزني أو بدونه.

تمردت قبيلة الرحامنة من جديد سنة 1895م، فخرج المخزن رفقة عدد من القبائل للقضاء على الرحامنة "يوم الثلاثاء 25 من شهره وقع القتال بين المخزن وفساد الرحامنة وخرج لهم المخزن مع القبائل المبينة يمنته وظفر الله بهم وقطعوا منهم نحو الخمسين رأساً وأسروا منهم نحو الستين مسجوناً وفرق الله شمل الفساد وغنموا منهم

1- رسالة إلى محمد بن الجيلاني العمراني، بتاريخ 29 شعبان 1298هـ/ 26 يوليوز 1881م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-001.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أخيه وخليفته بمراكش مولاي عثمان، بتاريخ 6 محرم 1298هـ/ 9 دجنبر 1880م، م.و.م، الوثائق، المجموعة الحادي عشر، م.س. ص. 275-277.

غنيمة عظيمة من العدة والابل والبقر والغنم والخيول"¹، تمكن المخزن من القضاء على فساد الرحامنة بفضل تعاون بعض قبائل الحوز² وقتل منهم حوالي خمسين وسجن حوالي ستين شخصا³.

وصفت الرسالة التي بعث بها القائد محمد بن ابراهيم الحرار سنة 1862م إلى القائد عمر المزميزي غلاء الأسعار بمدينة مراكش وأحوازاها، فخرجت الرحامنة ونهبت المحاصيل الزراعية "واما الاجنة والبساتين فما كان منها خارجا قريبا خرج اهل المدينة اعني رعاها وخشاشها فنهبوا ولم يتركوا بها لا اخضر ولا يابسا وما كان بعيدا نهبه الرحامنة ولم يتركوا حبة حرث لا قمحا ولا شعيرا ولا فولا ولا خضرا"⁴، يتضح أن الغلاء دفع بقبيلة الرحامنة إلى نهب الأراضي القريبة من مجالها ولم يتركوا بها شيئا كما عبرت عن ذلك الرسالة.

- صراع أولاد أمطاع:

عرف مجال الحوز سنة 1862م جفافا واكبه نشوب العديد من المنازعات، فقد وقع نزاع بين ايت دتكنزون وأولاد مطاع "واما خبر القبيلة فاعلم ان ايت ازكين وايت علي ضربوا على اولاد مطاع ووجدوا معهم ايت دتكنزون يضاربون مع اولاد مطاع"⁵، نلاحظ أن الرسالة وصفت الصراع وأطرافه، غير أنها أغفلت ذكر أسبابه وكذا كيفية الحسم فيه.

1- رسالة حمزة بن الطيب بن همة إلى السلطان، بتاريخ 29 ذو القعدة 1312هـ/ 24 ماي 1895م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 10.

2- قبائل الحوز التي استعان بها المخزن هي: دكالة، عبدة، أولاد الدليم، ايت ايمور، المنابهة، حربيل، تكة أولاد علي، الشياظمة، امتوكة، أولاد بوالسبع، مزوضة، مجاط، أولاد امطاع، كدميو، النفيفة دمسيرة، ادويرن، البعض من السراغة والبعض من زمران.

3- سبق لأهل مراكش أن أوقعوا بقبيلة الرحامنة وألحقوا بها هزيمة نكراء، وهو ما أشارت إليه الرسالة التالية: "وأخبرك بأن أهل مراكشة قد وقع بينهم وبين القبيلة المذكورة ثم بباب الخميس يوم الخميس 18 من شهر التاريخ ويوم السبت بباب الدبغ وعملت مدينة سبعة رجال فيهم ما لا تفعله قبيلة فيهم مات منهم خلق كثير ما يزيد على الخمسين ومن المجاريح ما يزيد على الثمانين وأما يوم السبت المذكور مجاريح وموتى وخیل وصلوهم أهل المدينة إلى القنطرة والصياح والنياح". رسالة من السيد مولاي محمد وحروش إلى الباشا عمر، بتاريخ 29 شعبان 1278هـ/ 28 فبراير 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-005.

4- رسالة من محمد بن ابراهيم الحرار إلى القائد عمر بتاريخ 13 شوال 1278هـ/ 12 أبريل 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006-002.

5- نفس الرسالة.

- صراع أمزميز:

تطاولت قبيلة مزوضة على قبيلة أمزميز سنة 1859م، فكتب قائد هذه الأخيرة يعلم المخزن بالواقعة، فجاء جواب المخزن كالآتي "وما ذكرت أن فساد مزوضة ومن معهم عزموا عليهم من الفساد لناحيتم... فما نحن كتبنا للمزوضي وإخوانه وبخناهم عن ذلك"¹، كما نصح المخزن قائد أمزميز بعدم مواجهة أمزميز حتى يشير عليه المخزن بذلك "والخروج لا تخرج لهم حتى نعلموك ابقى في محلك"².

لم يمثل عامل مزوضة لأوامر المخزن حسب ما أخبر به القائد عمر بن محمد المزميزي، ونص الرسالة كالآتي: "وصل كتابك أخبرت فيه بأمور عامل مزوضة وما هو عليه من الفساد مع إخوانه"³.

تدخلت زاوية تاملوحت للصلح بين القبيلتين وهو الخبر الذي تضمنه جواب الطيب التلي عن الرسالة التي بعث بها قائد أمزميز "واستفدنا منه ما أخبرت به من هناء إياتك وما وقع بينهم وبين امزوضة من الصلح والمصادقة والوقوف عند الحد بواسطة الشريف الأجل مولاي سعيد المصلوحي فذاكم المراد"⁴، استغل القائد المذكور هذه الرسالة ليجدد طلبه للسلطان بالعفو عن مساجين قبيلته، فكان جواب السيد الطيب "وطلبت أن نذكر مولانا في المساجين الذين كنت طلبت من سيادته تسريحهم فأخبره وأكثروا عليك من العارات فاستحييت في مراجعة سيدنا في شأنهم فما هو أيده الله ونصره أمر بتسريحهم لأن مولاي سعيد كتب في شأنهم"⁵، يتضح من خلال هذه الرسالة أن مقدم الزاوية المصلوحية لم يكتف بصلح القبيلتين، لكنه استغل مكانته لدى السلطان وطلب منه إطلاق سراح مساجين قبيلة أمزميز، وهو ما سيساهم دون شك في تعزيز مكانته لدى القبائل.

1- رسالة إلى القائد عمر بن محمد المزميزي، بتاريخ 19 ربيع الثاني 1276هـ/ 15 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-005.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة إلى القائد عمر بن محمد المزميزي، بتاريخ 30 ربيع الثاني 1276هـ/ 26 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-001.

4- رسالة من السيد الطيب التلي إلى عمر المزميزي، بتاريخ 1 رجب 1276هـ/ 24 يناير 1860م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001.

5- نفس الرسالة.

طلب القائد عمر بن محمد المزميزي سنة 1859م من المخزن التدخل لكف كدميوة عن قبيلته، وهو ما تضمنته الرسالة التالية: "كما أخبرت بوقوف مجاط عن ضرب الفساد المتمادين معك من كدميوة وطلبت الكتب من عندنا لهم بذلك"¹، يتضح من خلال الرسالة أن القائد المذكور نبه إلى توقف مجاط عن مساندته، وكتب للمخزن بهدف إرغامها على مساعدته من جديد للقضاء على قبيلة كدميوة.

اتهم أحد القياد المسمى اليعلاوي قائد قبيلة أمزميز بالتراخي على مياه أكفاي سنة 1859م، فكتب السلطان لقائد أمزميز ما يلي: "منصور بن إبراهيم اليعلاوي ادعا أنك أخذت لهم الثلث من ماء أكفاي وسقيت به زرعك من غير موجب"²، وأمره بالتخلي عن المياه إن كان ما ادعاه اليعلاوي صحيحاً.

- صراع مجاط:

تتازعت قبيلة مجاط مع زاوية تامصلوحت حول توزيع مياه ساقية تمزكلت لما قل منسوبها، فتدخل المخزن لصالح القبيلة على اعتبار أن الزاوية تتمتع بحصص مائية في سواق أخرى بمجال الحوز، وأمر مقدم الزاوية مولاي سعيد برفع يده عن الساقية في حالة "لم يبق إلا قدر أربعة مصارف فيرفع مولاي سعيد وإخوانه أيديهم عنها ويتخلوا عنها لمجاط حتى تعمر بالماء وحينئذ يرجعون للتصرف في المصرف المذكور إمضاء تاماً"³، يتضح أن تراجع منسوب مياه السواقي خلق مشاكل بين مختلف الأطراف المستفيدين منها، ما استوجب تدخل المخزن لحسم مادة النزاع كما وقع في حالة مجاط، وعندما يرجع منسوب الساقية لما كان عليه يتم الرجوع إلى اعتماد التوزيع القديم.

1- رسالة إلى القائد عمر بن محمد المزميزي، بتاريخ 30 ربيع الثاني 1276هـ/ 26 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-001.

2- رسالة من السلطان إلى عمر المزميزي، بتاريخ 9 محرم 1276هـ/ 8 غشت 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-005.

3- رسالة بتاريخ 23 ربيع الأول 1263هـ/ 10 مارس 1847م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

- صراع امزوضة:

بلغ القائد عمر المزميزي المخزن بفساد قبيلة امزوضة واجتماعهم بواد المال بقصد قتال قبيلته فطلب من السلطان إمداده بـ "مايتين فارسا من الجيش السعيد ومن الرحامنة إعانة لك في مقابلة ضرب الفاسدين وقتالهم"¹، تدخل السلطان وأمر قبيلة أولاد بوسباع بتوبيخ مزوضة ودعوتها إلى التراجع عن فسادهم "فقد كتبنا لقبيلة أولاد بو السباع يقدمون عليهم ينهاونهم عن فعلهم هذا فإن لم ينتهوا أذناهم وأمرناهم يضربون مزوضة"²، كما أمر قائد قبيلة أمزميز بالتريث وعدم الخروج لقتالهم "وأنت فلا تعجل للخروج للفساد ملازم محلك حتى يظهر أمرهم"³، يتضح إذن أن المخزن شد عضد قبيلة أمزميز بنظيرتها أولاد بوسباع للحد من فساد مزوضة كما اتضح في الرسالة.

- صراع زمران:

تطاول قائد زمران على بلاد تملالت التي تضم أراضي السلطان وحاز القائد المذكور "جلها من رقبة الساقية كما حزت جلها من جانب القبلة وحرثت المصاريف لتصير البلاد بورا تملكها"⁴، كما عمل على تقسيم نوبات المياه بشكل يتنافى والضابط الذي وضعه المخزن، وعمد إلى الزيادة في مدة دور الساقية "وأن فردية ماء الساقية كانت تقسم على ثمانية أزواج فصارت الآن تقسم على زوجتين وأنكم جعلتم الساقية دورا طويلا بايام سبعة عشر يوما وليالي سبع عشرة ليلة"⁵، بعد أن كان دور الساقية عشرة أيام فقط، وهو ما ساهم في انتشار الفوضى بين مختلف المستفيدين من مياهها، ما أثر على الإنتاج، فبعد أن كانت جنانات المخزن بتملالت تنتج حوالي خمسمائة خروبة أصبح إنتاجها لا يتعدى

1- رسالة إلى السيد عمر بن محمد المزميزي، بتاريخ 18 ربيع الثاني 1276هـ / 14 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-002.

2- رسالة إلى القائد عمر المزميزي، بتاريخ 21 ربيع الثاني 1276هـ / 17 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-004.

3- رسالة إلى السيد عمر بن محمد المزميزي، بتاريخ 18 ربيع الثاني 1276هـ / 14 نونبر 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-002.

4- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القايد عبد السلام الزمراني، بتاريخ 02 ذو الحجة 1310هـ / 26 يونيو 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 9.

5- نفس الرسالة

"مايتان خروبة وهي بالنسبة للساقية المذكورة لا شيء"¹، فأمر السلطان الحسن الأول القائد "أن ترد المصاريف لأصلها وترد الأرض السقوية لانتهااء حدودها حياة سيدنا المقدس حين كلف بعبرها الوصيف الحاج مبارك مع محمد الرباع ووجه نسخة من رسم حدودها وكيفية العمل به كما نأمرك أن تبين موجب حصول الضرر للجنات والكرانات وموجب تطويل الدور المذكور"².

- صراع منطقة سعادة:

راسل السلطان محمد بن عبد الرحمان المولى الحسن خليفته بمراكش حول شكوى القائد علي بن إسماعيل الدخيسي تهم استحواذ المكي الجرناوي على مصرف أكفائي التابع لأرض آيت سعادة، فأمر السلطان بما يلي: "بتكليف أهل المعرفة حتى يتطوفوا على البلاد التي بيد دخيسة وأولاد نصير، ويعرفوا ما بيد كل فريق منهم، ومن عنده الفاضل منهم، ويسووا القسم بينهم في البلاد بالعدل حتى لا يتضرر هؤلاء، ولا يتصرف في الفضل هؤلاء"³.

تضرر مقدمو وخماسو جنان عين دادة ولحقهم "الضرر الفادح الخارق لعاداتهم فيما هم مكلفون به من الحرث والسقي وخدمة المصارف وغير ذلك فما هو من وظيف الخماميس ودفعوا تقييدا يضم شكواهم"⁴، اشتكوا من القايد عبد الله بن عمر السوسي الذي شغلهم في خدمة جزء من الساقية، وهو من واجب قبائل الدير وما إن رفض بعضهم حتى انهال عليهم بالضرب وألزم أربعة منهم الفراش، مع أن الخماسين المذكورين تابعين للمخزن وليس من حقه التدخل فيهم لأن ذلك من اختصاص الباشا أحمد أمالك حسب ما وضحته الرسالة "استخدمهم في الساقية مع انها من وظيف قبائل الدير كل منهم يعرف موضعه فيها ولها امزالات وهما ابن الحيلاني وابن درسة وانه صار يفرض عليهم وعلى

¹- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القايد عبد السلام الزمراني، بتاريخ 02 ذو الحجة 1310هـ/ 26 يونيو 1893م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:9.

²- نفس الرسالة.

³- رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى المولى الحسن، بتاريخ 10 شعبان 1283هـ/ 18 دجنبر 1866م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:3.

⁴- رسالة من السيد عثمان إلى السلطان، بتاريخ 6 شوال 1305هـ/ 15 يونيو 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:7.

من معهم من السكان مع أنه لا كلفة عليهم لانحياشهم لجانب المخزن ولكون الباشا هو المكلف بمثل ذلك"¹، وقد أضافت الرسالة اعتراف القائد المذكور باستخدام الخماسين في الساقية، غير أنه أنكر ضربهم كما أشار إلى أنه "مستقل هنالك لا دخل للباشا ولا لامزالات في ذلك"²، فتم رفع القضية من قبل خليفة مراكش المولى عثمان إلى السلطان الحسن الأول للحسم فيها.

- صراع أولاد امطاع:

وقع صراع حول قسمة مياه السقي، فعين قائد أمزميز أمزالا يدعى الكدميوي إلى جانب أمزال آخر عينه القائد عثمان، غير أنه بعد القسمة تطاول "أولاد امطاع استغلوا ما عُين لهم من الماء في حظهم ولم تطب أنفسهم به أن أناسا منهم وردوا ليلا ليكسروا الماء ويسرقوه"³، فعين المخزن من جديد ذوي الخبرة للاطلاع على قدر الماء الموجود في السواقي "وها نحن وجهنا القرطبي وغيره لرؤية ماء الساقية هل هو باق على حاله أو نقص والسلام"⁴.

- صراع أولاد الدليم:

وقع الصراع بين قبيلتي إذاوبلال وأولاد الدليم حول قسمة الأرض المنعم بها عليهم من طرف السلطان الحسن الأول، فتدخل هذا الأخير وأمر "بتعيين العدول وأرباب البصر"⁵ إلى جانب القضاة وباشا مراكش أحمد أمالك وأهل المعرفة للوقوف على قسمة الأرض المذكورة، وذلك بمنح الثلثين لأولاد الدليم والثلث لإذاوبلال وفق ما تعطيه كل قبيلة في التكاليف المخزنية، فتم إبلاغ قائدي القبيلتين ابن العامر الدليمي وخليفة القايد الرجراجي الذوبلالي بالأوامر السلطانية، فأكد قائد أولاد الدليم أن القسمة إذا كانت حسب التكاليف فلا

1- رسالة من السيد عثمان إلى السلطان، بتاريخ 6 شوال 1305هـ/ 15 يونيو 1888م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

2- نفس الرسالة.

3- رسالة من السلطان إلى الطالب عمر المزميزي، بتاريخ 6 محرم 1276هـ/ 5 غشت 1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-001.

4- نفس الرسالة.

5- رسالة من خليفة السلطان في مراكش المولى عثمان إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 رجب 1301هـ/ 18 ماي 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 5.

يحق لإذاوبلال إلا الخمس، وهو ما أكده كذلك الباشا أحمد أمالك "لا يحملون إلا الخمس عليهم ولو أمر سيدنا بحيازتهم للثالث في البلاد ولم يذكر نسبة الديوان في الكلف لنفذ وامتثل لان البلاد بلاد سيدنا والكل يخدم تحت ركابه"¹، يتضح أن النزاع لم يتم حسمه ما دفع بالخليفة عثمان إلى مراسلة أخيه السلطان المولى الحسن حول ما يجب أن تكون عليه قسمة هذه الأراضي.

يتضح أن الصراعات المائية القبلية قد احتدمت زمن الأزمات المائية وتوالي سنوات الجفاف، إلى جانب ما ارتبط بها من مجاعات، ما دفع بالقبائل إلى نهب محاصيل قبائل أخرى أو سرقة مياهها، وهو ما استلزم تدخل المخزن. فما أبرز الإجراءات المخزنية المتخذة في هذا الإطار؟

¹ - رسالة من خليفة السلطان في مراکش المولى عثمان إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 رجب 1301هـ/ 18 ماي 1884م، م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم:5.

II. الإجراءات المخزنية للحد من الصراعات القبلية "ترحيل القبائل"

تدخل المخزن في النزاعات المائية القبلية عندما عجز العرف عن حلها، فكان يحكم لصالح قبيلة ويفرض ذعائر على الأخرى، وفي هذا الإطار نذكر النزاع الذي كان بين أولاد أبي السباع وكل من دويران وسكساوة في ستينيات القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1866م، حيث قطعت القبيلتان المذكورتان المياه على أولاد أبي السباع، وكما هو معلوم فالصراع حول الماء كان يحتدم خلال أوقات القلة والندرة، كما هو الحال بالنسبة لهذا النزاع، حيث لجأت القبائل المذكورة إلى المخزن، فأمر السلطان المولى الحسن بتفويت قسط من مياه وادي القهرة لأبي السباع وأصدر ظهيرا سنة 1868م، مفاده أن الخمس من الماء يفوت لأولاد أبي السباع والباقي لدويران وسكساوة¹، وفي أحيان أخرى كان المخزن يعتمد إلى اقتطاع الأراضي من القبائل المتمردة، أو ترحيلها من مجال إلى مجال آخر وهو ما كان يتكرر باستمرار مع قبال الكيش². فما أبرز الذعائر التي فرضها المخزن على القبائل؟ وما التغيرات التي أحدثتها في المجال بعد ترحيل بعض القبائل عن مجال الحوز؟

1- الماء والذعائر³ التأديبية:

فرض المخزن ذعائر وغرامات مالية على القبائل، نظرا لمجموعة من الأسباب، إلا أن ما يهمنا منها هو ما يرتبط بموضوع الماء، حيث كان الجفاف أحد الأسباب الرئيسية وراء تمرد القبائل ونشوب النزاعات، فما كان من المخزن إلا أن عاقبها وذلك عبر الخروج في حركات أو فرض غرامات مالية وعينية، ذلك أن السكان مسؤولون بصفة جماعية عما يحدث داخل حدودهم من سرقات ونهب وغيرها⁴. وفيما يلي بعض النماذج من الذعائر التأديبية التي فرضت على قبائل الحوز خلال القرن التاسع عشر.

¹ - BERQUE, J, op.cit. p106.

² - انظر:

- الناصري، الاستقصا، ج9، م.س. ص.10.

حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج3، م.س. ص.497.

³ - الذعيرة: هي تعويضات عينية أو نقدية كانت القبائل تؤديها للمخزن. بنطال علي، م.س. ص.367.

⁴ - A.G.P.Martin, quatre siècles d'histoire marocaine, op.cit. P.373- 374.

✓ ذعائر مالية:

كان المخزن يفرض على القبائل ذعائر ثقيلة أحيانا بسبب ما كان يبدر منها من عصيان وتمرد على أوامره، فعقب ثورة الدباغين -لإلغاء جباية المكس- وما آل إليه الأمر بمدينة فاس، فرض المخزن ذعيرة ثقيلة على سكان المدينة لتأديبهم، إلى جانب غرم مصاريف الحرب التي اضطر المخزن إلى خوضها، وهكذا: "فمن كان يؤدي قرشا للضريبة سيؤدي قرشين، كما عليكم دفع تعويض عن خسائر الحرب"¹، وقد كان الناس أحيانا يبيعون أملاكهم وبهائمهم لتأدية ما عليهم، كما حدث مع قبيلة أولاد أبي السباع سنة 1292هـ/ 1875م، حيث ألزمهم المخزن بدفع ستين ألف ريال كعقاب على تمردهم، فقاموا بـ: "بيع ماشيتهم بأبخس الأثمان وأداء الموظف عليهم"².

أحيانا فرض المخزن غرامات على سكان القبائل الذين لم يلتزموا بالمبادئ التي تقوم عليها السياسة الجبائية خلال تلك الفترة، كالقيام بعملية الحصاد قبل عملية الخرص، وهو ما حدث سنة 1893م، حيث فرض السلطان المولى الحسن ما مجموعه عشرة آلاف ريال على القائدين عيسى بن مبارك وإبراهيم بن الحسن الرحماني (يقتسمان أدائه مناصفة)³.

وعموما فهناك ذعائر عن الجرائم والإعتداءات، وأخرى عن عدم الامتثال لأوامر الشيخ أو القائد، وفي هذا الإطار ندرج إحدى الرسائل التي بعث بها القائد عيسى بن عمر إلى الوزير أحمد بن موسى وفيها: "لا يخفى على سيادتكم بأن الحاج أحمد بن سليمان من أحمر يدين بـ 10000 ريال وأذله الخائنون بعدم دفعها... واليوم تقدم إخوته من الأعيان مع ابنه ودفعوا تعويضا عنه 8000 ريال، حيث أخذ خادم سيدنا القائد المحجوب نصفها.. ونجعل لكم 2000 ريال و6000 للخرينة الشريفة"⁴

1- أرنو لويس، م.س. ص.ص. 32- 35.

2- ابن زيدان عبد الرحمان، اتحاف اعلام الناس، ج 2، م.س. ص. 188.

3- الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص. 212.

4- رسالة من القائد عيسى بن عمر إلى الوزير أحمد بن موسى مؤرخة في 19 صفر 1314هـ/ 30 يوليوز 1886 أوردها:

A.G.P.Martin, op.cit. P.374.

أوردها كذلك الهروي الهادي، م.س. ص. 200- 201.

وبالتالي يمكن القول أن هذه الذعائر كانت تفرض كعقوبة للقبائل من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر مصدر تمويل إضافي بالنسبة للمخزن، تساهم إلى جانب الضرائب الأخرى في التخفيف من حدة الأزمة المالية التي عرفها مغرب القرن التاسع عشر.

✓ غرامات عينية:

كان المخزن أحيانا يفرض على القبائل ذعائر عينية، إن لم يكن لديها مال، كأن يأخذ محاصيلها وينهب زروعها، أو بانتزاع أجود الأراضي والمياه منها، وهو ما حدث عقب تمرد قبيلة الرحامنة سنة 1278هـ/1862م، التي تمادت في العصيان، ولم تذعن للمخزن إلا بعد أن أضرم النار في المزروعات وأطلق يد المحلة في الزرع والبهايم، إلى جانب ذلك وظف عليهم ألفين من العسكر دفعوها في ذلك الحين¹، كما أنه صادر بعض الأراضي لملكيته وهو ما أكدته الرسالة التالية: "وقد اتخذ هذا الكناش... لتقييد جميع الأملاك التي للجانب العالي بالله ببلاد الرحامنة المنتقلين منها كتبهنيت وعين دادة... وكذا ما ببلاد تامصلوحت... وتاركة من الجنات والأراضي سقوية وبعلية... وكذا ساقية تاسلطنات... وعين السويهلة وبلدها"²، وفي سنة 1296هـ/1879م، خرج موكب الحركة من مراكش وعلى رأسه السلطان المولى الحسن الأول، ومر في طريقه على أيت عتاب "أوقع بهم أكل زروعهم وقطع منهم واحدا وعشرين رأسا جزاء لهم على ما اجترموا من الزيغ"³.

2- ترحيل القبائل:

كان المخزن يعتمد في تعامله مع القبائل خلال القرن التاسع عشر إلى انتزاع أراضيها أحيانا وترحيلها أحيانا أخرى، تبعا لطبيعة علاقتها بالسلطة المركزية؛ مخزنية أو متمردة⁴، وبناء على ذلك تم ترحيل قبائل وجلب أخرى لمجال حوز مراكش، وهو ما ساهم دون شك

1 - الصديقي عبد الرزاق، م.س. ص.63.

2- الناصري، م.س. ص.111.

3- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف اعلام الناس، ج2، م.س. ص.233. انظر:

4- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف اعلام الناس، ج4، م.س. ص.445.

-Doutté, E, op.cit. PP.393- 395.

في تغيير الخريطة الديمغرافية لهذا المجال، فتحكم بذلك في المجال خاصة وأن هذه الأراضي تابعة له ولنفوذه يوطن فيها من يشاء.

حظيت عملية ترحيل أو توطين القبائل باهتمام المخزن، لدرجة أن السلطان عبد الرحمان بن هشام لما رحل جزء من مجاط نحو الغرب أمر ابنه بوضع هبة "في ربيعة سيدي أبي العباس نفع الله به مائة مثقال من ثمن غلل الاجنة كنا جعلناها له هدية وشكرا على ما منح الله من ترحيل هؤلاء مجاط من حوز مكناسة للغرب وراحة الناس من أذاهم وكمال إصلاح هذه القبيلة"¹، أما الجزء المتبقي من قبيلة مجاط في منطقة شيشاوة، فقد كانوا موالين للمخزن يحرقون الأراضي ويخدمون نصيبهم في السواقي إلى جانب تقديم الطاعة والولاء والكف المخزنية، وهو ما عبرت عنه الرسالة التالية المؤرخة سنة 1264هـ/ 1848م "أن إخواننا مجاط الباقيين معنا بشوشاوة ما ظهر لنا اليوم فيهم إلا الخير حرثوا البلاد وخدموا السواقي واشتغلوا بما يعنيه من أمر معاشهم وحمدوا الله وشكروا خير مولانا وفي عيد النبوي حضروا بين يدي نجل مولانا بمراكش بأربعين فارساً"².

تعتبر قبائل ايت إيماور من القبائل المستحدثة في مجال الحوز، تمتعت بإنعامات المخزن وهو ما أكدته الرسالة التالية: "ويعلم سيدنا ايت إيماور غرباء في البلاد ولا عندهم سوى الله وسيدنا"³. فهل تم ترحيلها هي الأخرى أم أن المخزن عمل على جلبها لحوز مراكش؟

نقل المخزن عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام قبيلة ايت إيماور النازلين بجبل سلفات وبالولجة الطويلة منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله⁴، نتيجة فسادهم إذ "أطغاهم نزولهم بتلك الأرض العجيبة، ذات المزارع الخصيبة فأضروا بجيرانهم من أهل زرهون

1- أمر السلطان عبد الرحمان إلى ابنه المولى محمد، بتاريخ 28 ربيع الثاني 1261هـ/ 5 ماي 1845م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

2- رسالة من عبد الله بن قاسم المجاطي إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 ربيع الثاني 1264هـ/ 2 أبريل 1848م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

3- رسالة من عبد الله بن عبد الفاضل إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 صفر 1261هـ/ 7 مارس 1845م، م.و.م، الرباط، نفس المحفظة.

4- بن بوسلهام خديجة، م.س. ص. 134- 135.

وأهل الغرب"¹، فأمر السلطان المذكور بالإيقاع بهم ونقلهم إلى حوز مراكش وبالضبط في منطقة مجاط، نفس الأمر تكرر مع قبيلة هشتوكة حيث تدخل المخزن سنة 1882م واقتطع أراضي منها لصالح الجيش من أجل ضبط استقرار السكان وحماية الطريق، وكذلك مراقبة ما وراء واد ولغاس².

عمل المخزن على نقل قبيلة الأوداية من أحواز فاس الجديد إلى حوز مدينة مراكش سنة 1851م وبالضبط خلف ضفة واد نفيس، وعمل على الإنعام عليهم "وتعويض أملاكهم المتنقلين عنها بتعويض كافة البلاد المذكورة المتنقلين إليها مع ما اشتملت عليه من جميع العيون وراء الوادي وأمامه... تعويضا وتمليكا تامين شاملين مطلقين عامين يتصرفون فيها بجميع أنواع التصرف من حرث وغرس"³.

تجدد نقل المخزن لفرق قبلية وإنزالها بمجال حوز مراكش سنة 1876م، حيث عمد إلى ترحيل أولاد الشيخ إخوان الطالب سليمان بن قدور القاطنين بناحية الشرق إلى مجال الحوز، وبالضبط منطقة سعادة بأكملها على حساب من كان يتصرف فيها أمثال الطالب محمد بن العربي ووصيف الطالب عبد الله بن أحمد وغيرهم، وقد وقع اختيار "إنزالهم ببلاد ءايت سعادة بالحوز لكونها أصلح لهم ولمواشيهم وأبعد لهم من القيل والقال"⁴، ولم تتوقف أوامر السلطان عند هذا الحد، بل أمر بنقلهم بحرا عبر مرسى آسفي والقيام بمؤونتهم، كما أمر عمال عبده واحمر بمساعدة المذكورين على حمل أثقالهم حتى يصلوا إلى بلاد سعادة بعد أن يتم إفراغها ممن كان يتصرف فيها "وأُنزلهم ببلاد ءايت سعادة كلها بعد أن تفرغها لهم من جميع من يتصرف فيها شريفا كان أو مشروفا ولا تبقى فيها أحدا

1- الناصري، ج9، م.س. ص.9-10.

2- أرفاك شفيق، م.س. ص.466.

3- ظهير السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 6 ربيع الأول 1268هـ / 30 دجنبر 1851م، أورده: PASCON, P, T2, op.cit. P.144.

4- أمر السلطان الحسن الأول إلى أخيه وخليفته بمراكش المولى عثمان، بتاريخ 20 جمادى الثانية 1293هـ / 12 يوليوز 1876م، م.و.م، الرباط، محفظة رقم:3.

ولا ينزل فيها إلا أولاد الشيخ المذكورون وحدهم ليتوسعوا فيها بالنزول والحرث ولا يزاحمهم فيها أحد"¹.

أمر السلطان محمد بن عبد الرحمان بترحيل قبائل الرحامنة سنة 1861م عن مجال سعادة ونواحي تانسيفت بعد تمرداتها المتكررة²، وهو ما أكده السلطان الحسن الأول في رسالته التي أمر من خلالها خدامه بإحصاء الأراضي التي تمت مصادرتها من هذه القبيلة "عين أملاك المخزن التي ببلادات الرحامنة المنتقلين منها ولم تزل إلى الآن خارجة عن حكمهم، كأغاطيم وسعادة وعين دادة وتبهنيت ونواحي تنسيفت وما يليها من جهة الويدان حوز ابن ساسي وتقييدها والتطوف بها وتمييزها عن غيرها بالحدود المبينة لها بالأسامي الظاهرة وكيل المساحات وعد سوادها وحد بياضها طولاً وعرضاً"³.

أمر السلطان سنة 1248هـ/1832م القائد محمد بن أحمد المزميزي بنقل "من بقي من زرار والشبانات وغيرهما من أهل سوس"⁴ القاطنين بمنطقة أمزميز وتوجيههم "للغرب من جملة إخوانهم"⁵، كما أمر القائد المذكور بالقبض على من أبى الرحيل وسلب أمواله.

يمكن القول عموماً أن المخزن عمد إلى ترحيل القبائل المتمردة عن سلطته كما هو الحال بالنسبة لقبيلة الرحامنة التي تأرجحت علاقتها به بين الولاء والتمرد، وإنزالها بأراضي بورية أو بعيدة عن مكامن وجود المياه، بينما أنزل بعض الفرق والقبائل المطيعة لأوامره بأجود أراضي الحوز كسعادة.

1- أمر السلطان الحسن الأول إلى أخيه وخليفته بمراكش المولى عثمان، بتاريخ 20 جمادى الثانية 1293هـ/ 12 يوليوز 1876م، م.و.م، الرباط، محفظة رقم:3.

2- انظر:

- الناصري، ج9، م.س. ص.111-112.

- بودريالة نجيب، القانون بين القبيلة والأمة والدولة جدلية التشريع: العرف، الشريعة والقانون، ترجمة وإعداد محمد زرينين، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999. ص.166.

- الصديقي عبد الرزاق، الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850-1900، م.س. ص.65.

3- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أخيه خليفته بمراكش مولاي عثمان، بتاريخ 6 محرم 1298هـ/ 9 دجنبر 1880م، م.و.م، الوثائق، م.س. ص.275-277.

4- رسالة من السلطان إلى القائد محمد بن أحمد المزميزي، بتاريخ 8 ربيع الأول 1248هـ/ 4 غشت 1832م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-006-001.

5- نفس المحفظة.

III. الإجراءات المخزنية للحد من الصراعات القبلية: الحركة¹ وإشكالية الماء

جسدت الحركة² أحد أوجه التعامل المباشر للمخزن مع مكون القبيلة بالمغرب، واكتست أهمية كبرى خلال القرن التاسع عشر على وجه الخصوص، نظرا للتحويلات السياسية، العسكرية والاقتصادية التي شهدتها، فحاجة المخزن للمال سواء لدفع غرامة تطوان أو لتمويل الإصلاحات كانت سببا وراء زيادة الحركات المخزنية نحو مختلف الأقاليم، إلى جانب قمع التمردات وتحصيل الضرائب من القبائل.

تناولت مجموعة من الدراسات موضوع الحركة³، خاصة فترة حكم المولى الحسن الأول الذي وصف بالعصر الذهبي للحركة نظرا لتحركاته الكثيرة فهو "نادراً ما أمضى ستة أشهر متتالية في إحدى عواصمه"⁴، واختلفت وجهات نظر الباحثين حول الهدف من تنظيمها، فهناك من يرى بأنها وسيلة لممارسة السلطة⁵ ومن يرى فيها أداة استنزاف المخزن لإمكانيات وخيرات القبائل دون مراعاة لظروفها المعيشية⁶.

1- الحركة من الناحية اللغوية: حَرَك والحركة ضد السكون، حَرَك يَحْرُك حَرَكَةً وَحَرَكًا فَتَحْرُك، "والحارك منبت أدنى العرف إلى الظهر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب" انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، م.س. ص.410. والحركة من الناحية الاصطلاحية هي جيش قد يكون نظاميا فقط، أو معززا بفرسان ورماة، عينتهم قبائلهم استجابة لأمر مخزني بمعنى أن الحركة عبارة عن رد فعل مخزني استدعاه اضطراب أو عصيان من طرف فرقة أو قبيلة معينة. انظر: - المحمدي علي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج آيت باعمران، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989. ص.138.

- المودن عبد الرحمن، البوادي المغربية قبل الاستعمار قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، جامعة محمد الخامس بالرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995. ص.307.

-Normand Daniel, **Les expéditions de Moulay Hassan essai statistique**, hepéris tamuda, vol XIX, 1980- 1981. PP.123- 152.

2- وفي هذا الإطار يجب التمييز بين المحلة والحركة، فالأولى تدل على مكان الإقامة أو على جماعة أو قافلة أو جيش وقت المقام، ويطلق عليها المحلة السلطانية نظرا لحضور السلطان بها، في حين أن الثانية (الحركة) تدل على نفس المجموعة لكن وقت تحركها وتنقلها من مكان إلى آخر، و تحيل أكثر من المحلة على الدلالة العسكرية، حيث تكون أصغر حجما ولا ترتبط بوجود السلطان، وتمثل أهم تنقلات المخزن بالبادية. انظر: ابن منظور لسان العرب - ج 11-، م.س. ص.ص.616-620. وكذلك المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الخامسة 1997. ص.180.

3- انظر:

- برادة ثريا، م.س. ص.ص.66-75.

- الشابي مصطفى، الجيش المغربي ج2، م.س. ص.213.

- أرنو لويس، م.س. ص.ص.34-45.

- Michel, op.cit. PP.331-340.

- الوالي عروب هند، المخزن ماهيته جذوره واستمراريته، م.س. ص.12.

4 - Walter,H, **le maroc au temps des sultans**, op.cit. P.11.

5- جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، م.س. ص.143.

6 - Walter,H, op.cit. P.12.

إن الهدف الرئيسي من الوقوف عند موضوع الحركة في هذا البحث هو رصد كل ما يتعلق بالجانب الطبيعي المرتبط بأهمية الماء داخل التنظيم المخزني للحركة، ودوره في تحديد مسالك عبورها. فما أهم حركات حوز مراكش وموقع الماء فيها؟ وما الأهمية التي اكتسهاها عنصر الماء داخل تنظيم الحركة؟ وكيف أثر على مسارها؟

1- بعض حركات حوز مراكش والهدف من تنظيمها:

شهد مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر تنظيم عدة حركات سواء لتفقد قبائله أو المرور بأراضيه قصد التوجه نحو منطقة أخرى، وعموما يمكن إجمال الأهداف الكامنة وراء حركات حوز مراكش في هدفين اثنين: أولهما ارتبط بقمع تمردات بعض القبائل، ذلك أن الحركة كانت وسيلة مهمة لإخضاع القبائل وضمان تحصيل الضرائب في بعض الأحيان¹، وثانيها تعلق باستطلاع أحوال هذه القبائل.

1-1 الخروج لقمع التمردات القبلية:

دفعت الأزمات المائية ببعض القبائل أحيانا إلى التمرد على سلطة المخزن عبر الامتناع عن دفع الضرائب² أو نهب القبائل المجاورة، وهو ما استلزم تدخل المخزن³. فما أهم الحركات التي قادها المخزن لإخضاع بعض قبائل حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر؟

¹ - De Ganniers Arthur, **Le Maroc d'aujourd'hui d'hier et de demain**, op.cit. P. 96.

-Sadiki Ali, **La montagne marocaine et le pouvoir central: un conflit séculaire mal élucidé**, Hes-T, Vol 28,1990, P.P.15-16.

² - يمكن إرجاع تمرد قبائل الحوز حسب ما أشار إليه أوبان Aubin إلى إحساس هذه القبائل بالاستقلال، على الرغم من توسع المخزن في بلاد الحوز وبسط سيطرته على تلك القبائل، إلا أن تمردا استمر بين الفينة والأخرى. انظر: -Eugène aubin, **le Maroc d'aujourd'hui**, dar al mane, rabat, 2017.

³ - عمدت المحلة السلطانية سنة 1244هـ/ 1828م بقيادة السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى تأديب كل من " زرارة والشبنات وأولاد دليم وأولاد عافر وداو بلال وغيرهم من قبائل أهل سوس وتحزبو وسولت لهم أنفسهم الدفاع وأن لهم في ذلك اليد الطولى والباع وصار شيطانهم ويعدهم ويمينيهم ويحسن لهم القبيح وإلى الحنف يذنيهم وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ومن عقابه تقيهم فوقع بينهم وبين المحلة حرب لم ينفصل إلى الليل ومن الغد كذلك وفي اليوم الثالث مثله استشهد في ذلك من المحلة من كتب الله له"، لم يتوقف السلطان عند هذا الحد بل "واستولت المحلة على القرية ونقلت جميع ما احتوت عليه من زرع وماشية وأمتعة فامتألت أيدي الناس من سلبهم وعاد وبال رأيهم عليهم وصاروا لا يلوون على طريق ولا يلتفت أحد منهم لخليله". رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 17 ربيع الأول 1244هـ/ 26 شتنبر 1828م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-003-001.

نزل السلطان الحسن الأول سنة 1873م بمحلته في كل من شيشاوة وحاحا حيث أذعنت له القبائل وأطاعته بعد أن كانت متورطة في الفتن قبل توليه العرش، وهو ما وضحته الرسالة التي بعث بها عبد الله بن عمر إلى المولى الحسن الأول يشفع لحاحا ويوضح ندمها على ما بدر منها وأنها مطيعة للسلطان: "وصلنا خبر سيدنا بنزوله ببند خدامه حاحة، وأنالوك بالسمع والطاعة والهداية وذلك الظن فيهم أبدا مع دار سيدنا سلفا وخلفا والآن يا سيدنا نسل من الله ومن كمال فضلك وبحق النبوة أن تكون في همهم والشفع فيهم"¹، كما أشار إلى استقرار أوضاع القبائل وتخوفها من السلطان: "وصار الناس في السمع والطاعة والخدمة وانصتوا إليك وذلك الذي ندمهم من الخوف، لا سيما ذلك القطع من وادي الغس فإنهم لما أحسوا بخروجك قالوا ذلك علينا إذا صلحت حاحة، فالحاصل هذه الساعة من فضل الله ذهب الله بها الفتن والضغائن بين المسلمين، فكل من أكل أحدا في تلك الساعة الماضية صار يوديه بفضل الله وبركة الأمير نصره الله"²، يتضح أن المحلة التي نظمها المخزن كانت ناجحة، فبمجرد انتشار خبر وصول السلطان لحوز مراكش أذعنت جميع القبائل لطاعته ورجعت عن الفساد والنهب.

فالقبائل اعتبرت السلاطين حصنا منيعا ضد الجوائح، فكانت تهرع لرؤيته والتبرك به عند مروره بأراضيها³. وقد ذكر محمد الضعيف أن قبائل زمور عندما شقت عصا الطاعة على السلطان محمد بن عبد الله سنة 1779-1780، "دعا عليهم بالجوع، فبدد الله شملهم"⁴، وبالتالي لا نستغرب إذا اعتبرت القبائل السلطان قادرا ببركته على حبس المطر عنها بسبب معاصيها أو تمرداتها⁵.

نظم المخزن حركة لمواجهة قبيلة الرحامنة سنة 1895م، الذين نهبوا عاملهم والقبائل المجاورة لهم وفي مقدمتها قبيلة دمنات، فحطت الحركة ببلاد أولاد الدليم ثم ترادفت عليها

1- رسالة من عبد الله بن عمر بن عبد الله إلى الخليفة المولى الحسن، بتاريخ 20 ربيع الثاني 1290هـ/ 17 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-001.

2- نفس الرسالة.

3- أشار التوفيق إلى هيبة السلطان داخل نفوس الرعية، وإذا انحبس المطر يقولون "ان سيدنا السلطان غاضب علينا". التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر -ابنولتان 1850-1912، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة. الطبعة الثالثة 2011. ص.427.

4- الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، م.س. ص.182.

5- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، م.س. ص.207.

القبائل المساندة لها "كمتوكة وأولاد بو السبع وايت يبور ءال سوس الحوز يجتمعون فيها مع الصالحين من قبيلة حمير"¹، يتضح انضمام عدد من القبائل إلى حراك (الجيش)² المخزن بهدف القضاء على الرحامنة الذين ما تركوا "قبيلة إلا ودبحوا عليها وتعلقوا بأديالها كدير دمنات وغيره فلم يزداهم ذلك إلا مقتا وهورنا ورعبا"³، إلى جانب أنهم قاموا بالتضييق على عاملهم "بن الأشكر البربوشي فصاقوا له جميع ما يملك من جامد وماشي نفر من سير إظهارهم لنفسه خوفا"⁴.

نشبت القتال بين المخزن والرحامنة ومن انضم إليهم من المنابهة، فنتج عن ذلك وقوع عدد من القتلى والجرحى في صفوف الرحامنة قدر بحوالي المائة وعدد كبير من الجرحى، أما من المحلة فلم يقتل إلا أربعة أشخاص⁵، وبالرجوع إلى تاريخ هذا الاضطراب نجد أن مجال الحوز والمناطق الجنوبية قد شهدت خلال الفترة الممتدة ما بين 1890-1894م عدة أزمات مائية، ولعل هذا هو السبب الكامن وراء نهب الرحامنة للقبائل المجاورة وخروجها عن طاعة المخزن. فهل كانت الرحامنة القبيلة الوحيدة المتمردة خلال هذه الأزمة؟

نظم المخزن حركة جديدة سنة 1895م لتأديب بعض القبائل الأخرى وفي مقدمتها مسفيوة وبعض دكالة والخالقة من احمر، فتوجهت الحركة لواء نفيس حيث نشبت القتال بين حراك المخزن ومن معهم من أولاد الدليم ضد المتمردين، فتم قتل عدد كبير منهم لم يتم تحديد الرقم بالضبط غير أن ما تمت الإشارة إليه هو رجوع "المحلة سالمة المتاع كما ورد اولاد دليم وتكنة وحربيل والمنابهة مسلمين"⁶، فعمل المخزن على مكافأة القبائل المشاركة معه عبر إنزالهم "بنواحي عين دادة متصلين بنايت يبور وتنفيذكم لهم مايتين وخمسين خزانة وخمسماية خروبة قمحا ومثلها شعيرا سلفا"⁷، إلى جانب تقديم الحبوب

1- رسالة من الحاج محمد ويده إلى السلطان مولاي عبد العزيز ، بتاريخ 12 شوال 1312هـ / 7 أبريل 1895م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:10.

2- بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، م.س. ص.55.

3- نفس الرسالة.

4- نفس الرسالة.

5- نفس الرسالة.

6- رسالة من موسى بن أحمد إلى الحاج محمد ويده، بتاريخ 18 ذو القعدة 1312هـ / 12 ماي 1895م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:10.

7- نفس الرسالة.

سلفا لهم حتى موسم الحصاد¹، ويلاحظ أن المنطقة التي أنزل بها المخزن كلا من أولاد الدليم، المنابهة وحربيل من المناطق الخصبة بمجال الحوز.

2-1 استطلاع أحوال القبائل:

جاءت رسائل العمال في بعض الأحيان لتصف أحوال البلاد، وهو ما عبرت عنه الرسالة التي بعث بها القائد عبد الرحمان أكيثور إلى القائد عمر المزميزي: "وبعد فإن سألت عن هذا النواحي فإنها بخير وعافية لله الحمد وله المنة ولا ما يشوش البال"².

نظم السلاطين حركات لاستطلاع أحوال البلاد، وفي بعض الأحيان كانوا يتغاضون عن عصيان بعض القبائل بعد استقبالها لهم إن مروا ببلادها نظرا "لمصلحة اقتضاها الوقت والسياسة ولأن بعض الرعايا يوخذ بالعنف وبعضها بالكياسة"³.

بعث السلطان محمد بن عبد الرحمن رسالة إلى أحد خدامه يأمره بضرورة جمع حراك قبيلته لعزمه على زيارة حوز مراكش سنة 1862م، ونص الإشارة كالتالي: "وقد عزمنا على الطلوع للحوز فبوصول هذا اليك اقدم على حضرتنا العالية بالله في وسط حراك إياتك لتحضروا معنا العيد والحركة بحول الله وعجل عجل فإن العزم له بركات"⁴. حل السلطان الحسن الأول بحوز مراكش سنة 1877م ووجد "القبائل الحوزية العربية والبربرية صالحة الأحوال معترفة بما أنعم الله به عليها من شمول الهناء وسابغ النوال مغتبطة بوصولنا لبلادهم متلقية لركابنا السعيدة برجالهم وأولادهم" وقدموا للسلطان الهدايا والأموال فرحين بوصول محلته لهم⁵.

1- وذلك لكون الرحامنة نهبت زرع أولاد الدليم، غير أنه لم يتم الإشارة إلى الإجراءات التي اتخذها المخزن اتجاهها.

2- رسالة من القائد عبد الرحمان أكيثور إلى القائد عمر المزميزي، بتاريخ 12 ربيع النبوي 1276هـ/ 9 أكتوبر

1859م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-001-005.

3- ظهير السلطان الحسن الأول المرسل إلى الحاج محمد بن سعيد، بتاريخ 6 ذو الحجة 1294هـ/ 11 دجنبر 1877م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 3.

4- رسالة من السلطان إلى الطالب رحال بن يزو بتاريخ 15 رمضان 1278هـ/ 15 مارس 1862م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A16-006.

5- ظهير السلطان الحسن الأول المرسل إلى الحاج محمد بن سعيد، بتاريخ 6 ذو الحجة 1294هـ/ 11 دجنبر 1877م، م.و.م، الرباط، محفظة رقم: 3.

2- الحركة وإشكالية الماء:

استغرق تنظيم الحركة مدة زمنية طويلة نسبيا اختلفت من سلطان إلى آخر لتوفير المؤن والأسلحة¹، واختيار الطريق الأنسب من حيث الماء²، فإذا عزم المخزن على الحركة أمر بالشروع في صنع الخزائن والبرادع والراويات (أي ما يوضع فيه الماء)³، التي توزع على الطوائف الحرفية بمختلف أصنافها كالحدادة والدباغة والدراسة والخبازة، فتزوده بكميات تتماشى مع أعداد الخيل والرجال، بل إن التجار من أهل الذمة والفاسيين كانوا يرافقون الحركة، وهم يحملون السلع التي قد يحتاج إليها العسكر، فكانت الحركة "أشبه بالسوق المتنقلة منها بالجيش المنظم... وكانت تعملها الفوضى أحيانا عندما تكون عابرة لأرض لا تدخل في حكم المخزن"⁴.

وقبل أن نعرض للماء كعنصر مؤثر في جل مراحل الحركة وأطوارها، لا بد من الوقوف عند بعض الجوانب التنظيمية والمالية للحركة، إذ كان المخزن يعتمد قبل خروجه في حركة ما إلى تحصيل التمويل والتموين اللازمين⁵، والتي كانت القبيلة مصدرهما الأساسي، حيث كان يكتب السلطان إلى عماله وقياده لإرسال المؤن والحرّاك "ان تقوم على ساق الجد والاجتهاد في فرض حركة ايالتك على الكم والكيف المعتاد"⁶، أضف إلى ذلك أخذ دواب المخزن، التي وزعها على القبائل لرعايتها، وإذا ما ضاع منها شيء عوضته القبيلة المعنية بذلك⁷.

1- الكنسوسي محمد، الجيش العرمرم الخماسي، ج2، م.س. ص.ص. 14- 16.

2- Nicolas Michel, *l'Approvisionnement de la mhalla au Maroc au XIXe siecle*, H-T, Vol. XXIX, Fasc. 2, 1991. P.323-324.

3 - Abitbol Michel, *histoire du Maroc*, op.cit. P.364- 365.

4- المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، م.س. ص. 180.

5- كان سكان القبائل التي يمر منها موكب الحركة ملزمين بتموينها، انظر:

- بوشعراء مصطفى، علاقة المخزن بأحواز سلا قبيلة بني احسن 1912/1860، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة بحوث ودراسات رقم: 19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996. ص. 62- 63.

- عياش جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، م.س. ص. 207.

- جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، م.س. ص. 145-146.

6- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القائد بنعيسى الزموري، بتاريخ 2 جمادى الأولى 1304 هـ / 26 يناير 1887 م، م.و.م، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص. 342.

7- انظر: جواب السلطان مولاي الحسن عن رسالة القائد سعيد بن العروسي، بتاريخ في 21 من جمادى الأولى 1304 هـ / 15 فبراير 1887 م، م.و.م، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص. 387.

الزم المخزن قبائل الحوز بواجب الحركة¹ إما بتقديم الحراك أو إعطاء حوالي "ثمانية مئائيل للفارس"²، فأمر السلطان قبيلة جدميوة بإعطاء الحراك "وقد ناب خدامنا قبيلة جدميوة مائتان وخمسون فارساً"، وأمر القائد محمد بن أحمد المزميزي بتحصيل المال الواجب لكل واحد من الحراك ونص الأمر كالتالي: "فأمرك أن تقبض ما يجب لهم من المال وقدره بحسب ثمانية مئائيل للفارس ألفا مثقال بالتثنية ووجهها لحضرتنا العلية بالله وقد أعفيناها من الحركة بأنفسهم فليؤدوا العدة المذكورة ليقع التساوي بين القبائل كلها في الوظائف المخزنية"³، يتضح أن القبائل كانت ملزمة بتقديم الحراك أو المال الواجب لكل واحد حتى يقع التساوي بين القبائل كما أشار السلطان إلى ذلك في آخر الرسالة.

لا يصرح المخزن في معظم الأحيان بالوجهة المراد بلوغها ولا حتى الطريق الذي ينبغي سلكه، "وانهض بهم على بركة الله في أول مارس المقبل بحول الله، قاصدا رباط الفتح، وخيم بها هناك الى ان نامرك بما يكون عليه العمل"⁴، إلا بعد الاستعداد التام لخروج الحركة، فالمخزن "يعد العدة مبكرا لتحركاته، وإن ظلت وجهتها ومداها سرا مكنونا إلى آخر لحظة"⁵، وكان هدفه الأساسي من ذلك الحرص على الجانب الأمني وتحقيق الأهداف المتوخاة من وراء الحركة، إلى جانب الحيلولة دون فرار القبائل المتمردة على سلطته.

تكرر صدى إخفاء طرق ومسالك الحركات الموجهة للحوز في الرسائل المخزنية، وهو ما نستشفه من نص الرسالة التي بعث بها الشيظمي إلى المولى الحسن الأول بتاريخ 19 ماي 1873م، "ولم تبينوا لنا المحل الذي تجمع فيه ولا الطريق التي تمرّون منها

- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.162.

- ابن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة، ج1، م.س. ص.ص.189-191.

1- وقد وصف والتر هاريس ثقل هذه الحركات على القبائل التي تمر ببلادها والتي كانت ملزمة بتموينها، ما دفع بعضها إلى الفرار وإخلاء قبائلهم بمجرد قرب السلطان لهم فقد كان السلطان في بعض الأحيان يعبر أراضي مهجورة. انظر: - walter ,H, op.cit. P.12.

2- رسالة بتاريخ 28 شوال 1251هـ/ 15 فبراير 1836م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A15-007-001.

3- نفس الرسالة.

4- رسالة من السلطان مولاي الحسن الى القائد بنعيسى الزموري، بتاريخ 2 جمادى الأولى 1304هـ/ 26 يناير 1887م، م.و.م، المجموعة السادسة عشرة، م.س. ص.342.

5- بياض الطيب، المخزن والضريبة والاستعمار ضريبة الترتيب 1880-1915، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011. ص.155.

ونحب من سيدنا أن يبين لنا بيانا شافيا لنكون على بال وكذلك أمد الحركة باقي لم يصلنا كلام عليها كيف يكون فيها وعلى هذا نحب من سيدنا أن يبين لنا على ذلك كله"¹، يتضح أن المخزن أخفى وجهة الحركة حتى عن عمال المناطق التي عزم المرور منها ضمانا لنجاحها، فما الدور الذي لعبه الماء في اختيار طرق الحركة؟

1-2 الماء ووقت خروج الحركة:

تحكمت العوامل الطبيعية والمناخية في حرية تنقل السلطان من منطقة إلى أخرى، حيث أن الوسائل المادية والتنظيمية للمخزن كانت بسيطة في عمومها، ولا تسمح بنقل الجنود أو العتاد الحربي بالسرعة المطلوبة، أو حتى مواجهة الظروف الطبيعية كتهطل الأمطار وغيرها. وقد حتم هذا العامل الطبيعي على المخزن انتظار حلول فصل الربيع للشروع في الحركة، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الطبيعية والاقتصادية لكل جهة من جهات البلاد، فإذا تعلق الأمر مثلا بمنطقة جبلية كان المخزن يحل بها بداية شهر ماي وحتى نهاية شهر أكتوبر، أي وقت اخضرار الأراضي بالمرتفعات ووفرة الكلاء، أما في المناطق الأخرى فإن المخزن كان يعتمد الوصول إليها وقت اقتراب موسم الحصاد²، وهو وقت مناسب لتحصيل الضرائب، وكذا الحصول على "المونة" وهو ما أكد ابن زيدان بقوله: "فإذا انتصف النهار يأتي أهل تلك القبيلة بعدد وافر من الشعير والدقيق والسمن ورؤوس الضأن وعدد وافر من الدجاج يقفون خارج المحلة حتى يستأذن عليهم قائد المشور فيوجه من قبله مكلف بتقييد فيه بيان كيفية تفريق ذلك"³، أما إذا كانت السنة الفلاحية غير جيدة بفعل الجفاف أو غيره، فكان المخزن يتخذ التدابير اللازمة لضمان غذاء الجيش والدواب⁴.

1- رسالة من امحمد الشظمي إلى المولى الحسن، بتاريخ 22 ربيع الأول 1290هـ/ 19 ماي 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001-009.

2- الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج2، م.س. ص. 163.

3- ابن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة، ج1، م.س. ص. 189-193.

4- لغمائد عبد الله، المجاعة وهيكله الخاصة في منطقة سوس، م.س. ص. 393-395.

نظم السلطان المولى الحسن الأول في ماي سنة 1879م نحو تادلة - بالرغم مما خلفته أزمة سنة 1878م من أضرار اقتصادية واجتماعية وديموغرافية جسيمة- نظرا لتمرّد مجموعة من القبائل، وهكذا ففي طريق هذه المحلة أخضع المخزن كل من قبائل آيت عتاب على ضفتي واد العبيد، وكذا بني موسى وقصبة بني ملال. انظر: علمي أحمد، حركتنا السلطان الحسن الأول إلى سوس (1882-1886)، م.س. ص. 51.

كان المخزن غالبا ما يختار السنوات ذات المحاصيل الجيدة لتنظيم حركاته، ويتجنب إعدادها خلال فترات الأزمات المائية، غير أنه اضطر لتنظيم بعضها رغم الظروف الطبيعية، كما حدث سنة 1886م أثناء حركة السلطان المولى الحسن الأول إلى سوس¹. وإذا علمنا أن هذه الحركات كانت تدوم مدة طويلة تراوحت ما بين أربعة أشهر وستة أشهر وتارة سنة كاملة (مما أفضى أحيانا إلى أزمات في التموين، استفحلت مع قسوة الظروف الطبيعية)، فإن تموينها بقي رهينا بحجم المداخل الضريبية العينية المحصل عليها، ولعل هذا ما يفسر تزامن خروج الحركة في معظم الأحيان مع فصل الصيف، الذي تتم فيه عملية الحصاد وجني الفواكه²، وهي أوقات مناسبة تجمع بين ملائمة المسالك لتنقل الجيش من جهة، وبين وفرة الإمكانيات عند السكان لتجهيز المؤن وأداء الضرائب من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن المدة الزمنية التي كانت تستغرقها الحركة، اختلفت حسب طبيعة القبائل المقصودة³، وحسب علاقتها بالمخزن وكذلك نوع المشاكل المطروحة، وعلى العموم فقد عمل المخزن في أغلب الأحيان على إنهاء مسير الحركة مع بداية فصل الخريف، تفاديا لما كان يسببه فصل الشتاء من أضرار كانت تعرقل تنقل الجيش، ومع ذلك فإن بعض الفرق المخزنية كانت تضطر إلى البقاء في بعض المناطق حتى فصل الشتاء⁴.

1- قام السلطان بالحركة نحو سوس سنة 1882م، أو ما يعرف بحركة تزنييت وقد جمع لها عددا من الجيوش سواء عبيد البخاري، الوداية، الشراردة، وشراكة وسوس، وبلغ عدد فرسانها 9000 رجل وفاق عدد العسكر الرسمي 700، كما اتخذ المخزن جميع التدابير لتوفير المواد الغذائية اللازمة للحركة، وقد كلفت كل من قبائل دكالة وتامسنا بنقل القمح والشعير والتبن لمرسى الجديدة والدار البيضاء، ثم تكلف المخزن بنقلها إلى سواحل سوس هذا بالإضافة إلى حوالي 1500 جمل تحمل المؤونة أيضا، وأن هذه الاستعدادات خصصها المخزن لسوس إذ أن العادة في تجهيز المؤن خاصة أن تعتمد في ذلك على القبائل التي تتجه نحوها أو تمر عليها، وهذا راجع لعاملين أولهما خصوصية هذه الحركة والأسباب الكامنة وراءها، ثم عامل ثاني وهو المسيغة التي كانت تعرفها البلاد في هذه الفترة. انظر علمي أحمد، **حركات السلطان الحسن الأول إلى سوس (1882-1886)**، م.س. ص. 55.

2- بورقية رحمة، **الدولة والسلطة والمجتمع**، م.س. ص. 55-56.

3- كالحملة التي قادها المولى الحسن أثناء خلافته لوالده بمراكش نحو سوس عام 1280هـ/ 1863م، وكانت أطول الحملات إذ دامت عشرة أشهر، وقاد أيضا حملة إلى الشاوية، عام 1289هـ ودامت حوالي ستة أشهر. انظر:

- الكنسوسي محمد، **الجيش العرمم الخماسي**، ج2، م.س. ص. 18-20.

- معريش محمد العربي، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول**، م.س. ص. 63.

4- الشابي مصطفى، **الجيش المغربي**، ج2، م.س. ص. 162.

2-2 أهمية الماء في اختيار مسلك الحركة:

أولى المخزن عناية خاصة لاختبار طرق ومسالك موكب الحركة، حيث عمل على ضبط مراحلها، وتفقّد أماكن ونقط وجود الماء والكأ بها، شأنه في ذلك شأن تجار القوافل، بحيث "أن الاهتمامات التي كانت تشغل بال الرحلات السلطانية كانت هي نفسها تشغل الرحلات التي كانت تقوم بها القوافل التجارية من الاهتمام بالمسافات ووجود التضاريس الوعرة والسهول، ووجود مكان للتزود بالماء لسقي الدواب والناس"¹.

كان يتم اختيار أخصب الأراضي وأكثرها ماءً، ويتم تجنب المسالك الوعرة أو التي تفتقر إلى الكأ والماء، إلى جانب تفقّد أحوال القبائل التي ستمر الحركة على ترابها، وغيرها من الإجراءات التي تبتغي ضمان سلامة الجنود والحراك وإنجاح الأهداف التي سطرت للحركة. فمن كان يكلف بعملية الاستطلاع؟ وما الدور الذي لعبه داخل تنظيم الحركة؟

كان للمخزن رجال متخصصون في عملية اختبار الطرق ونقط وجود الماء وهم "الميقاتيين والمهندسين، وعرفاء عمليات التنقيب عن مكامن المياه الباطنية والكشف عنها، وآخرين كانت لهم دراية وتجربة في مجال عبور الأودية ومجاري المياه الأخرى"²، إذ يتوجه الميقاتيون لتحديد الموضع الذي يصلح لنزول المحلة وكذلك قدر المسافة بالساعات³، وضبط مواضع الماء الكافي لموكبها "وتصويرها سهلاً وجبلاً، وتقسيم مراحلها مرحلة مرحلة بالساعات والدقائق، وتعيين الميادين الصالحة للمقام الكفيلة بالاستراحة، وبيان المواضع التي فيها من الماء ما يكفي"⁴.

فعد توجيه الميقاتيين يبينون المسافة التي تفصل بين محل التخيم والماء، والأماكن التي يوجد بها الماء من تلك التي يقل فيها أو ينعدم، إلى جانب التقنيات المستعملة في

1- أفا عمر، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنات والتحويلات 1830-1912، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م. ص325.

2- الشابي، الجيش المغربي، ج2، م.س. ص.189. وفي رسالة أخرى بعث بها الحاجب أحمد بن موسى إلى الباشا حمو بين فيها الأهداف المتوخاة من إرسال المهندسين وفي مقدمتها اختبار الطرق ومكامن المياه لاختيار الطريق الأنسب: "طريق المحلة السعيدة وهي التي على طريق ابن الفاسي، ويمران على عين تشرصت ومنها لأعليل، ويقسماتها ساعتين ساعتين ونصف، وأحد المهندسين يرجع من عين تشرصت والآخر يرجع من أعليل، وقد كتبنا لقواد بني مطير بمثل هذا". رسالة من الحاجب أحمد إلى الباشا حمو بتاريخ 4 شوال 1305هـ/ 14 يونيو 1888م. م.س. ص.193.

3- Nicolas,M, op.cit. P.P.335- 340.

4- ابن زيدان عبد الرحمان ، العز والصولة، ج1، م.س. ص.191-192.

استخراجه، كما يقومون بتسجيل القبائل التي سيكون المرور عليها، وبعد إكمال تسجيل مراحل الحركة تقدم إلى خبير مخزني عارف بالطرق ومسالك الحركات، فيبدي رأيه فيها أو ينصح بتعديلات لضمان نجاح الحركة، ثم تعرض على السلطان ليكون " على بصيرة من عدد الساعات والدقائق التي يقطع في مدة السفر من أولها إلى آخرها"¹، وبعد إطلاعه عليه وإبداء ملاحظاته حوله يوقع عليه "بما يظهر له من الاستحسان أو عدمه"².

كانت الحركة غالبا تسلك الطرق المعروفة لدى العارفين بأحوال المناطق، وأماكن تواجد الماء ووفرة الكلاً، وهو ما أشارت إليه تسجيلات لعدد من مسالك الحركة التي أوردها ابن زيدان، وفيها "من جهة الطريق الكبير المعلوم للرائح والغادي... التي تصلح لمرور المخزن عليها"³، وأحيانا أخرى كان الموكب يمر من طرق معروفة مرت منها الحركات من قبل، وكانت تسمى بأسماء السلاطين مثل "الطريق السلطانية الاسماعيلية من ماسة الى وادي نون"⁴، أو كما جاء في رسالة للسلطان المولى الحسن الأول "إن شاء الله المرور على الطريق التي ورد عليها سيدنا الوالد قدسه الله"⁵، وبالتالي فالمحلات السلطانية كانت تسلك في بعض الأحيان طرقا معروفة للمخزن.

غير أن المخزن ما فتئ يبحث عن مسالك جديدة تكون أحسن حالا من تلك المعروفة ويوجه من يختبر صلاحيتها، كما كان يتجنب السير بالمسالك الجبلية نظرا لصعوبتها "وهذه الطريق من يفرن الى اكلميم كلها طريق سهلة لا وعر ولا جبل بل بينهما فضاء واسع بعيد عن الجبال"⁶.

أما في ما يخص تأمين موكب الحركة فقد كان يُعهد به إلى عناصر معينة من الكيش أو العسكر، كالقيام بالتحريات الأولى⁷ وضمان أمن الطرق تزامنا مع خروج الميقاتيين

1- ابن زيدان عبد الرحمان ، العز والصولة، ج1، م.س. ص.139.

2- ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.617.

3- ابن زيدان، العز والصولة، م.س. ص.195.

4- نفسه، ص.194.

5- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى عامل فاس أبي العلاء إدريس السراج بتاريخ 4 رمضان 1290هـ/ 25 أكتوبر

1873م. ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص.164.

6- ابن زيدان عبد الرحمان، العز والصولة، ج1، ص.195-196.

7- وهو الأمر الذي أشارت إليه إحدى الرسائل ونصها كالآتي: "فيسلك المقيدون بالطرة يمنتها، وجههم مولانا أيده الله للحاجب والرعية، واختبار طريق المدفع والجمال والروام، وغير ذلك من الأثقال، والمسلك السهل من غيره، فعن الأمر

لاختبار المسالك، وأحيانا أخرى كان المخزن يأمر القيادة باختبار الطرق المزمع المرور عليها¹، وإذا تبين أن هذه المسالك أو أجزاء منها كانت تفتقر إلى الإصلاح كإزالة الأحجار وغيرها، يأمر السلطان بإنجاز الأشغال الضرورية لتقويم ما فسد منها².

عرفت حركات المخزن بمرورها بنقط الماء بين كل مرحلة وأخرى، وهو ما ينطبق على مجال حوز مراكش حيث وقع الاختيار على الطرق التي تتخللها وديان وعيون إلى غير ذلك، كما هو الحال بالنسبة للحركة التي نظمها المولى الحسن في حياة والده سنة 1290هـ/1873م، بهدف استطلاع مجال الحوز فنزل "بوادي شيشاوة للمحل الصحيح على ضفة النهر بشيشاوة"³، للإقامة بالمنطقة مدة "يومين أو ثلاثة لسيدي المختار ببلاد أولاد أبي السبع أمد الله سيدي بقوته وأعانك على طاعة سيدنا وخدمته"⁴.

وفي بعض الأحيان كان يتم السكوت عن تفاصيل الحركة والمسار الذي ستتبعه، كما هو الحال في حركة السلطان الحسن الأول من مكناس إلى مراكش سنة 1298هـ/1881م حيث تم اختصار تفاصيلها كالتالي: "من مكناس إلى مراكش على زمور على الرباط على زعير... وفيها عيد الفطر على تادلة والسراغنة والرحامنة إلى مراكشه"⁵.

وفيما يلي ذكر بعض الحركات التي مرت بمجال حوز مراكش وتحديد نقط الماء والمسالك التي اتبعتها، وذلك اعتمادا على بعض الرسائل والكنانيش المخزنية.

الشريف، فاضهم في ذلك، وعين من يدلهم على اختبار ما يختبره ولا بد". رسالة بتاريخ 10 شعبان 1305هـ/ 22 أبريل 1888م. الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج2، م.س. ص.190.

1- السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009. ص.ص. 64- 67.

2- كما جاء في إحدى الرسائل السلطانية للمولى الحسن الأول بعث بها إلى القائد لحسن السكسيوي أثناء حركته الثانية لسوس سنة 1886: "فقد أمرنا خدامنا... بإصلاح كل الطريق التي تمر بها محلتنا السعيدة من بلادهم.. فنأمرك أن تقف معهم على ذلك حتى يتم الغرض وفق المراد بحول الله، وبمثله أمرنا الخديمين .. والدليمي". رسالة بتاريخ 14 رجب 1303هـ/ 18 أبريل 1886م، الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج 2، م.س. ص.195.

3- رسالة من موسى بن أحمد إلى الخليفة المولى الحسن، بتاريخ 8 ربيع الثاني 1290هـ/ 4 يونيو 1873م، م.و.م، الرباط، محفظة رمز: A17-001-002.

4- نفس الرسالة.

5- خ ح، الرباط، ك رقم: 12059. ص.2.

جدول رقم 17: الحركات السلطانية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر

الحركة	السنة	نقاط الماء	مدة السير بالساعات والدقائق	المصدر
من مراكش نحو فاس	1876م	بعدوة وادي نفيس فوادي شيشاوة لعين اماست فوادي بورريقي بقبائل حاحا	4 ساعات 3 ساعات 3 ساعات	ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس، ج2، م.س. ص 248- 250.
من مراكش إلى سوس ¹	1882م	عدوة واد نفيس من واد نفيس إلى منزلة المزوضي من منزلة المزوضي إلى شيشاوة من واد شيشاوة إلى سيد المختار من سيد المختار إلى عين أماست من عين أماست إلى جمعة لكريمة	4 ساعات 5 ساعات و 30 دقيقة 3 ساعات ومقامهم فيها يوم 4 ساعات و 15 دقيقة 3 ساعات 3 ساعات 30 دقيقة	الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 12059. ص.2.
من مراكش إلى اكلميم	1886م	من مراكش إلى واد اسمار من واد اسمار إلى زاوية الشرادي من زاوية الشرادي إلى واد الحلوف ومن واد الحلوف إلى لمغيسلت من لمغيسلت إلى زيمة من زيمة إلى سوق الأحد بقرب زاوية سيدي التهامي	2 ساعات و 30 دقيقة 3 ساعات 30 دقيقة 3 ساعات 3 ساعات 3 ساعات و مقامهم فيها يوم واحد 2 ساعات و 30 دقيقة	الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 6870. ص 1- 2.
من مراكش إلى مكناس	1887م	من مراكش إلى الفيض بلاد الرحامنة من الفيض إلى تغزريت بلاد مسفيوة من تغزريت إلى سيدي رحال	3 ساعات و 15 دقيقة 2 ساعات و 40 دقيقة 2 ساعات و 30 دقيقة	الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 12059. ص 7.

1- وفي طرة الكناش تمت الإشارة إلى الغلاء وأن السلطان حصل على القمح والشعير اللازمين للحركة باستيراده من البلدان الأجنبية، وعبر عنها كاتب الرحلة بقوله " وحين يتلاقيا البحر مع المحلة تقبض المعونة" أي أن السلطان اتبع مسالك تمر عبر المراسي المغربية ليتزود بالمواد الضرورية.

		من سيدي رحال إلى عدوة واد تساوت من تساوت إلى دار ابن الموزن من دار ابن الموزن إلى دمنات		
من مراكش إلى فاس	1891م	من مراكش إلى بعد زاوية ابن ساسي بربع ساعة. من بعد زاوية بن ساسي إلى راس فيطوط من راس فيطوط إلى بين تملالت الجديدة والقديمة وقبور جزية. من تملالت إلى القلعة على الطريق المنكبة. من القلعة إلى الدشرة من الدشرة إلى عدوة واد العبيد من عدوة واد العبيد إلى دار زيدوح.	3 ساعات و15 دقيقة 2 ساعات و25 دقيقة 2 ساعات والمقام 6 أيام 3 ساعات و ومقاهم فيها يوم واحد 4 ساعات 2 ساعات 4 ساعات و30 دقيقة. 4 ساعات و45د ويوم 2 ساعات و35 دقيقة. 2 ساعات و20 دقيقة.	الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 12059. ص 23.

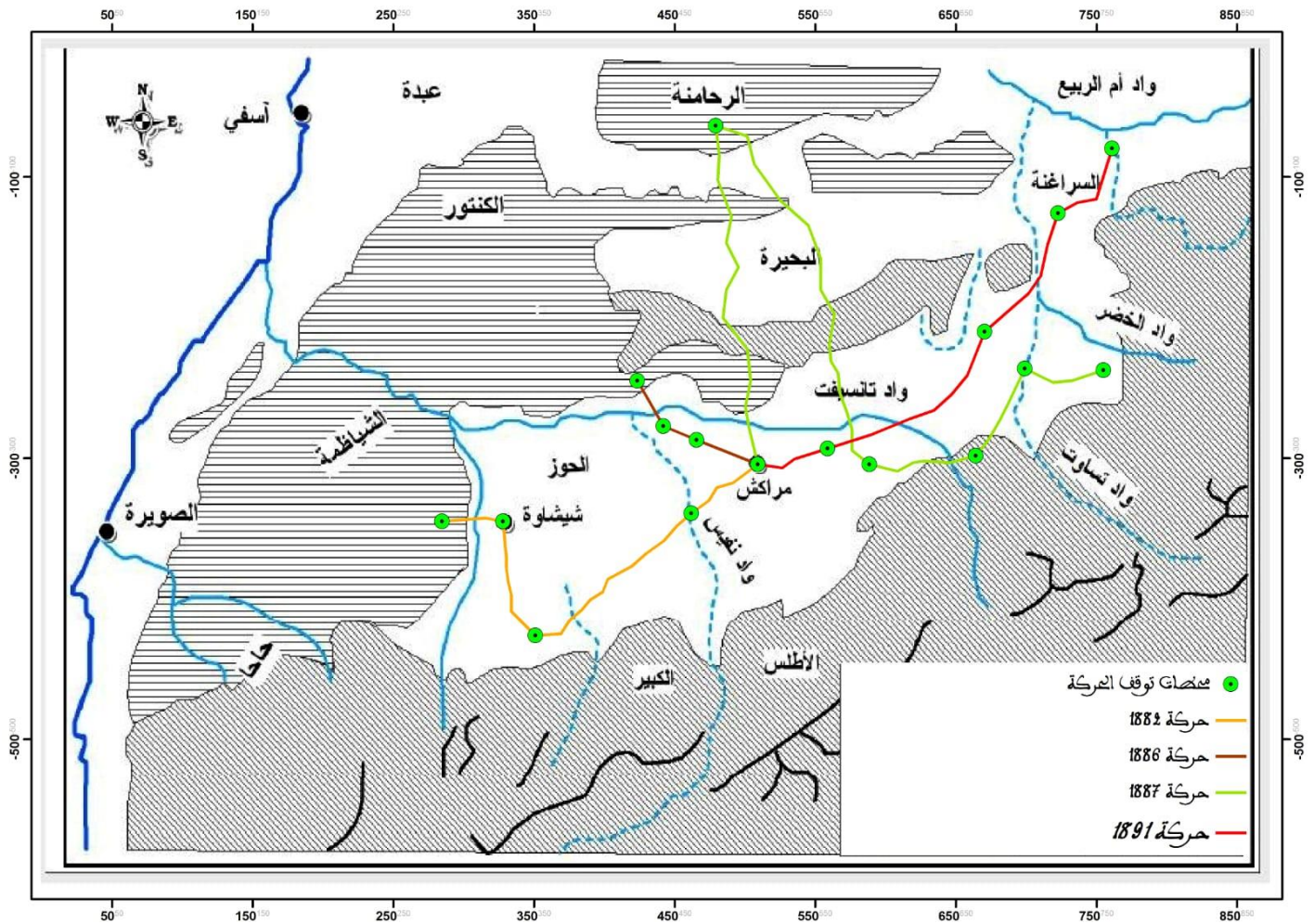
يتضح من خلال حركة سوس أن طريق الذهاب هي نفسها طريق الإياب في مجال الحوز، وقد تمت الإشارة إليها بالساعات والدقائق وعدد ليالي المبيت (المقام) وكذا المراحل أي أماكن ونقاط التوقف، وقد بلغت مدتها ذهابا وإيابا خمسة وسبعين يوما و43 مرحلة و170 ساعة¹، قطعوا منها بالحوز ذهابا وإيابا 46 ساعة و30 دقيقة أي قضوا 23 ساعة و15 دقيقة ذهابا ومثلها إيابا.

بالنسبة للحركة من مراكش إلى واد نون، وقع بثر في الكناش فلم نعلم طريق الإياب ومجموع مراحل هذه الحركة، أما الحركة المنظمة من مراكش إلى مكناس فقد اتخذ السلطان طريق الرحامنة، وبين كل مرحلة ومرحلة نجده يقيم ببعض المناطق كدمنات مثلا التي قضى بها 6 ليال ومنطقة الويدان "بلاد ايت بوزيد" بين واد العبير وواد حنصالة 12 ليلة ومنطقة بني معدن 8 ليال ونتيفة 6 ليال، حيث تمت الإشارة إلى عبارة "أكل سيدنا بني معدن" و"أكل سيدنا نتيفة" أي أن المقصود هنا هو عملية تأديب هذه القبائل وأخذ ما

¹ - خ ح، الرباط، ك رقم: 12059. ص.2.

بحوزتها، ولعل هذا ما يفسر طول عدد الأيام التي قضاها السلطان في هذه الحركة 115 يوم والتي تفوق نظيرتها بسوس نظرا لتوقفات السلطان المتكررة وتأديبه لعدد من القبائل التي سبقت الإشارة إليها. وفيما يلي خريطة توضح مسار الحركات المخزنية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، والتي تختزل ما ورد في الجدول أعلاه:

خريطة رقم 6: مسار حركات حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر



المصدر: عمل شخصي

3- الأزمات المائية وأثرها على الحركات المخزنية بمجال حوز مراكش:

واجهت الحركة مجموعة من الصعوبات سنركز على الطبيعي منها لعلاقته بعنصر الماء، سواء تعلق الأمر بعبور الأودية وقلة الأمطار أو كثرتها، فما أهم هذه العوائق؟ وهل كان العامل الطبيعي سببا وراء التراجع عن بعض الحركات؟

تمثلت الصعوبات التي واجهت الحركات السلطانية في تساقط الأمطار أو الثلوج وكذا عبور الأودية خاصة عند ارتفاع منسوب المياه، إلى جانب استفحال المجاعات والأوبئة التي فتكت بالناس وخلفت خسائر سواء في الأرواح والدواب¹.

يبدو أن عامل المناخ تحكم كثيرا في تحديد مسار الحركة، ذلك أن الحركة الأولى للمولى الحسن الأول بعد توليته خلفا لأبيه، كانت تهدف الانطلاق من مراكش في اتجاه فاس عام 1290هـ/ 1873م، عبر المرور على " طريق تادلا، ومنها لورديغة، ثم بنى زمور، ثم السماعيل، ومنها لزعر ومنها بحول الله لزمور، ومنها لمكناس"²، غير أن الظروف الطبيعية حالت دون رغبة السلطان، فسلك طريقا آخر غير الذي ذكر، وهو ما أشار إليه ابن زيدان بقوله "ثم بدا له [المقصود هو السلطان الحسن الأول] لما بارح مراكش المرور على غير الطريق... لأزمور منها: ان الزمان كان زمن برد وشتاء يصعب بسبب ذلك سلوك ذلك السبيل مع قلة التبن والشعير لعلف الدواب في ذلك الابان بتلك القبائل"³.

وإذا كان الماء وراء نجاح الحركة في العديد من الأحيان، فإنه في أحيان أخرى كثيرا ما عرقل سيرها، فقد واجهت الحركة -إلى جانب الأمطار الكثيرة- مشكل عبور الأودية الذي كان يستغرق وقتا طويلا من زمن الحركة سيما إذا تزامنت عملية العبور مع تهطل الأمطار، وذلك راجع بالأساس لعتاقة الوسائل المستخدمة، وهذا ما أكدته رسالة القائد سعيد بن عمر الشيطمي الذي صادف مسيره منسوب المياه المرتفع لواد تانسيفت "بلغنا واد تنسيفت، فوجدناه مانع القد، وأقمنا نحو ثلاثة أيام حتى قطعناه بالمشقة. وقصدنا مشرع أبو الأعوان ببلاد دكالة، فحل بنا المطر الكثير، وأقمنا بها يوم... ونحب من سيدي كلامه

¹- الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج 1، م.س. ص. 440.

²- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 2، م.س. ص. 164.

³- نفسه. ص 165.

الشريف لخدِيم سيدنا الفرجي يأمر إخوانه العوامة يقوموا معنا على ساق الجد في تقطيع المحلة¹، ومنه نستنتج أن القائد المذكور انتظر زهاء ثلاثة أيام حتى يتراجع منسوب مياه الواد لعبوره، كما وصف المشقة التي تم بها الأمر، وفي نهاية الرسالة طلب من السلطان الكتابة للقائد الفرجي بتوجيه العوامة لمساعدته في العبور بالحركة بعدما صادفها المطر الكثير بدكالة.

تزامن خروج الحركة مع استفحال المجاعات والأوبئة، ما نتج عنه خسائر بشرية سواء في جيش الحركة أو عموم الناس، وفي هذا الإطار يمكن إدراج الحركة التي تزعمها السلطان محمد بن عبد الرحمان من مدينة مراكش نحو مدينة فاس عام 1868م، حيث كان وباء الكوليرا متفشيا في كل من مدينة مكناس، سلا والرباط، وهكذا فبوصول الجيش إلى واد أبي رقراق، تسبب احتكاك فرق منه مع تلك التي كانت بالرباط في انتشار العدوى على ضفاف الواد وتفاشي الوباء في صفوف الحرّاك²، فاضطر المخزن إلى التراجع عن حركته ضد قبائل زعير والرجوع إلى مكناس.

في بعض الأحيان فر معظم المشاركين في الحركة لما انتشرت الأمراض وارتفعت الأسعار، ففشل تنظيم الحركة "يعلم مولانا دامت سعادته أن جميع من توجه من المحلة السعيدة من المخزنية والعسكر فارا أو مع الدفع لم يرجع أحد منهم بالكلفة زيادة على ما هو واقع من كثرة الأمراض حتى أنه لم يوجد من يقوم بالعسة³".

اضطر المخزن إلى التراجع عن مجموعة من الحركات، بسبب تكاليف سنوات من الجوائح والكوارث الطبيعية، كالجفاف، الجراد، المجاعة وغيرها، فقد شهدت مثلا الفترة الممتدة ما بين 1867-1869م توالي موجات الجفاف، الأمر الذي دفع بالسلطان محمد بن

1- رسالة من القائد سعيد بن عمر الشيطمي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 22 رمضان 1307هـ/ 3 غشت 1890م. نفسه. ص. 202.

2- كلف فريق من الجيش السلطاني بجلب الماء من واد أبي رقراق، وفرقة أخرى من جيش الأمير مولاي اسماعيل تقوم بنفس العمل على الضفة المقابلة -أي جلب الماء-، ومن المعروف أن الكوليرا تستطیع التكاثر في المياه الجارية، ومن ثم فإن تماس الناس بواسطة الماء يؤدي إلى انتقال المرض ضمن دائرة مغلقة الإنسان - الماء - الإنسان. انظر: البزاز محمد الأمين، الأوبئة والمجاعات، م.س، ص. 220- 221.

3- رسالة من السيد عثمان إلى السلطان، بتاريخ 21 صفر 1305هـ/ 7 نونبر 1887م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

عبد الرحمان إلى العدول مؤقتا عن حركاته الكبرى¹، في حين استمر القياد بشن بعض الهجمات على القبائل العاصية لتأديبها²، كما لم ينظم السلطان الحسن الأول حركات سنة 1878م نظرا لقلّة الأمطار وارتفاع الأسعار، فبقي في مراكش "وسبب ذلك قضى سيدنا بمدينة مراكش كان فيه قلّة المطر والجذب والغلاء والعياد بالله"³.

خلف تنظيم الحركة إبان الجفاف عدة مشاكل في مقدمتها تأمين المواد الغذائية للمشاركين فيها، كما هو الحال حين أمر السلطان الحسن الأول محمد بركاش بالتعاقد مع التجار الأجانب لجلب القوت والعلف لمحلة السلطان المنطلقة من مراكش إلى سوس، نظرا للجفاف الذي ضرب الجنوب وقلّة الأقوات به، ونص الرسالة كالآتي: "نأمرك أن تنظر كبنانية أو تجارا وتكلمهم بأن يجلبوا من بر النصرى في البابورات ومراكب القلع القوت للمحل الذي تكون فيه المحلة بسوس دقيق القمح والأرز حبوبا والزيت والسكر والأتاي والقهوة وجميع أنواع الأكل التي يأكلها المسلمون... ولا يعطون عليها من الأعشار على ذلك حيث كان مجلوبا لقوت المحلة لا للتجارة فيه"⁴، كما أن السلطان اضطر إلى اتباع المسالك القريبة من المراسي المغربية ليتزود بالمواد الضرورية، وهو ما عبر عنه كاتب مراحل الحركة بقوله "وحين يتلاقيا البحر مع المحلة تقبض المعونة"⁵.

دفع تفشي النهب والغلاء في بعض الأحيان المخزن إلى تنظيم حركات لمنع النهب وتأمين الطرقات، وهو ما يستشف من الرسالة التي بعث بها القايد أحمد بن القايد والذي كان على رأس حركة بمنطقة بني مسكين أثناء معايدته للسلطان بمناسبة عيد الأضحى "وأن هذا الكتاب كتبته لمولانا أمام البروج طرف بلاد بني مسكين نازلا هناك بالمحلة السعيدة لإصلاح الطرقات فإن بعض القفل كانت نهبت بساحة احم بمشروع واد أم الربيع ومن ذاك سيدي قمت لتعمير تلك البلاد مع انها سيدي خالية من الزرع والتبن... بلغ الزرع فيها

¹- Nicolas, M, op.cit. P.331.

²- الشابي مصطفى، الجيش المغربي، ج 2، م.س. ص.210.

³- خ ح، الرباط، ك رقم:12059. ص.1.

⁴- رسالة من السلطان الحسن الأول إلى محمد بركاش، بتاريخ 28 جمادى الأولى 1299هـ/ 17 أبريل سنة 1882م، الوثيقة 1532، م.و.م، الوثائق، المجموعة الثالثة عشر، م.س. ص.159.

⁵- خ ح ، الرباط، ك رقم:12059. ص.2.

الغلاء الشعير خمسة وثلاثين وقيّة والقمح ستة وخمسين وقيّة نسل الله السلامة"1، يتضح أن الهدف من وراء هذه الحركة يتجلى أساسا في إصلاح الطرق وتأمينها بعد نهب عدة قوافل بها، إلى جانب تعميرها إذ عرفت غلاء كبيرا في الأسعار.

عموما فالملاحظ أن الماء ظل حاضرا في الترتيبات المخزنية للحركات، باعتباره أحد العناصر الفعالة التي تقف وراء نجاح الحركة، إذ يتم غالبا الإعداد لها على مسافة زمنية طويلة نسبيا خصوصا في ما يهم موضوع تأمين الماء، حيث يخرج الميقاتيون لتحديد أسهل الطرق وأقربها وأكثرها ماء ومرعى، فالمخزن لا يحسم أمر الخروج إلا بعد التقرير الذي يقدمه الميقاتي.

وكما لعب الماء دورا أساسيا في الحركة فإنه كثيرا ما وقف وراء موجة العراقيين التي واجهتها أحيانا، حيث تزامن خروجها في بعض الحالات مع موسم الشتاء وارتفاع منسوب مياه الأودية، ما دفع بالمخزن إلى تغيير مسار موكب حركته نحو طرق ومسالك أسهل، أو التراجع عنها إبان فترات الجفاف والمجاعات والأوبئة.

وبالتالي يمكن اعتبار عنصر الماء من العناصر الأساسية في تدبير ونجاح الحركة خلال القرن التاسع عشر، حيث كان الركيزة التي اعتمد عليها المخزن لرسم الطرق والمسالك لبلوغ الوجهة المقصودة، وتحقيق الأهداف المتوخاة من الحركة.

1- رسالة من أحمد بن محمد بن القايد إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 30 ذو القعدة 1265هـ/ 16 أكتوبر 1849م، م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم:1.

خاتمة الباب:

شكل الماء أساس الحياة والاستقرار البشري، وقد شهد مجال حوز مراكش استقرار عدة مجموعات بشرية بجانب الوديان والعيون، ولا شك أن الأزمات المائية التي شهدتها المغرب عموماً خلال القرن التاسع عشر قد أثرت على البنية القبلية في مجال الحوز، وهو ما ترجم في عدة نقط أساسية:

- ✓ تأثير الأزمات المائية على التحصيل الضريبي بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، واختلاف السياسات الضريبية التي نهجها المخزن إزاءها عقب السنوات الجافة ونظيرتها المطيرة، وما نتج عن هذه السياسات من تغيير في البنية الديمغرافية نتيجة الهجرة أو الفرار من المجال.
- ✓ جمعت المخزن والقبيلة علاقات مختلفة حول الماء، فقد اشتغلت القبائل في أراضي المخزن وعملت على كنس وإصلاح السواقي، إلى جانب إنعام المخزن على بعض قبائل الحوز بأراضي مع ما ارتبط بها من ماء في محاولة لاستمالتها وضمان استمرار ولائها لسلطته ونفوذه.
- ✓ عمد المخزن إلى التحكم في المجال القبلي عبر تسخير نفوذه وهيمنته على السواقي الكبرى، إذ عمد إلى ترحيل بعض القبائل من المناطق الخصبة إلى مناطق بعيدة عن عنصر الماء، وتوطين قبائل أخرى موالية لسلطته بأخصب الأراضي، وهو ما أدى إلى تغير البنية الديمغرافية لحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.
- ✓ نشبت حول عنصر الماء بمجال الحوز منازعات مائية احتدمت مع فترات الجفاف حيث ساد النهب والسرقعة، مما اضطر المخزن إلى التدخل كأحد أوجه تدبيره وتأكيد نفوذه وسلطته بالمجال، وقد تنوع هذا التدخل بين تعيين أرباب البصر والمعرفة، وبين إصدار الأوامر بإرجاع الفارين أو القضاء على المتمردين، وأحياناً أخرى بتنظيم حركات للحسم في النزاع وتفقد أحوال المنطقة في الآن ذاته.

خاتمة:

يكاد يجمع الباحثون المهتمون بتاريخ المغرب على أهمية موضوع الماء، ومغامرة الإقدام على الاشتغال عليه، نظرا لقلّة مادته المصدرية التي غلبت عليها بعض الإشارات العابرة والمتناثرة، خاصة حينما يتعلق الأمر بالبحث المونوغرافي، فقد احتل الماء موقعا هامشيا وكانت الإشارة إليه تتم في إطار علاقته بالأحداث العامة، على الرغم من كونه أحد مفاتيح التاريخ الأساسية إلى جانب الدين والعصبية. فكان الرهان الأساسي لمشروع البحث جمع مادة علمية قابلة للاستثمار وإخضاعها للتحليل والتركيب وتحقيق تراكم معرفي للكشف عن علاقة التأثير والتأثر بين الماء والسلطة بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

ساعد الرصيد الوثائقي المطلع عليه من الوقوف على جملة من القضايا المرتبطة بعلاقة مختلف أقطاب السلطة المخزن والزاوية والقبيلة بالماء في مجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، والتي يمكننا من خلالها التأكيد على نفوذ وقوة المخزن من خلال عنصر الماء مقارنة بباقي أقطاب السلطة، بل والأكثر من ذلك هو تحكمه في بعض القبائل واستمالاته لبعض الزوايا من خلال الإنعامات المائية. وعموما يمكن إيجاز علاقة الماء بالسلطة في حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر في عدد من القضايا المركزية كالآتي:

الماء أساس الاستقرار: شكل الماء أساس الحياة والاستقرار البشري، وقد شهد مجال حوز مراكش استقرار عدة مجموعات بشرية بجانب الوديان والعيون، سواء بفعل الهجرة أو نتيجة لتدخل المخزن الذي عمد إلى توطين قبائل جديدة بالمجال كما هو الحال بالنسبة لقبائل: آيت إيمور، الأوداية، المرابطين...، وقد وقفنا عند هذه المسألة كذلك من خلال تموقع معظم زوايا حوز مراكش بالقرب من مصادر المياه، "آخذين بالمبدأ المقدس" القاضي بمشروعية تعمير وإحياء موات الأراضي، ما شجع شرفاءها على ممارسة النشاط الفلاحي، ومن ثم اضطلاع الزاوية بالمجال الاقتصادي وتكديسها لرأسمال رمزي مائي مهم.

الماء كآلية للتحكم في المجال: سعى المخزن إلى امتلاك النصيب الأكبر من الحقوق المائية بمجال الحوز، كيف لا وقد أحدث العديد من السواقي به إلى جانب امتلاك العيون، ما خول له التحكم في المجال عبر تسخير نفوذه وهيمنته على الماء لتشتغل القبائل في أراضيها وتعمل على كنس وإصلاح سواقيه، إلى جانب تحكمه في البنية القبلية إذ أخذ يوطن قبيلة معينة موالية لنفوذه وسلطته ويعمل على تهجير أخرى، ويدعم نفوذ زاوية معينة ويمتعتها بظواهر التوقير والاحترام وإنعاماته المائية (زاوية تامصلوحت) والقضاء على الزوايا المخالفة له (زاوية الشراذي).

شكلت الإنعامات المائية وسيلة للتحكم في المجال، وقد انبثقت من طرح إشكالي مفاده اعتماد المخزن العلوي وقبله السعدي على قبائل الكيش، عوض العصبية القبلية التي اعتمدت عليها دول العصر الوسيط المغربي، إذ أن الدولة تأسست على مفهومي الشرف والجهاد، وكانت في حاجة لدعم وولاء القبائل، فكان الإنعام عليها بالأراضي مع ما ارتبط بها من ماء الوسيلة المثلى لتحقيق ذلك، فأصبحت الأرض والماء بمكانة العصبية، وهكذا تمكن المخزن من استمالة القبائل والزوايا على حد سواء.

وبما أن المخزن كان المهيمن على المسألة المائية فقد ساهم في تغيير البنية العقارية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر، وذلك من خلال مصادرة الحصص المائية سواء تعلق الأمر برجاله أو القبائل أو الزوايا، ففيما يتعلق بمؤسسة القبيلة فقد عمد المخزن إلى ترحيل القبائل عن المناطق الخصبة ذات المياه الوفيرة إلى المناطق الأقل خصوبة كما هو الحال بالنسبة لمجاط، وذلك في إطار سياسة مخزنية تهدف إلى حفظ التوازنات القبلية داخل المجال، أما في ما يخص مؤسسة الزوايا فقد أدرك المخزن الدور الأساسي الذي تلعبه والذي من خلاله سَهِّلَ عليه بسط نفوذه وسيطرته على القبائل الحوزية، فكانت مصادراته مؤقتة ومرتبطة بالجفاف وتراجع منسوب المياه بالسواقي.

التدبير المخزني للأزمات المائية: شكلت الأزمات المائية التي عرفها المغرب عموما ومجال حوز مراكش خاصة، عائقا بنيويا حال دون تحقيق التوازن الاقتصادي، فقد عرف المجال توالي أزمات مائية شبه دورية خلال القرن التاسع عشر جراء سنوات الجفاف وما

أعقبها من مجاعات وأوبئة، أدت إلى ارتفاع معدل الوفيات، ولعل هذا ما يفسر ضعف المردودية الفلاحية ومن تم تأزم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص. فرضت هذه الأوضاع على المخزن نهج سياسة الإغاثة (الغوث) كأحد واجباته تجاه القبائل، واتخاذ مجموعة من التدابير كتوفير الحبوب عبر نقلها من مناطق الوفرة إلى مناطق القلة أو جلبها من خارج البلاد أحيانا أخرى، كما عمل على محاربة سياسة الاحتكار وارتفاع الأسعار وكذا عمليات النهب والسرقعة التي كان يشهدها المجال سنوات الجفاف، غير أن هذه الإجراءات بقيت محدودة ولا ترقى إلى المستوى المطلوب، وقد توقفنا من خلال البحث عند أحد العوامل الأساسية التي ساهمت في قصور فعالية تدخل المخزن ومحدودية تدابيرها خلال فترات الجفاف والمتمثلة بالأساس في الظروف السياسية والاقتصادية التي كان يعيش على إيقاعها مخزن القرن التاسع عشر، ذلك أن هزائمه العسكرية (إيسلي 1844م وتطوان 1859-1860م) ساهمت في إفراغ خزينته المالية، ما دفع به إلى نهج مجموعة من الإصلاحات على المستويين العسكري والجبائي.

وقد أدرك كل من السكان والمخزن خطورة الأزمات المائية وما ارتبط بها من مجاعات وأوبئة، غير أن استعدادهم لمواجهتها لم يتجاوز إقامة مخازن للحبوب أو جلبها من مناطق أخرى، عوض تطوير التقنيات الزراعية التقليدية، والاستفادة مما وصل إليه الغرب خلال هذه الفترة، إذ ظلت التقنيات الفلاحية تقليدية عتيقة، وظل اقتصاد المغرب معتمدا على الفلاحة التي كانت بدورها مرتبطة بما تجود به السماء من أمطار، فكان الجفاف وما واكبه من مجاعات ووفيات سببا في عدم نجاعة التدابير المتخذة بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر.

قضايا مرتبطة بالأزمات المائية والتحصيل الجبائي المخزني: وللكشف عن أوجه تأثير الماء على السياسة الضريبية التي نهجها المخزن خلال القرن التاسع عشر، وقفنا عند الإصلاح الجبائي الذي أثقل كاهل الناس بالضرائب في الوقت الذي تضرروا فيه كثيرا من توالي سنوات الجفاف، واختلاف السياسات الضريبية من سنة إلى أخرى، كأن يؤجل

تحصيلها من المناطق المتضررة إلى المواسم الفلاحية الجيدة نسبياً، فتظافرت العوامل الطبيعية وتراكم الضرائب المخزنية لتدفع بالناس إلى التمرد والعصيان.

لم تقتصر ردود الفعل الاجتماعية خلال هذه الفترة على التمرد بل تعدته إلى الهجرة للبحث عن القوت في مناطق تكون أحسن حالاً، أو للفرار من التدخل المخزني المباشر لتأديبها وتحصيل ما بذمتها من ضرائب، وهنا يطرح إشكال التحركات القبلية (هجرة، نزوح...) وأثره على تنظيم وتدبير الثروة المائية، فقد اتضح من خلال البحث أن الجفاف مؤثر وموجه لسلوك الإنسان وعاداته، كما أكد على ذلك ابن خلدون حين أشار إلى دور المناخ في تحديد طبائع البشر وسلوكياتهم.

قضايا الماء والحركات المخزنية: تحكم الماء في جل التدابير والإصلاحات التي اتخذها المخزن خلال هذه الفترة بما في ذلك ظاهرة الحركة، التي كان المخزن مواظباً على القيام بها لفرض سلطته ومواصلة حضوره بالمجالات التي ترددت فيها مظاهر التمرد والعصيان، وكان لعنصر الماء الدور الكبير وراء نجاحها أو فشلها، بل المتحكم في تنظيمها وتوقيت خروجها وحتى مسارها، إذ لا يمكن خروج الحركة دون تحديد الطرق المناسبة لعبور الحراك من حيث التوفر على الماء والكأ لضمان وصولها الآمن.

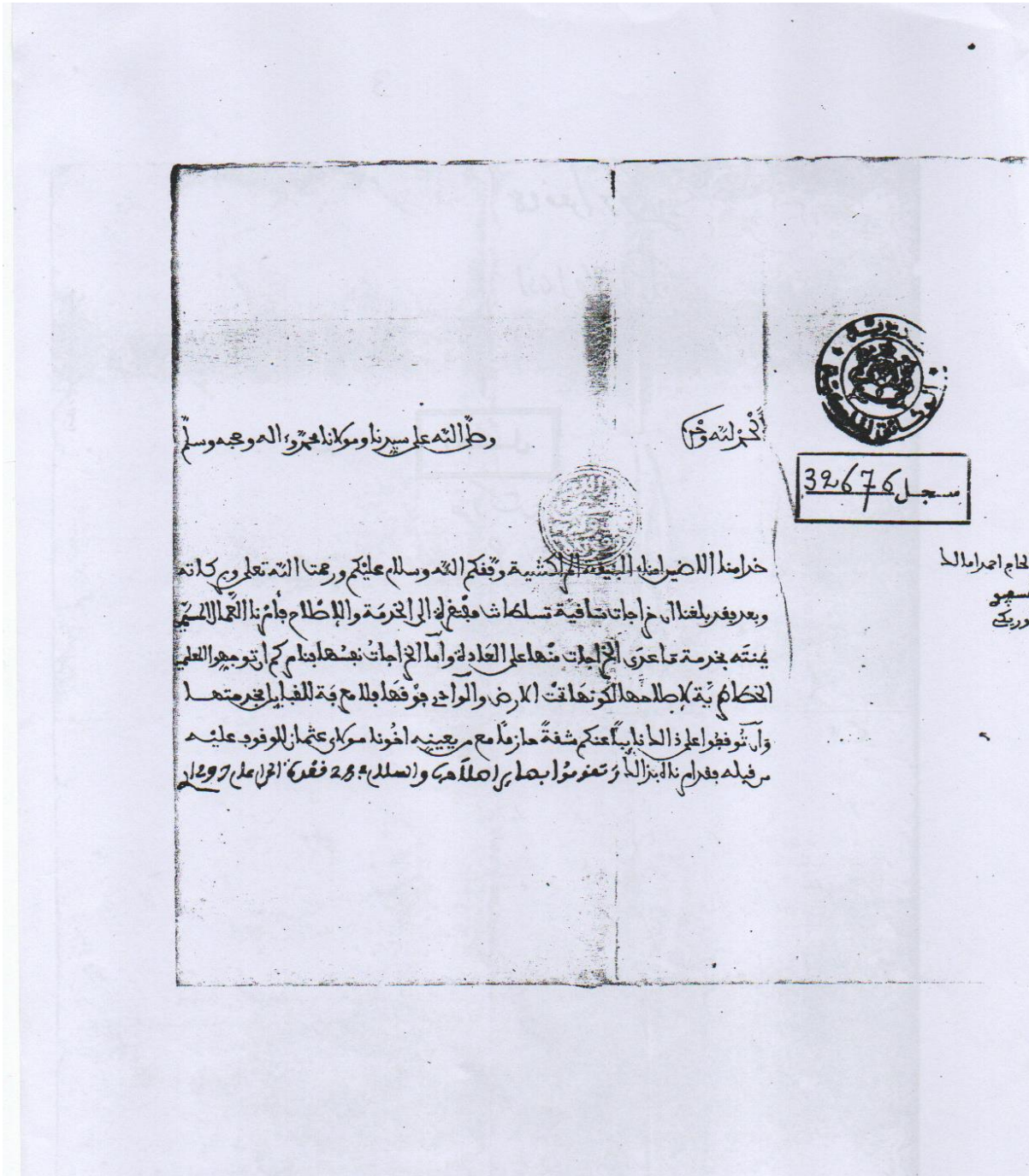
قضايا المنازعات المائية: شكل موضوع الماء محركاً للصراع -خاصة عقب توالي سنوات الجفاف- بين مختلف أقطاب السلطة وعلى مختلف المستويات سواء كان صراعاً بين قبيلة- مخزن/ مخزن- زاوية/ زاوية - قبيلة/ زاوية-زاوية/ قبيلة-قبيلة، وقد تمكنا من رصد العلاقة القائمة بين هذه الأقطاب الثلاثة لفهم الصراع الذي ظل يتجدد خلال القرن التاسع عشر، وهو ما انعكس دون شك على الأوضاع العامة بمجال حوز مراكش. لقد دفع الجفاف بالقبيلة إلى تجاوز نفوذ المخزن وحرمة الزاوية والترامي على المياه المشتركة بينهم أو حتى المياه التابعة للمؤسستين، كما شكلت الإنعامات المائية سبباً في العديد من الصراعات، إذ تضررت بعض الجهات من إنعام المخزن على جهات أخرى حديثة العهد بالمجال خاصة عقب فترات الجفاف. وعندما تفشل الأعراف المحلية وكذا محاولات الزوايا يبرز الدور التحكيمي للمخزن وذلك بالاعتماد على مجموعة من الآليات من بينها:

استصدار الظواهر السلطانية، تكوين لجان من أرباب المعرفة والبصر لمعاينة الإشكال المطروح والمساهمة في حله كشكل من أشكال ممارسة السلطة وتدبير مشكل الماء خلال هذه الفترة.

وعموما فإن محاولتنا للربط بين موضوع الماء والسلطة كانت استجابة للرجبة في الوقوف على الجديد، وإبراز علاقة التأثير والتأثر بين الماء والسلطة بحوز مراكش خلال فترة القرن التاسع عشر، وذلك عبر تقديم أجوبة عن مجمل الإشكالات التي أطرت هذا البحث من خلال الاعتماد على الوثائق بشكل خاص، وإبراز أهمية الماء في تفسير وتحليل كثير من القضايا ذات الصلة بتاريخ الحوز الاجتماعي الاقتصادي. على أمل أن تتم دراسة إشكالية الماء في باقي مناطق البلاد للوقوف عند أثر هذا العنصر الحيوي في تاريخ المغرب خلال مختلف العصور.

ملحق لبعض الوثائق المعتمدة في البحث:

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أمراء البنيقة المراكشية، بتاريخ 28 ذو القعدة 1297هـ/ 31 أكتوبر 1880م، حول إصلاح ساقية تسلطانت.



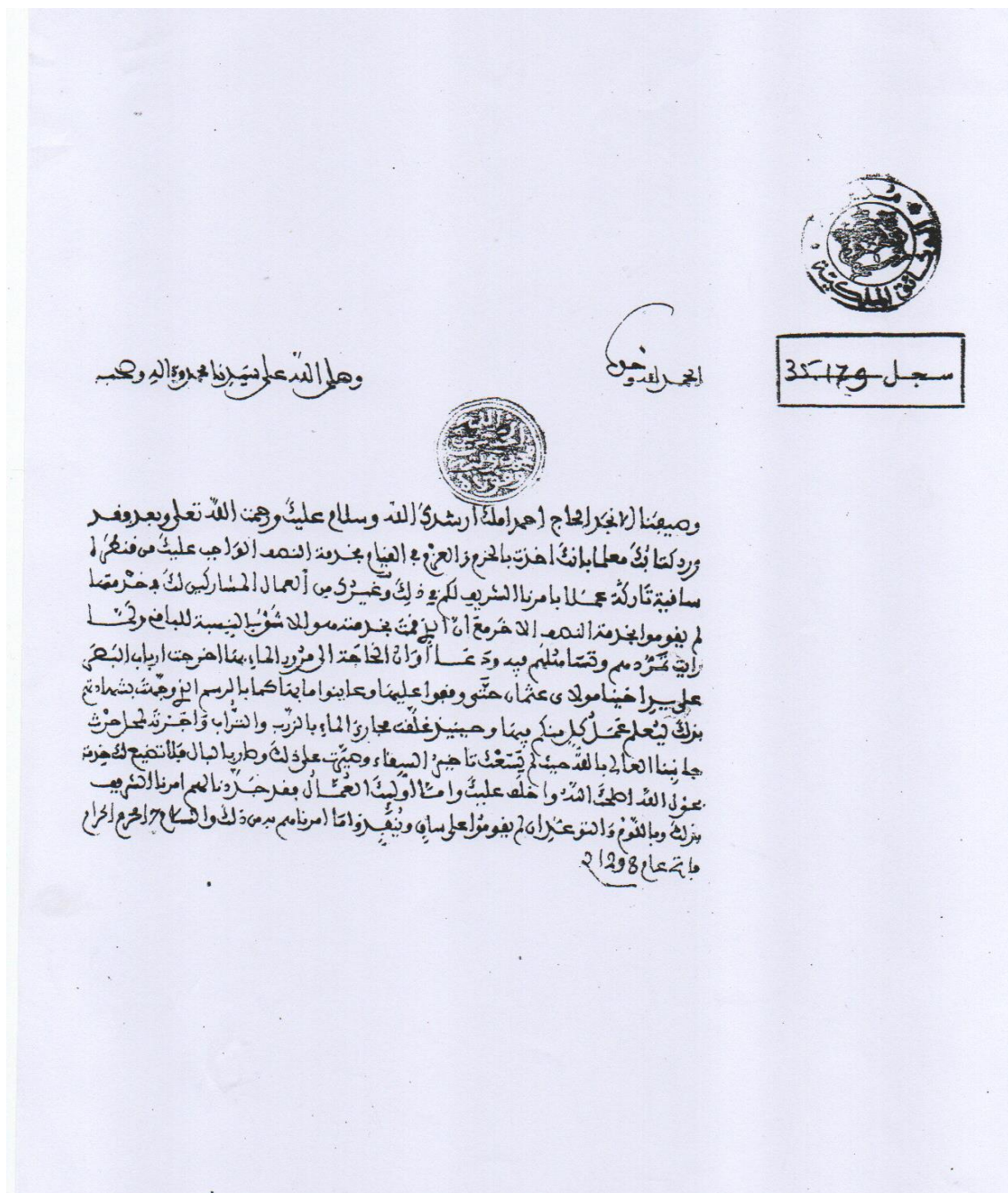
م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4.

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

بحسب انما ذكره في الخبر ان النبي العلاء له النبي مالك ارملة (والمسلمون) وغيره اقبلوه خروفا
 النسيب العينية اليهم من المثل من النبي الخزي العنصر رعا الله وصلاحه عليه ورحمته الله وكرامته
 عجزه بكونه نصر الله وادام محبه وعلاؤه وبعد بلما زاد بسوى الله تعالى اعطواك ولا علم
 بانفعل اخبرك الله كما لا يصح على سيادته انما الله في رايه جميعا في الدار فانه يسير القوم
 شمع (اعلم) بانما فراه وشرحه خدمه الجانيه (التي) يعف ذروا عليا من ماله قبل ان يغير
 ضوئا تميز ايامه ليلا مصلو الجانيه راجلا فكن انما تصبر له ناما باثنا الخزي بفسلوه
 حوايه يومه وانه فيكم بهن وكورا اجمع حتى تراها عليه واوقول به ما ذكره ولم يخف
 له فوله في تقيع الموضع انما وقع له به ذلك فينقلب في كلامه وخرقة في اومله وما يتغير على انما
 ان املا الحذر وقع بهن ما وقع من اجل هذه الجماعة والعياذ بالله فكن تزدقهم وروفرهم وما ج
 بعضهم في بعض وهذا هو حتم الضميمة الصلبة من وجوه منقذة وربما اجل بهن ذلك
 لعنله ولم يبالوا بما فعلته في اعادة الله بهما لعل احدا من رعا وقول به ما ذكره وموسى
 شدة عجلته وتراخيه سانه بجمعهم في وقع بهن ولا يكلف بيوم (انما) علم بهه وبطبع
 فيه من رعا راجلا والبلد عاريت من (التي) تجمل كاي (ب) خفتا فيوما وانما جعفت الله اشر من
 (انما) بغيره وبما عجزه في (التي) باله من ريعه من بسوى ولو بظلمة وكبر اما نويز عليه في (التي) خفت من
 مكال موكب المضطر فيع على بال من اشره من حرم وصنيعه وكان في ما حرك عنده في ذلك
 من رعا الله في سعادة فيسير في السور بالدر باله برب عليا نجه وقد بان في (التي) عذرك ووجه
 لا قبل ليلا سامعة وصوله انما يعلمه اخباره في راجعوا انما (التي) عجزه في ما حركهم في
 وانما عجزه في العينية بالتي كبر موسى ولشهر الصدق وفي مكانه ذلك على الله انما ياتي بالجن
 وما انما عجزه في رعا له من ركا وسوته واعلمته خمسة وعشرون في الله مع اعتنا في غير ما
 اعجزه (التي) بغيره في كل ما عجزه انما كلفه في الله انما كان ربا ربا خرا في ما عجزه
 به من عجزه وبطبع ما يتنقل به باله من رعا فيحتاج لتفسيره ونراها جميعا في ريعه ليس
 بالنص والجمع (التي) عجزه انما عجزه في الله من الله من ادعية في رعا له في ذلك اسرعه في ملاه

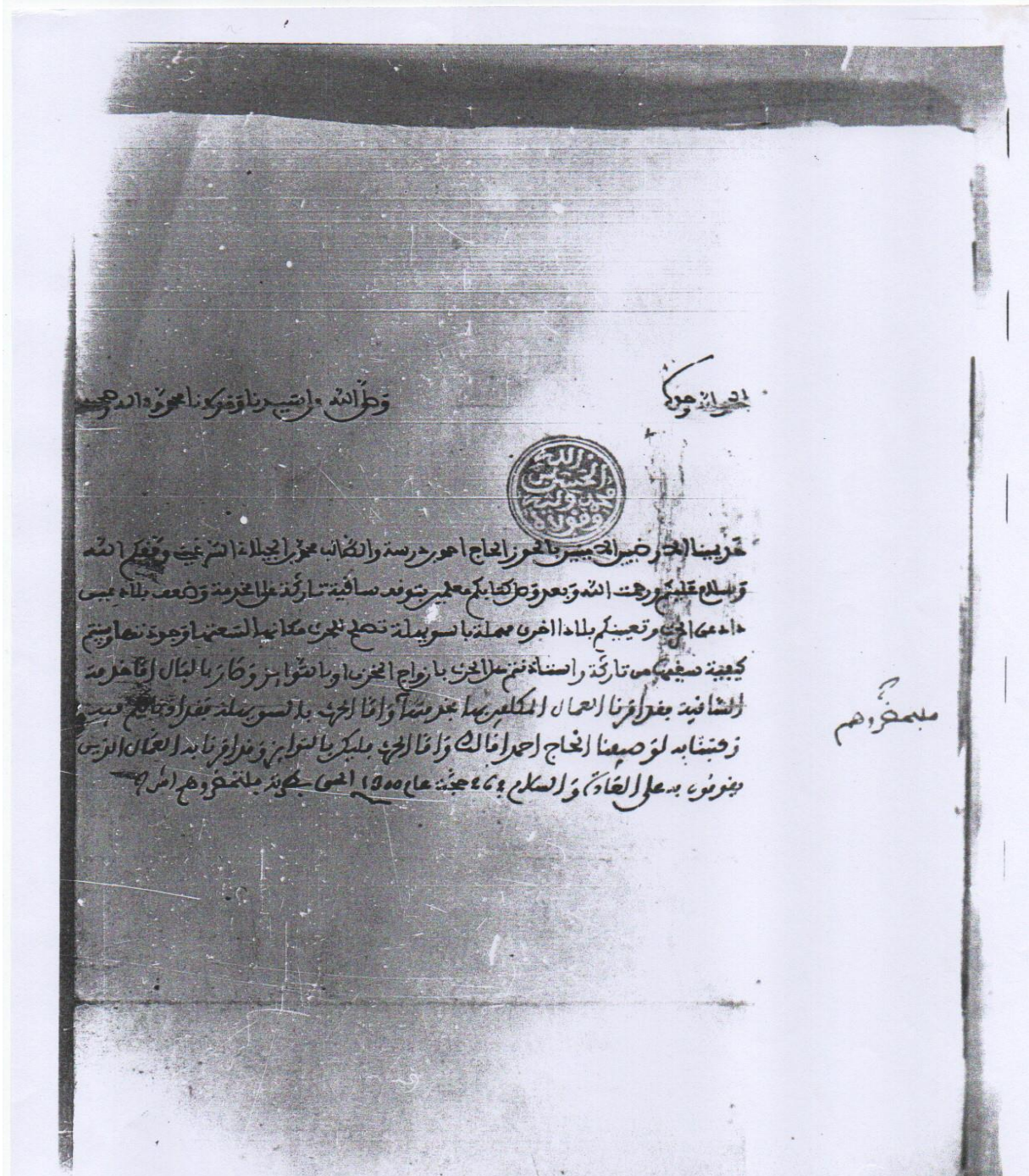
Handwritten signature and date: 19/11/2020

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى الباشا أحمد أمالك، بتاريخ 7 محرم 1298هـ/ 10
دجنبر 1880م، حول إصلاح ساقية تاركة.



م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4.

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى الحاج أحمد درسة والكتاب محمّد الجيلاني
السرغيني، بتاريخ 26 ذو الحجة 1300هـ / 28 أكتوبر 1883م، حول توقف ساقية تاركة
والحرث باعتماد "التويّزة" بمنطقة السويهلة.



رسالة من الحاجب موسى بن أحمد إلى الخليفة المولى الحسن، بتاريخ 21 شعبان 1285هـ / 6 دجنبر 1868م، حول تضرر عرصة القائد فاتح الشيطمي نتيجة انقطاع الماء.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

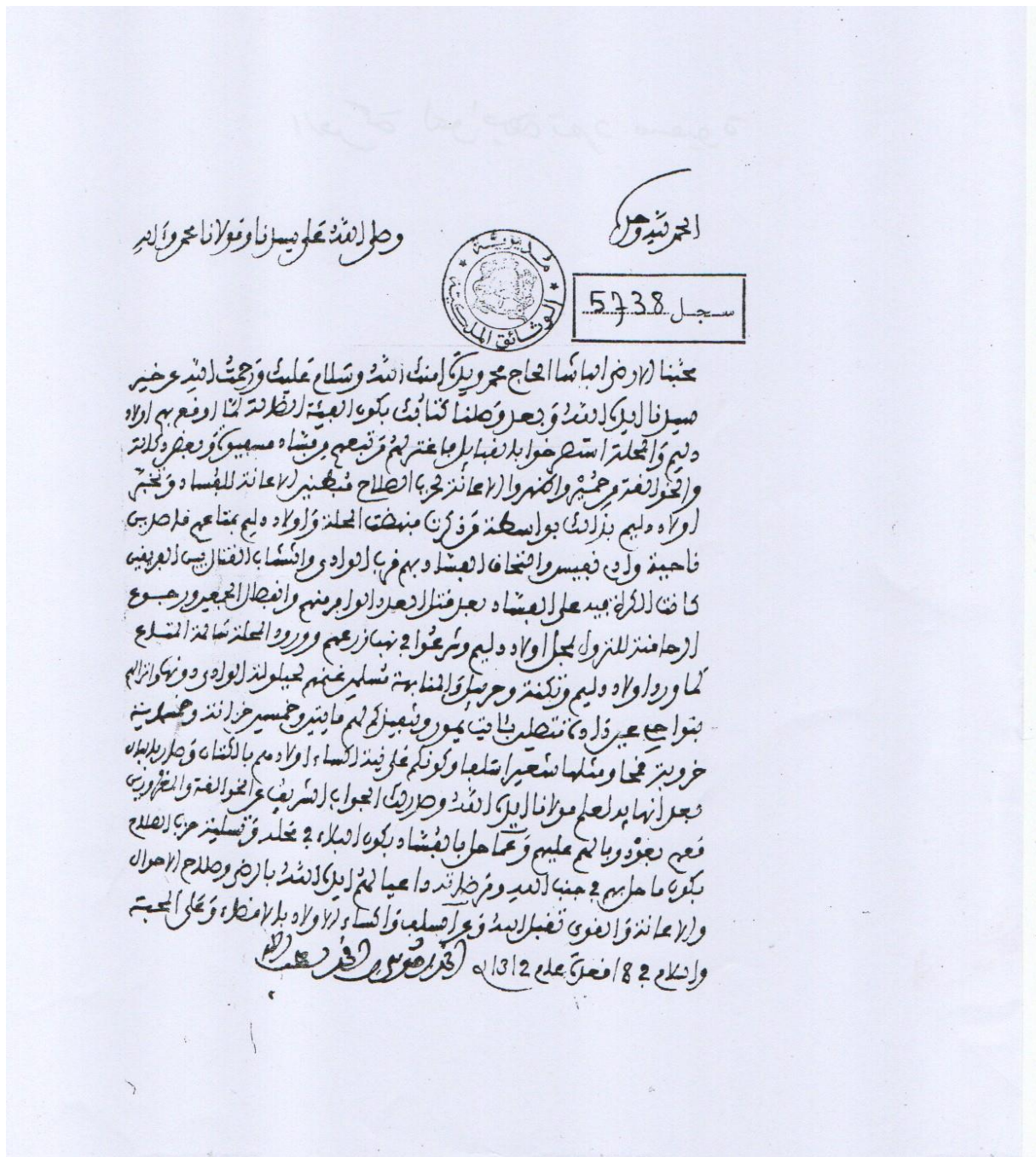
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

سَيِّدِنَا وَأَبْنَيْ شَيْخِي وَغُلَامِي مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ زَاوَايَاكُمْ وَمَوْلَاكُمْ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ
تَعْلَامُ عَلَى سَيِّدَاتِهِ سَيِّدَتِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَوْلَاكُمْ اللَّهُ وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ فِي سَبْعِ سَيِّدَاتِي
إِنَّكُمْ لَمَّا لَقِيتُمُ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ الْفَقِيرَ
فَتَمَّحْتُ أَنْ تَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَكُلُّكُمْ بِسَبَبِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ
مِنْ جَدِّ قَارِ السُّورِ إِلَى السُّفْهَانِ وَالْعَادَةِ إِلَى النَّافِثِ بِحُلْمِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ
ظَاهِرًا تَعْلَمُ لِي وَلِي السُّورِ إِلَى الدُّنْيَا وَجَمْعُ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ
لِلْمُضِيحِ وَقَدْ تَعْلَمُ ذَلِكَ لِي وَلِي السُّورِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ
وَقَدْ تَعْلَمُ ذَلِكَ لِي وَلِي السُّورِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ الْفَقْرِ
وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ



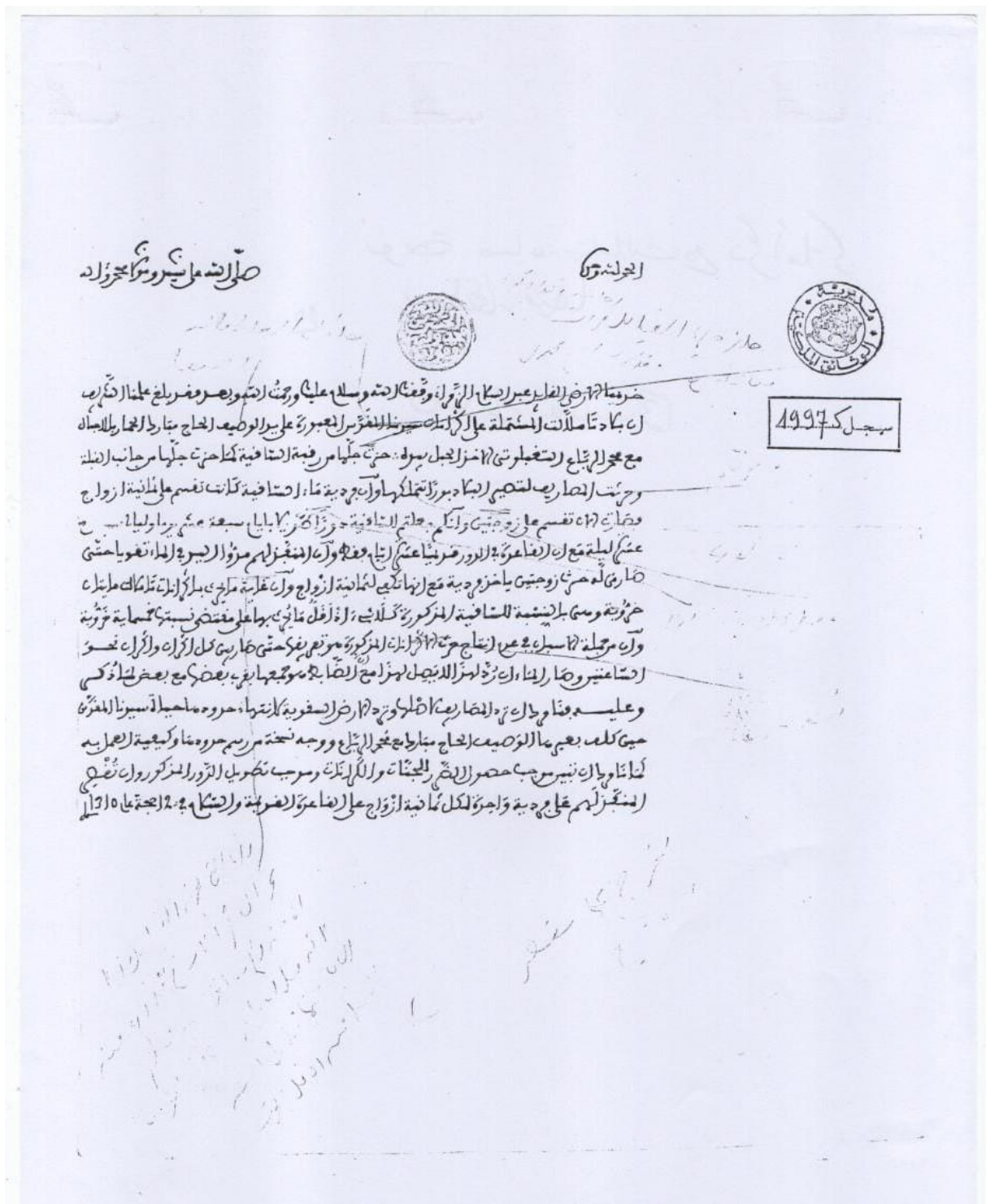
سجل 33411

رسالة من موسى بن أحمد إلى الحاج محمد ويده، بتاريخ 18 ذو القعدة 1312هـ/ 12 ماي 1895م، حول النزاع الذي نشب بين المحلة المخزنية وبعض المتمردين بالقرب من وادي نفيس، إلى جانب توطين كل من أولاد الدليم وحريل والمنابهة في عين دادة بمنطقة سعادة.



م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 10.

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى القايد عبد السلام الزمراني، بتاريخ 02 ذو الحجة 1310هـ/ 26 يونيو 1893م، حول تضرر أراضي المخزن بتاملالت نتيجة عدم احترام النوبة المتعارف عليها في السقي.



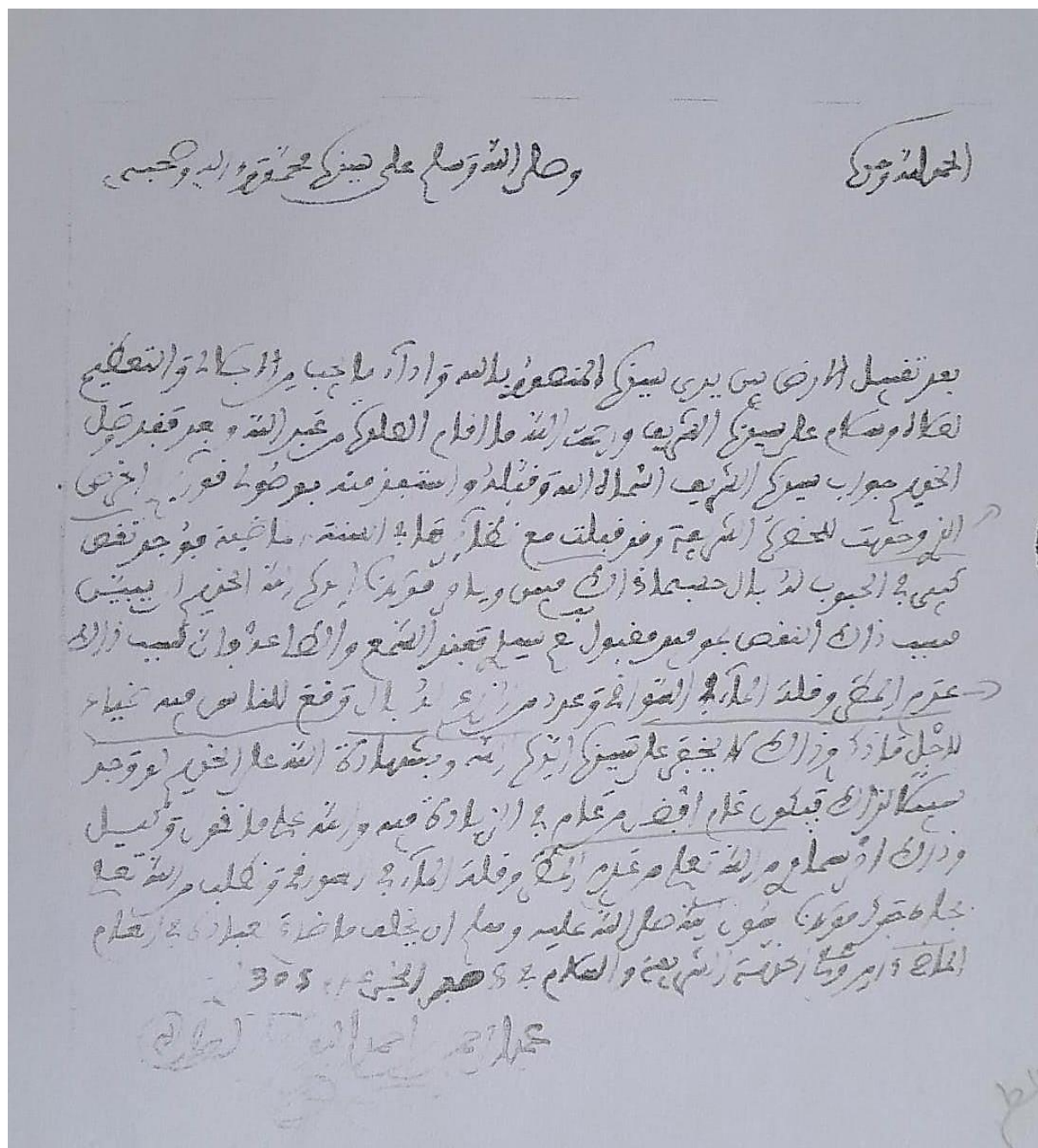
م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 9.

ظهير السلطان عبد الرحمان بن هشام لابنه مولاي علي، بتاريخ 8 رمضان 1262هـ/ 29 غشت 1846م، حول إنعام السلطان على ابنه مولاي علي بمصرفي الناصري والغويرق من ساقية تمزكلفت.

أخبركم أني من غير مولاي علي بن عبد الله الصاحب وبإمر الجبل والريف خلافة
الامة في عهده قد اختلف الملوك من غير قتله الخليفة وعاد وطول الله
على سيدنا محمد وآله ونفسه من خلافة الشريف عبد الرحمن بن هشام وول
الله وعبد الله بن علي لم يبق لنا من الاسماء الله ورحمته وعاد
في هذا الحلة طاعة ونسبنا اننا ازعمنا على ولنا الارض موكي على
الصحة الله بمصر في الناصري ومصر في الغويرق في الناصري من ساقية
تمزكلفت ونسبنا له بذكره في الناصري في الناصري من ساقية
ازعمنا ولا فاعلنا في الناصري وعملنا ولا فاعلنا في الناصري من ساقية
ولا فاعلنا في الناصري من ساقية في الناصري من ساقية في الناصري من ساقية

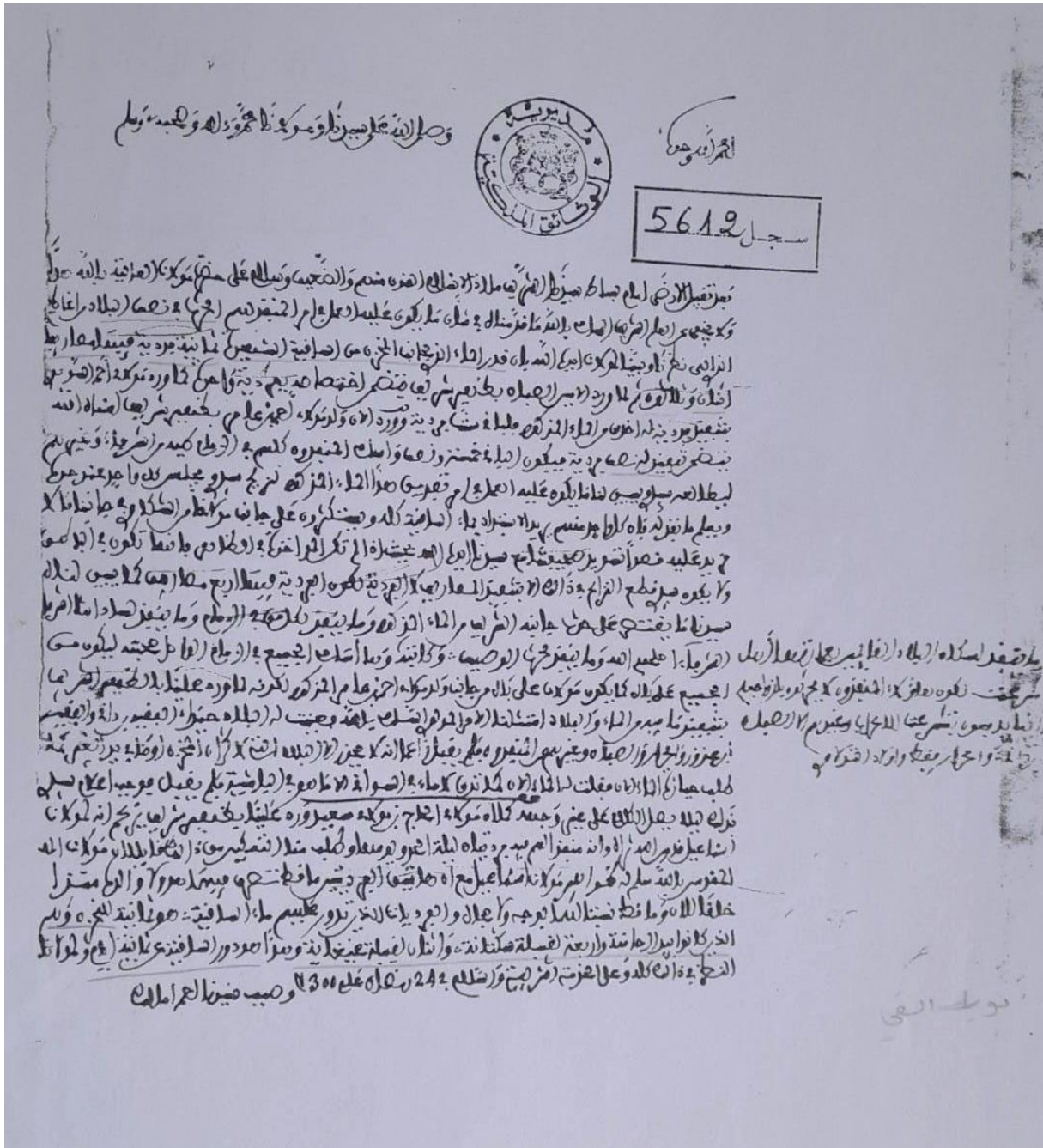
سجل 17828 الوثائق الملكية

رسالة من عبد الرحمن بن أحمد البوكيلي إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 8 صفر 1305هـ/ 22 أكتوبر 1887م، حول قلة المطر وتأثيره على قيمة الضرائب.



م.و.م، الرباط، محفظة مراکش رقم: 7.

رسالة من أحمد أمالك إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 24 رمضان 1300هـ/ 28 يوليو 1883م، حول استفادة بعض رجال المخزن من ساقيتي تمزكلت وتاركة، ونشوب عدة نزاعات نتيجة قلة المياه.



م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 4.

رسالة من السيد علي إلى مولاي سعيد بن محمد المصلوحي، بتاريخ 1 شعبان 1216 هـ / 7
 دجنبر 1801م، حول انطلاق الحركة.

الحمد لله

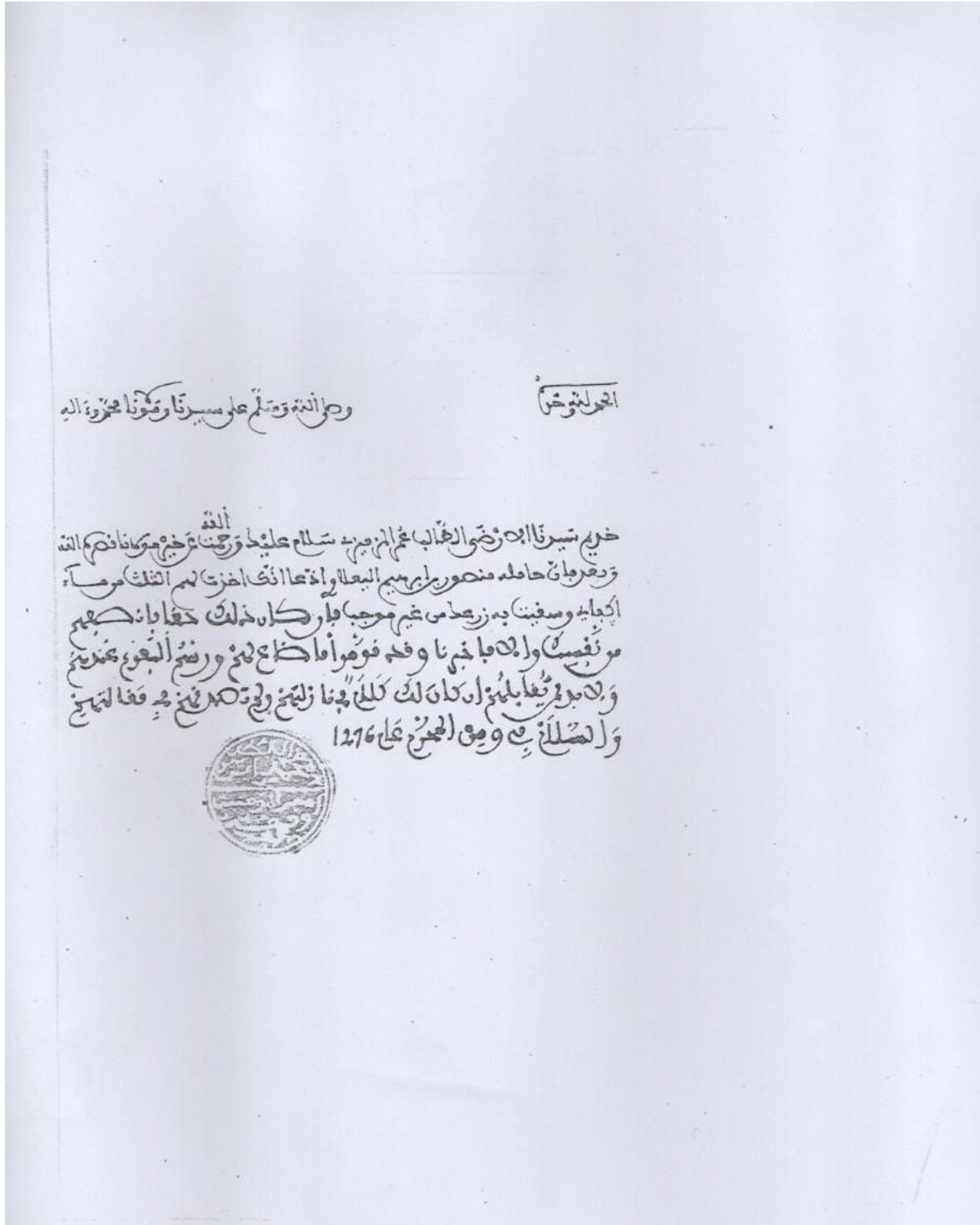
حسبنا الله ونعم الوكيل
 وعلامة عليك ورحمة الله عز وجل
 كل ما ذكرت فيه (و) لم يكن بليست فتيهت اليوم وقد وجدنا فيك
 مولاي الكبير بن (و) مع غريبي من غرول من (و) لا يكون
 جود الله (و) كتمان مولاي (و) لا يكون (و) لا يكون
 يفتي كل واحد من احده (و) كلام (و) لا يكون (و) لا يكون
 (و) لا يكون (و) لا يكون (و) لا يكون (و) لا يكون
 (و) لا يكون (و) لا يكون (و) لا يكون (و) لا يكون

علي بن عبد الله

مستعمل جبان ١٢١٤

معلي

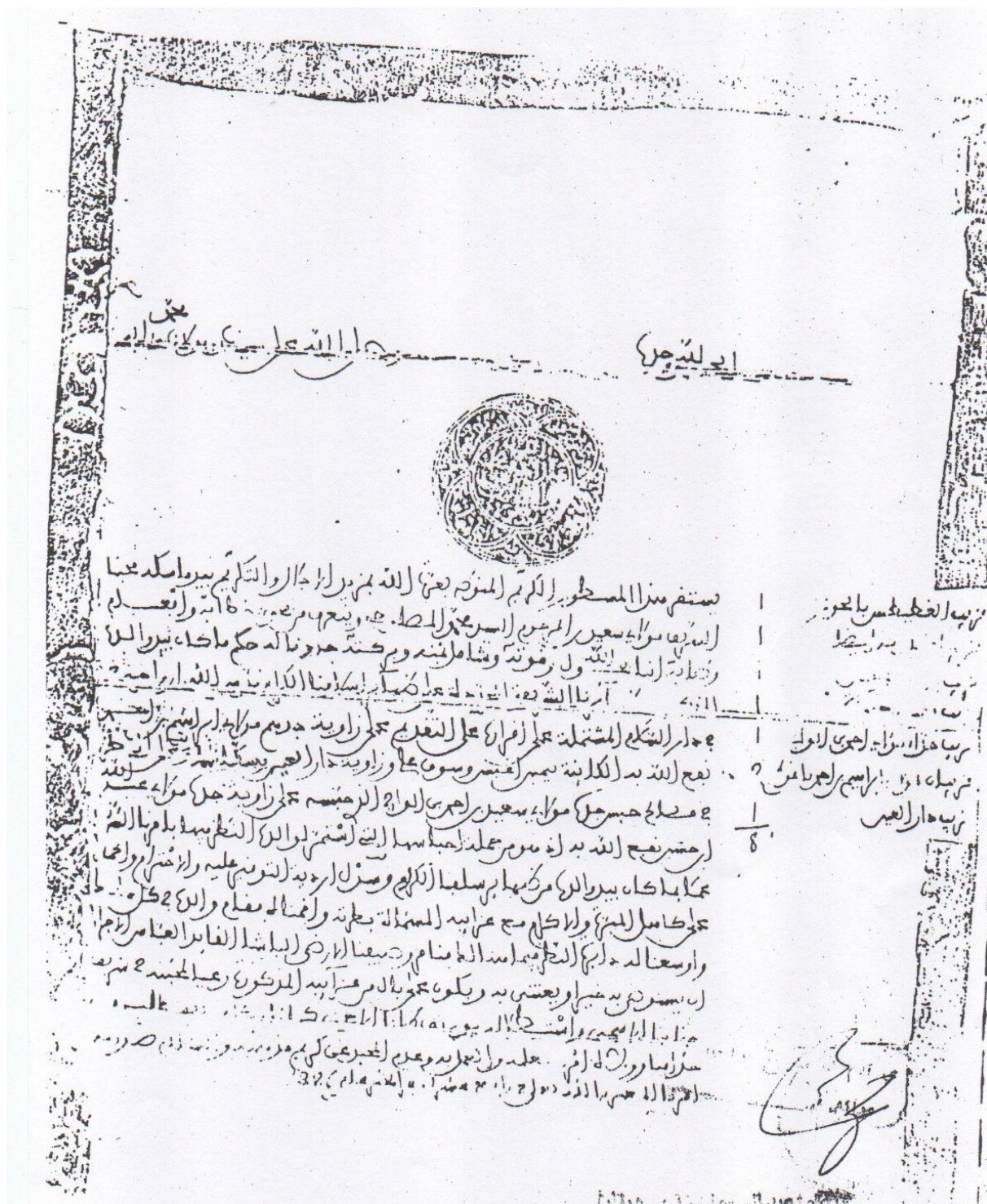
رسالة من السلطان إلى القائد عمر المزميزي، بتاريخ 9 محرم 1276هـ/ 8 غشت 1859م، حول النزاع الذي نشب بين القائد المذكور ومنصور بن إبراهيم اليعلاوي حول مياه ساقية أكفائي.



[illegible]

276

ظهير تجديد إنعام سلطاني على الزاوية المصلوحية، بتاريخ 14 صفر 1325هـ/ 28 مارس 1907م، والذي هم مجموعة من الاراضي بمجال حوز مراکش.

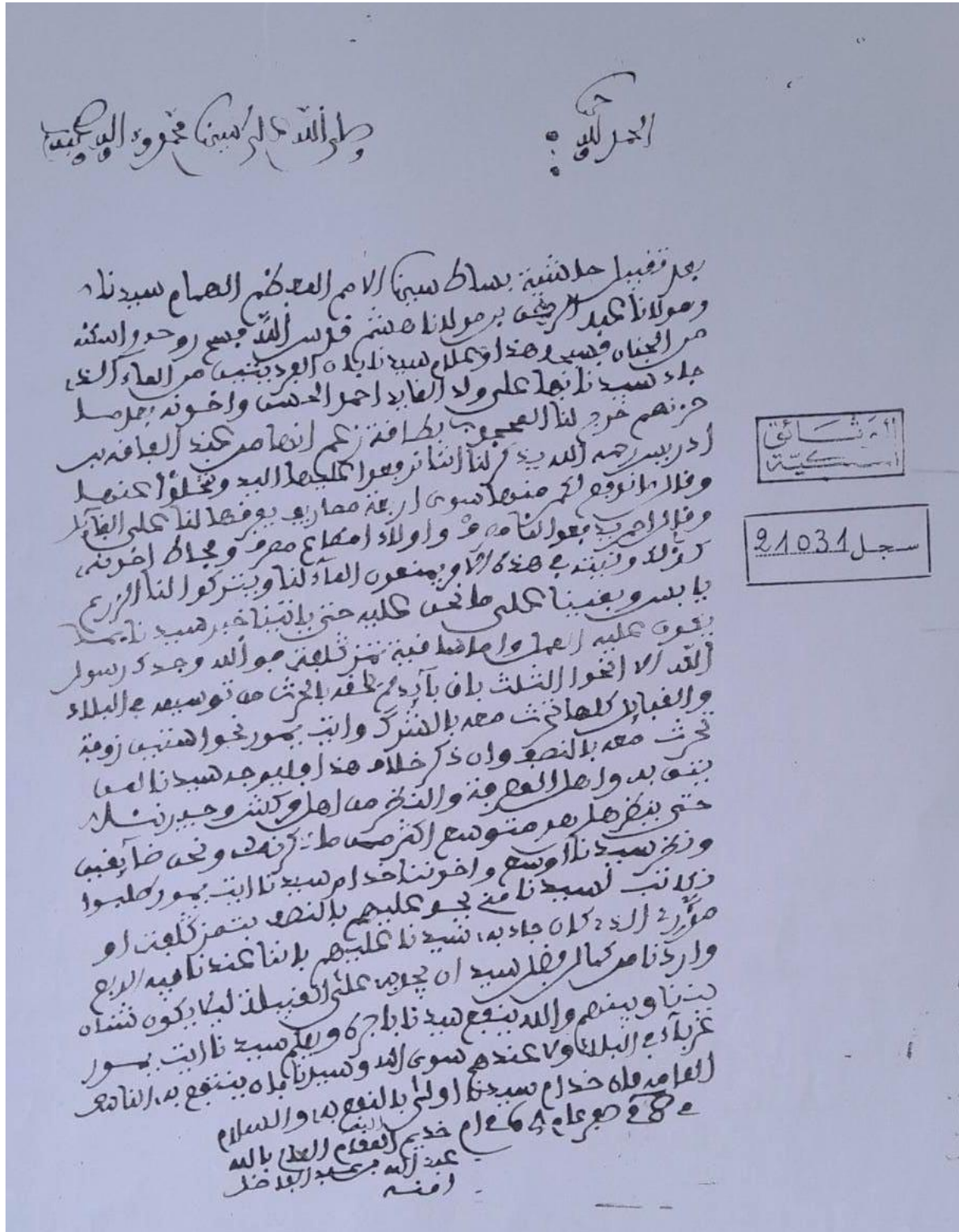


وثيقة خاصة بالأستاذ محمد المازوني.

[illegible]

278

رسالة من عبد الله بن عبد الفضل إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام، بتاريخ 28 صفر 1264هـ / 3 فبراير 1848م، تهم نزاعا حول الإنعامات المائتة إلى جانب تقدم قبيلة آيت إيمور بطلب الإنعام عليها بحصص مائتة من ساقية تمزكلفت.

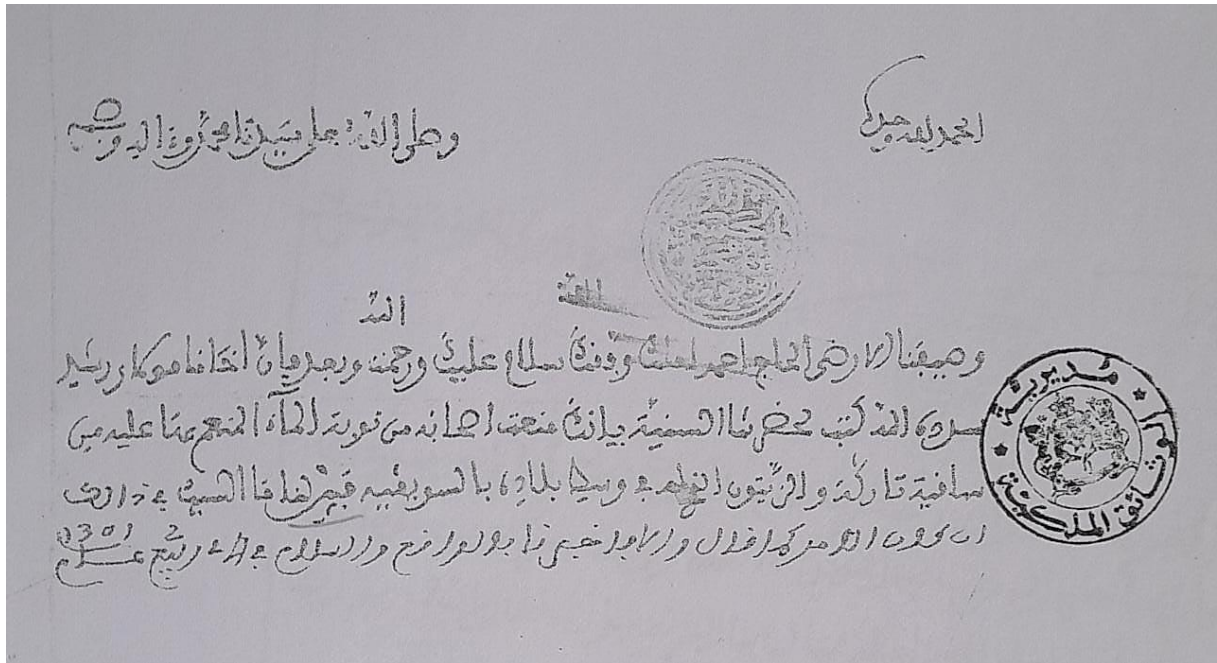


م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 1.

الحمد لله
 وحمد الله على ما لا يحصى
 بقرينة الأثر في ما لا يحصى من ماله (السلام) الفوق منهم والضعيف وعلى
 جمل منكراته العالوية بالله هذا وقد وطئ الوحي كتاب ميراث النعم بها (السلام) فاعز
 لهم وبعد التصريح به على ما تقتضيه ما من صديق الله أياي تبصير ماء وسافية الحكي
 للناج فزور العلم من غير الفلاد الملائكة نعم عليه ما منسلت من الأمر الصريح لا
 صبر فزاد الملائكة كماله من غير النعم وإنما يتبعه من ماء ما يتبعهم وفراخ نيتة جري الملائكة
 ونفوسه ما يتبعه ما يتبعه (السلام) وفي إياه الخربا أول حلولة جبر زك عمل العادة المتكلا
 للعلم الفوق الصلوات بالله وعلى المخلوقة النعم بركة والسلام في الصلوات على الله (السلام)
 وصلى الله على منكراته

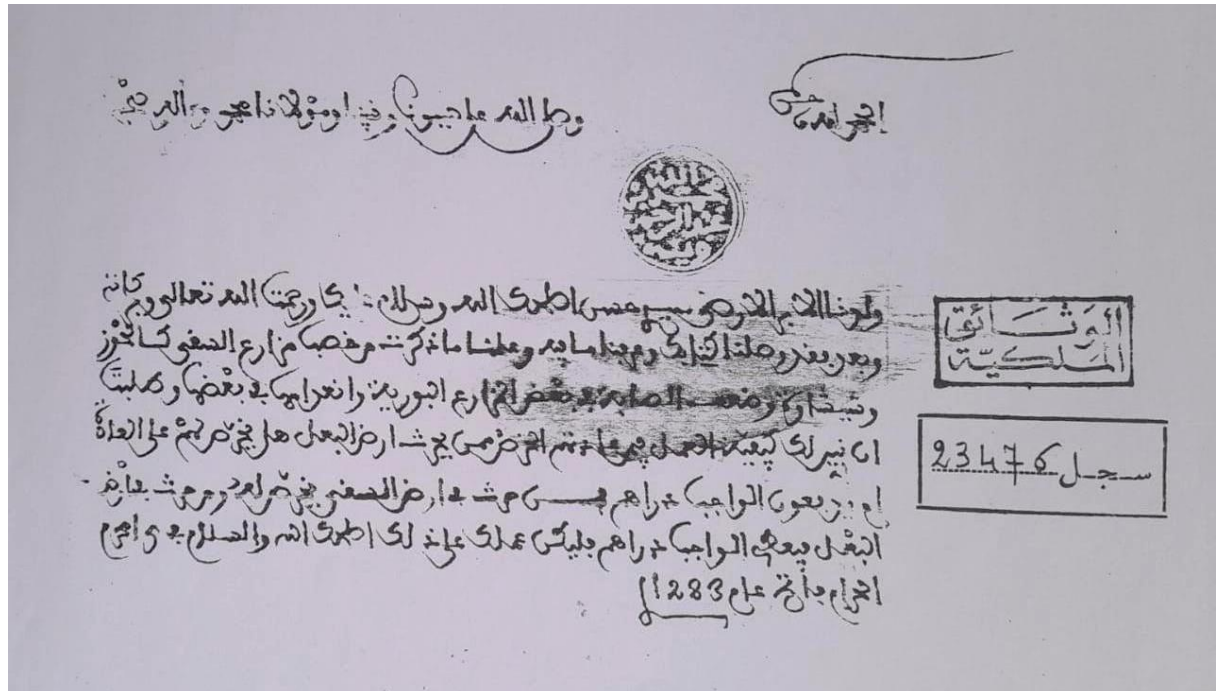
281

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 24 ربيع الثاني 1301هـ/ 21 فبراير 1884م، حول منع الباشا أحمد أمالك أصحاب مولاى رشيد من نوبة الماء المنفذة لهم من طرف السلطان.



م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 5.

رسالة بتاريخ 15 محرم 1283هـ/ 30 ماي 1866م، حول كمية المحصول في الأراضي المسقية ونظيرتها البورية بمجال الحوز وشيشاوة.



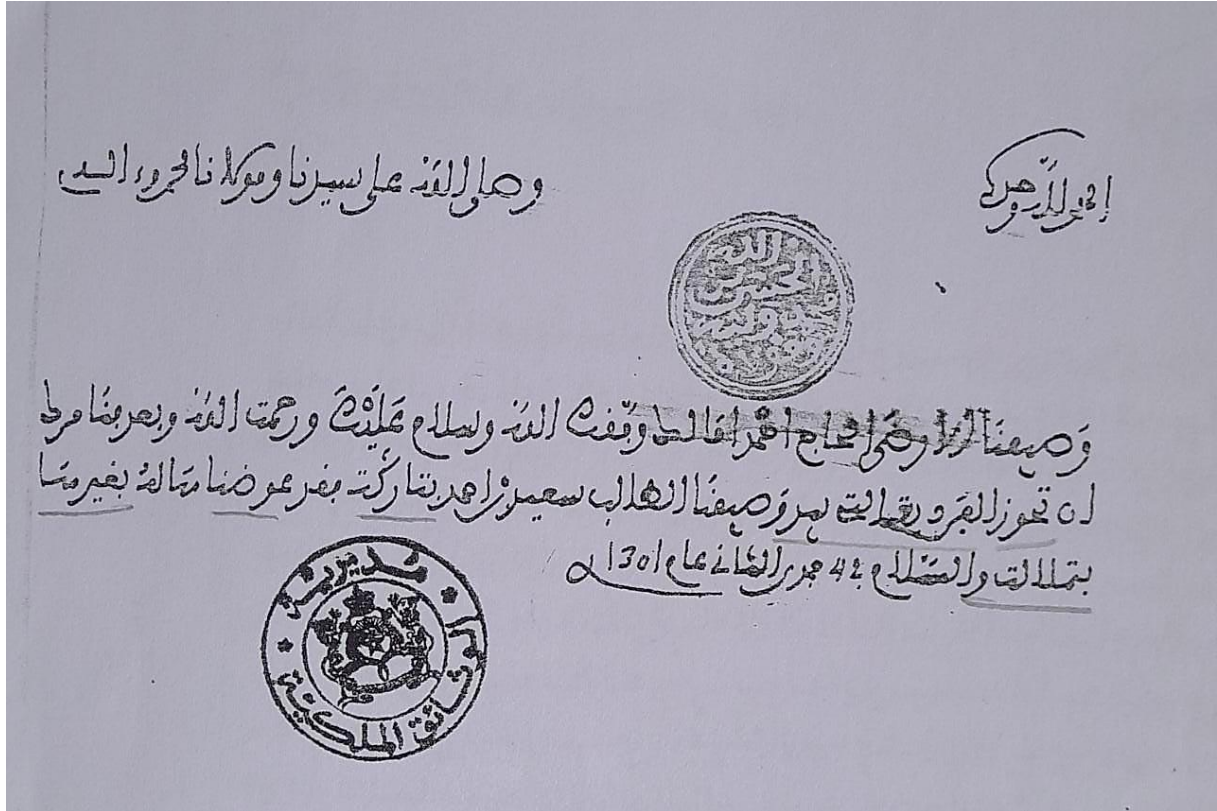
م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 2.

رسالة من عباس داوود إلى السلطان الحسن الأول، بتاريخ 23 محرم 1305هـ/ 10 أكتوبر 1887م، حول خدمة قبائل فروقة لنصيبهم من ساقية تاركة.

الحمد لله
 وظل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
 وبعد تفصيل الأمر فربما يدرك مكانة المصالح والآراء ما يجب السطوع المقام على
 المصالح الضلوع تحت الله تعالى من كل شيء وأما كتاب الشريعة فلا منعه فيه
 أن ازجج بروقة الخدمة ما نابع من ساقية تاركة على إعادة وعملية
 فالسمع والاعانة للامم الشريفة وفي هذا من جنة الطاووس
 سيدنا عبد الله بن عمر السويط المكلب با صلاحه مهورات الغنيلة وأتوا
 العمل من نابع قبله ورو هذا الكتاب الشريف بما له من أوقاف التوعية والاعانة
 بـ ٢٣ محرم على ١٣٠٥هـ سريتم محمد بن عبد الله السويط

م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 7.

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى أحمد أمالك، بتاريخ 4 جمادى الثانية 1301هـ/ 31 مارس 1884م، حول تعويض الطالب سعيد بن أحمد بفردية ماء من ساقية تملالت بدل التي كان يستغلها بتاركة.



م.و.م، الرباط، محفظة مراكش رقم: 5.

الفهارس:

الجدول:

الرقم	موضوعه	الصفحة
1	السواقي المخزنية بمجال حوز مراكش	30
2	أسعار بيع بعض منتوجات المخزن الزراعية بحوز مراكش سنة 1309هـ / 1891م.	36
3	بعض الضرائب بمغرب القرن التاسع عشر.	59
4	الأزمات المائية بمراكش وأحواضها خلال القرن التاسع عشر.	71
5	انعكاسات الأزمات المائية والعوامل المساهمة في تعميق حدتها.	73
6	الخسائر المالية التي تكبدها بيت مال المخزن سنتي 1892-1893م.	79
7	موقع الزوايا بالقرب من مصادر الماء بحوز مراكش	111
8	الإنعامات المائية لزواية تامصلوحت بحوز مراكش	134
9	الرأسمال الرمزي المائي لزواية تامصلوحت بحوض غيغاية	141
10	الرأسمال الرمزي المائي لزواية تامصلوحت بحوض نفيس خلال القرن التاسع عشر	142
11	توزيع ماء ساقية تمزكلفت	143
12	النطاقات المسقية لزواية تامصلوحت خلال القرن التاسع عشر	144
13	الخطارت ببعض مناطق الحوز	148
14	سواقي وادي أوريفة وغيغاية	181
15	مداخل مستفادات مراكش لسنة 1290هـ / 1873م من القمح والشعير	186
16	مداخل مستفادات مراكش ما بين 1860-1893م	186
17	الحركات السلطانية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر	251

الخرائط:

الرقم	موضوعها	الصفحة
1	وديان حوز مراکش	29
2	صورة جوية توضح موقع بعض زوايا حوز مراکش	110
3	موقع الزوايا بحوز مراکش	113
4	مجال زاوية تامصلوحت	139
5	الشبكة المائية الرئيسة بتامصلوحت	154
6	مسار حركات حوز مراکش خلال القرن التاسع عشر	253

الرسوم البيانية:

الرقم	موضوعها	الصفحة
1	أهم السواقي المخزنية بالحوز الأوسط	32
2	تذبذب الخسائر المالية لسنة 1893م	80

الصور:

الرقم	موضوعها	الصفحة
1	معيدات تامصلوحت	149
2	صهريج لجمع المياه بتامصلوحت	151
3	عين النساء بتامصلوحت	152

البيبليوغرافيا

❖ الوثائق:

➤ مديرية الوثائق الملكية:

- محافظ مراكش رقم: 1-2-3-4-5-6-7-8-9-10.

- محفظة الرحامنة رمز: th-54.

- مجموعة محافظ **th-A14**: محفظة رمز: th-A14-003 - محفظة رمز: A14-004-

002 - محفظة رمز: th-A14-004 - محفظة رمز: A14-004-001 - محفظة رمز: th-

A14-006 - محفظة رمز: A14-006-001.

- مجموعة محافظ **th-A15**: محفظة رمز: th-A15-001 - محفظة رمز: th-A15-

003 - محفظة رمز: th-A15-006 - محفظة رمز: A15-006-002 - محفظة رمز:

A15-007-001 - محفظة رمز: th-A15-008 - محفظة رمز: A15-008-001.

- مجموعة محافظ **Th-A16**: محفظة رمز: A16-001-001 - محفظة رمز: A16-

001-002 - محفظة رمز: A16-001-004 - محفظة رمز: A16-001-005 - محفظة

رمز: Th-A16-006 - محفظة رمز: A16-006-001 - محفظة رمز: A16-006-

002 - محفظة رمز: A16-006-005.

- مجموعة محافظ **th-A17**: محفظة رمز: th-A17-001 - محفظة رمز: A17-001-

002 - محفظة رمز: A17-001-003 - محفظة رمز: A17-001-009 - محفظة رمز:

A17-016-007 - محفظة رمز: A17-018-002.

- مجلة الوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية: المجموعة الثانية- المجموعة الثالثة-

المجموعة الرابعة- المجموعة الخامسة- المجموعة التاسعة- المجموعة الثالثة عشر-

المجموعة الرابعة عشرة- المجموعة السادسة عشرة- المجموعة الثامنة عشر- المجموعة

التاسعة عشرة.

➤ الخزانة الحسنية:

- كناش رقم: 14.
- كناش رقم 36.
- كناش رقم: 62.
- كناش رقم 96.
- كناش رقم: 404.
- كناش رقم 12059.
- محفظة ح رقم: 153.

➤ وثائق خاصة مسلمة من طرف الأستاذ محمد المازوني.

❖ المخطوطات:

- السباعي محمد بن إبراهيم، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر مولانا الحسن، الخزانة العامة، الرباط، مخطوط رقم: 12432.
- الفاسي محمد المهدي، ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع، مخطوط بدون تاريخ.
- مجهول، الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام ديوان العبر في أخبار القرن الثالث عشر، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، مخطوط رقم: 593.

❖ المصادر:

- الإفراني محمد، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004.
- أكنسوس أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ج 2، تقديم وتحقيق وتعليق احمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996.

- بوجندار محمد بن مصطفى، **الاغتيال بتراجم أعلام الرباط**، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطابع الأطلس ش.م، الرباط، 1987.
- التسافتي عبد الله، **رحلة الوافد**، تحقيق علي صدقي أزاكو، منشورات كلية الآداب، القنيطرة، 1992م.
- الحسني التهامي بن عبد الله، **الأدوية الرواقي من أدواء الاختلافات في ماء السواقي**، تحقيق حسن حافظي علوي، مراكش، 2001.
- الدكالي محمد بن علي، **الاتحاف الوجيز تاريخ العدوتين**، تحقيق مصطفى بوشعراء، سلا، منشورات الخزانة الصبيحية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الثانية 1996م.
- ابن زهر الأندلسي عبد الملك، **كتاب الأغذية**، تحقيق اكبيراتيون غارتيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- معهد التعاون مع العالم العربي- مدريد، 1992.
- ابن زيدان عبد الرحمان:
- **"العز والصولة في معالم نظم الدولة"**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط. 1961.
- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق عمر علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008. الأجزاء: 2-3-4-5.
- سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي رقم: 60، رسائل مولاي سليمان العلوي **1760-1822**، ج1، بدون تاريخ.
- السملالي ابن إبراهيم العباس، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمت من الإعلام**، ج3، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1975.
- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع 1171-1400هـ / 1756-1980م**، الجزء 1، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب، الرباط، 1977.
- الضعيف محمد، **تاريخ الدولة السعيدة**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط، 1986م.

- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، راجعه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
- القادري محمد بن الطيب، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ج1، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
- ابن قنفذ، **أنس الفقير وعز الحقيير**، تصحيح ونشر محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدا، الرباط، 1965.
- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، دار صادر، بيروت، 1994.
- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997. الأجزاء: 4-8-9.
- نهليل محمد، **رسائل شريفية**، إعداد وتقديم الجيلالي العدناني وعبد الرحيم بنحادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى 2013.
- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.

❖ المراجع:

1. باللغة العربية:

- أخريف أحمد، **الحوز**، معلمة المغرب، ج11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2000. (ص 3630).
- أرفاك شفيق، **التمثيل المخزني بقبيلة اشتوكة بسوس**، 1882-1900، ندوة **وقفات في تاريخ المغرب** دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب

والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001. (ص ص 465-492).

- أرنو لويس، زمن لمحات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860 و1912م، ترجمة محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002.
- أفا عمر:

- مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر (سوس 1822-1906)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، الطبعة الأولى 1988.

- "مشكلة النقود ومحاولات الإصلاح في مغرب القرن التاسع عشر"، أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم:7، الدار البيضاء، 1986. (ص ص 3-89).

- التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحويلات 1830-1912، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.

- الأكلع محمد، مادة "سيدي رحال"، معلمة المغرب، ج15، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002. (ص ص 5210-5211).
- أكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بدون تاريخ.
- اكنينج العربي:

- آثار التدخل الأجنبي في المغرب في القرن التاسع عشر نموذج قبيلة بني مطير (آيت نظير)، مطبعة أنفو-برينت، فاس، 2004.

- انفتاح المغرب على السوق الدولية في القرن التاسع عشر وانعكاساته على تطور البنيات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية للبادية المغربية نموذج قبائل هضبة سايس، الجزء 1، أنفو-برانت، فاس، الطبعة الأولى 2005.

- ألبير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي، نور الدين سعودي، دار الخطابي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1985.
- أورطيث طوماس راميريث ortiz tomas ramirez، القصر الكبير: تاريخ مغربي صغير، ترجمة عبد الرحمان الشاوش، مراجعة وإعداد محمد اخريف ومحمد العربي العسري، جمعية البحث التاريخي والاجتماعي بالقصر الكبير، مطبعة الأمنية، الرباط، 2011.
- آيت عدي مبارك، قيادات طاطا في عهد السلطان مولاي الحسن قيادة على بونعيلات الدوبلاي نموذجاً، ندوة السلطة المركزية والزعامات المحلية بالجنوب المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 164، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1431هـ/ 2010م. (ص ص 101-115).
- باسكون بول، "الفترات الكبرى للقايدية"، ترجمة زبيدة بورحيل، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، العدد الخامس والسادس، 1989م. (ص ص 67 - 149).
- بجيت كريم، "الرحلة بين النص والوثيقة: صورة طاعون سنتي (1798-1800) ومخلفاته في رحلة جيمس غري جاكسون"، كنانيش الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 3، 2001.
- برادة ثريا، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.
- البزاز محمد الأمين:
 - الحجر الصحي والمخزن وكارثة 1878"، مجلة دار النيابة، العدد الرابع، 1984. (ص ص 18-34).
 - تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992.

- بن الصغير خالد، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856-1886م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الثانية، 1997.
- بن بوسلهام خديجة، المخزن والمجتمع في النصف الثاني من القرن لتاسع عشر عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام 1822-1859، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق، الرباط، الطبعة الأولى 2013.
- بنطالب علي، المخزن والقبائل الضغط الجبائي وتداعياته 1894-1912، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2013.
- بنعبد الله محمد بن عبد العزيز، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج3، منشورات وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، الرباط، 1996.
- بنمنصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.
- بودربالة نجيب، القانون بين القبيلة والأمة والدولة جدلية التشريع: العرف، الشريعة والقانون، ترجمة وإعداد محمد زرنين، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999.
- بورقية رحمة:
- الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى، 1991.
- "مادة التوزيع"، معلمة المغرب، ج8، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1995. (ص ص 2652-2653).
- البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن 17م دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، آفاق متوسطة، الدار البيضاء، 1994.
- بوشعراء مصطفى:
- الاستيطان والحماية بالمغرب 1280-1311هـ / 1863-1894م، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1984.

- **علاقة المخزن بأحواز سلا قبيلة بني احسن 1912/1860**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة بحوث ودراسات رقم:19، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996.
- بوطالب إبراهيم، "نازلة الترتيب"، هسبيريس تمودا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد 39، 2001. (ص ص 29-62).
- بوكبوط محمد، "مراسلات تجار تطوانيين مع عامل الصويرة الامين الحاج علي بن الحاج في أواخر القرن التاسع عشر"، هسبيريس تمودا، العدد 40، (2005) (ص ص 33-104).
- بوكثير مسطاري، المنشآت المائية في افريقية في العصر الوسيط: دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالاتها، مجلة كان، العدد 22، 2013. (ص ص 93-105).
- بياض الطيب، "أزمة المعاش وأثرها على الديموغرافية"، ضمن ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، سلسلة ندوات ومناظرات العدد الرابع، الدار البيضاء، النجاح الجديدة، 2002. (ص ص 371-380)
- بياض الطيب، المخزن والضريبة والاستعمار ضريبة الترتيب 1915-1880، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011.
- التازي عبد الهادي، رسائل مخزنية القسم الأول، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدا، الرباط، 1979.
- التسماني خلوq عبد العزيز، "التدخل الأجنبي في التشريع الجمركي في مغرب القرن التاسع عشر مثال قضية "الزيادة" في الحقوق المفروضة على الكزبرة (1896-1898)"، مجلة دار النيابة، العدد الثالث، 1984. (ص ص 51-56).
- التوزاني نعيمة هراج، الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1290-1311هـ/ 1873-1894م مساهمة في دراسة للنظام المالي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، الرباط، 1979.

- التوفيق أحمد، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر -إينولتان 1850-** 1912م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة 2011.
- جادور محمد، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، 2011م.
- جاح محمد، **الزاوية بين القبيلة والدولة مساهمة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للزاوية الخمليشية بالريف**، ج2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2015.
- جلاب حسن:
- **الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال**، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 1994.
- **دراسات مغربية في التراث**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 1419هـ/1998م.
- **مراكش مباحث في التاريخ والحضارة**، منشورات مؤسسة آفاق، مراكش، الطبعة الأولى 2016.
- جنوبي محمد، **الأولياء في المغرب: الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيولوجية: حياة وسير مشاهير أولياء المغرب**، منشورات كنال أوجوردوي، الرباط، 2006.
- الحارتي تركي عجلان، **تهافت المسلمين على الحماية الأجنبية في المغرب الأقصى**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مجلة كلية الآداب ظهر المهرار فاس، مطبعة سيياما، 2001.
- حافظي علوي حسن، "قسمة الماء بالقلد ببلاد المغرب في العصر الوسيط"، ضمن أعمال ندوة الماء الممتلك: الدول القسمة وحق التصرف في الحظ من الماء، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2002.

- حالي محمد، المجتمع والأزمات الديموغرافية في تاريخ المغرب في القرن الثامن عشر 1727-1757م مساهمة في الديموغرافيا التاريخية، منشورات كل من الناية ومحاكاة والشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2013.
- حبيدة محمد، قراءة في كتاب "اقتصاد المعاشات في مغرب ما قبل الحماية" لنيكولا ميشيل، هسبيريس تمودا، العدد 40، 2005. (ص ص 117-122).
- حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، 1964.
- حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، ج6، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1996م.
- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.
- حسن المباركي، الري والتشكيل المجال المائي بالمنطقة الجافة: حالة سهل الحوز، الدراسات المجالية، الماء ورهان التنمية المستدامة، طبعة أبريل 2012، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، (ص ص 26-47).
- حليم عبد الجليل، مادة "تاخماست"، معلمة المغرب، ج6، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413 / 1992م. (ص ص 1998-1999).
- حنداين محمد، "الزعامات المحلية بسوس في القرن الثامن عشر بين مجال الطاعة ومجال البيعة"، ندوة السلطة المركزية والزعامات المحلية بالجنوب المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 164، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1431هـ / 2010م. (ص ص 59-85).
- حيمر عبد السلام، "عصر التنظيمات الحديثة المغربية من خلال كتاب "الإتحاف""، مجلة بصمات، جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الخامس، 1990. (ص ص 300-318).

- الخديمي علال، **التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910م** حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1994.
- الخمليشي عبد العزيز، **مدينة الرباط في القرن التاسع عشر (1818-1912)** جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، جامعة محمد الخامس-أكاد-، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2012.
- داود محمد، **تاريخ تطوان**، الجزء 6، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، مطبعة المهديّة، تطوان، 1386هـ / 1966م.
- دوتي ادموند، **مهام في المغرب من خلال القبائل**، ترجمة عبد الرحيم حزل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2015.
- رابطة الدين محمد:
- مادة "السبتي أبو العباس"، **معلمة المغرب**، ج14، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001. (ص ص 4852-4853).
- **مراكش زمن حكم الموحدين: جوانب من تاريخ المجال و الإنسان**، ج1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى، 2008.
- روس إدان، **المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912**، ترجمة عبد الأحد السبتي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006.
- زرهوني محمد:
- "النزاع حول الماء الأرض و الماء بمنطقة الاطلس الكبير الغربي في ستينيات القرن التاسع عشر"، **مجلة امل**، العدد 9، السنة الثالثة 1997م. (ص ص 29-36).
- **العلاقات بين السلطة والسكان بمنطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي في أعوام الستين من القرن التاسع عشر (1280 / 1863 - 1290 /**

- 1873)، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية،
الدار البيضاء، 1998.
- زروال أحمد:
- النظام الخطراتي: أسلوب من أساليب تدبير المياه الباطنية بالحوز المراكشي،
الماء بتانسيقت: تاريخ وتقنيات، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة
الأولى، 2002.
 - المجال الخطراتي بالضاحية المراكشية، ضمن المجال الضاحوي لمدينة
مراكش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، سلسلة أعمال
مجموعات البحث التدبير الجهوي والتنمية السياحية، دراسات مجالية رقم: 2،
2008.
- زيادة خالد، "المجتمع القبلي بين المخزن والدولة والمجتمع"، مجلة الاجتهاد، دار
الاجتهاد، بيروت، العدد 17، 1992. (ص ص 261-267).
- السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل
الاستعمار، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2009.
- السوسي محمد المختار:
- المعسول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1960. جزأين: 3-15.
 - إيليج قديما وحديثا، المطبعة الملكية، الرباط، 1966.
- سيمو بهيجة، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، منشورات اللجنة
المغربية للتاريخ العسكري، المطبعة الملكية، الرباط، 2000م.
- الشابي مصطفى:
- النخبة المخزنية في القرن التاسع عشر، جامعة محمد الخامس الرباط،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995.
 - "جائحتي المجاعة والوباء في مغرب القرن التاسع عشر"، ضمن ندوة
المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، جامعة شعيب الدكالي الجديدة، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد 4،
2002. (ص ص 329-341).

• **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912**، المطبعة والوراقة
الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2008.

• **الثابت والمتحول في تاريخ المغرب المعاصر -الواقع والتأويل-**، المطبعة
والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2009.

- الشرقاوي أحمد، "أنظمة السقي في التراث المغربي: حالة المصطلحات والمفاهيم
الخاصة بأنظمة السقي بسهل تافيلالت"، **دفاتر جغرافية**، العدد الثالث والرابع،
2007. (ص ص 8-75).

- شقير محمد، **تطور الدولة في المغرب -إشكالية التكوين والتمركز والهيمنة- من
القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء،
2006.

- الصديقي عبد الرزاق، **الرحامنة وعلاقتهم بالمخزن 1850-1900**، مطبعة بابل،
الرباط، 1997.

- ضريف محمد:

• **مؤسسة السلطان الشريف بالمغرب محاولة في التركيب**، أفريقيا الشرق،
الدار البيضاء، 1988م.

• **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي،
الطبعة الأولى 1992.

- عثمان محمد عبد الستار، **المدينة الإسلامية، عالم المعرفة**، الكويت،
1408هـ/1988م.

- **عروب هند**، "المخزن في الثقافة السياسية المغربية"، **دفاتر وجهة نظر**، مطبعة
النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الرابع، 2004م. (عدد كامل).

- علمي أحمد، حركتا السلطان الحسن الأول إلى سوس (1882-1886)، ندوة مدينة
تزنيت وباديتها في الذاكرة التاريخية والمجال والثقافة، أكادير، جامعة ابن زهر،
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996. (ص ص 47-60).
- العلوي إسماعيل بن رشيد، أثر الدولة العلوية في تقدم المغرب الحديث، مطبعة
الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى 1950م.
- العلوي عبدالوحي رشيد، محاولة تركيب للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للبوادي
المغربية خلال القرن التاسع عشر، بحث مرقون لنيل دبلوم الدراسات العليا في
التاريخ الحديث، جامعة محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس،
السنة الدراسية 1982-1983.
- علوي حافظي حسن، سجل ماسة وإقليمها في القرن 8هـ/14م، منشورات وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1997.
- العلوي زين العابدين، المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن، ومولاي عبد العزيز
ومولاي عبد الحفيظ (1290-1330هـ / 1873-1912م)، "المغرب من عهد
الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، الجزء 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،
2008.
- العلوي مصطفى، المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية الحسن الأول، ج1،
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1986م.
- عمالك أحمد، مادة "الشرادي أحمد"، معلمة المغرب، ج16، الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002. (ص ص 5322-5323).
- عياش جرمان:
- "حول الإصلاح بالمغرب في القرن التاسع عشر"، مجلة دار النيابة، العدد
الأول، 1984. (ص ص 13-19).
- دراسات في تاريخ المغرب، الشركة المغربية للنشر المتحددين، الرباط،
الطبعة الأولى 1986.

- الغديري مصطفى، وثائق مخزنية، كنانيش الديموغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد 3، 2001.
- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة السادسة 2003م.
- الفقيه الإدريسي، "مادة العزيب"، معلمة المغرب، ج18، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا. 2003. (ص ص 6053-6054).
- فنيتير المصطفى، عيسى بن عمر قائد عبدة 1879-1914، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، الرباط، مطبعة الرباط نت. 2005.
- القبلي محمد:
- تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2011.
- المجتمع والحكم والدين بالمغرب نهاية العصر الوسيط، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2017.
- كنيب محمد، المحميون، جامعة محمد الخامس أكاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى 2011.
- لغماند عبد الله، المجاعة وهيكله الخاصة في منطقة سوس، ندوة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، سلسلة ندوات ومناظرات العدد الرابع، الدار البيضاء، النجاح الجديدة، 2002. (ص ص 380-404).
- ماء العينين النعمة علي، "مدرسة الشيخ ماء العينين الصوفية خصائصها ومميزاتها"، الزوايا في المغرب، ج2، مجلة المناهل، مطبعة دار المناهل، الرباط، عدد 83/82، شتنبر 2007. ص 227-228. (ص ص 227-239).

- المازوني محمد:
- مادة "الأمغاري إبراهيم"، معلمة المغرب، ج3، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1991. (ص ص 768-769).
- "عزبان الزوايا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر بين التفويض المخزني وسلطة شيخ الزاوية ملاحظات أولية"، مجلة أمل، العدد 35، الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة، 2009. (ص ص 4-11).
- دراسات في تاريخ التصوف المغربي، جامعة ابن زهر، طباعة ونشر سوس، أكادير، 2012.
- "ثروة الزاوية في مرحلة التأسيس"، مقال غير منشور.
- المحمدي علي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989.
- المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الخامسة 1997.
- مزيان أحمد، دراسة المجتمع الواحي بالجنوب المغربي الشرقي، ج1، دبلوم الدراسات العليا، الرباط، 1985.
- معريش محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1989م.
- معنيو عز الدين، "رحلة الجعيدي السفارية لأوروبا خلال القرن التاسع عشر ميلادي"، مجلة الاقتصاد والمجتمع، مطبعة التومي، الرباط، العدد الخامس، 1991م. (ص ص 71-95).
- المكاوي أحمد، "قراءة في بعض استشارات السلطان مولاي الحسن"، مجلة كلية الآداب، الجديدة، العدد الخامس، 2000. (ص.ص 20-22).
- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز مراكش، مصلحة تدبير شبكة الري وصرف المياه، ملحقة الحوز الاوسط، المركز الفلاحي تحاوت رقم: 429.

- المنصور محمد:
- مادة "الشرادي"، معلمة المغرب، ج16، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2002. (ص.5322).
- المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006.
- المنوني محمد، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1985م.
- المودن عبد الرحمن، البوادي المغربية قبل الاستعمار قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، جامعة محمد الخامس بالرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995.
- المودن نور الدين، "جبال بني يزناسن خلال القرن 19 المعطى الديموغرافي"، كنانيش الديموغرافيا في تاريخ المغرب، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، العدد1، 1999. (ص ص.169-177).
- ناعمي مصطفى، "مادة إلغ"، معلمة المغرب، ج2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989. (ص ص 643-644).
- نجيدي محمد:
- "مفهوم المكس بالمغرب في القرن التاسع عشر"، ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، الجزء الأول، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995. (ص ص 227-237).
- "أملاك المخزن بالبادية في عهد السلطان مولاي الحسن"، ندوة البادية المغربية عبر التاريخ، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1999. (ص ص 103-119).

- نيكولا ميشيل، "الأمل الموهوب للسلالات المقدسة"، ترجمة محمد هشام، مجلة أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد 35، 2009. ص. 79. (ص ص 74-95).
- الهاشمي أحمد، المصطلح المائي في الطبونيميا الأمازيغية كتاب المصطلحات الجغرافية الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2011.
- الهراس المختار، تطور المجتمع القروي بالمغرب من 1873 إلى 1912م، مدخل إلى تاريخ المغرب من عصر الحسن الأول قدس الله روحه إلى عصر الملك الحسن الثاني نصره الله، إشراف عبد الحق الميريني، دار المناهل ووزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1996.
- الهروي الهادي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2004.
- هوزالي أحمد، "مادة حوز مراكش"، معلمة المغرب، الجزء 11، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989. (ص ص 3630-3636).
- واتربوري جون، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم- عبد الأحد السبتي- عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، الطبعة الثالثة 2013.
- الوارث أحمد:
- مادة "البدالي سيدي رحال"، معلمة المغرب، ج4، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1991. (ص ص 1102-1103).
- مادة "الرحالية"، معلمة المغرب، ج13، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2001. (ص 4293).
- اليوبي لحسن، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1998.

.. باللغة الفرنسية:

- ABITBOL Michel, **Histoire du Maroc**, Edition Perrin, Paris, 2009.
- BEN ALI driss, **Le maroc précapitaliste formation économique et sociale**, société Marocaine des Editeurs réunis, Rabat, 1972.
- Ben Sarhir Khalid, "l'impossible reforme : le programme de john drummond hay (1850-1886)", **Hespéris-Tamuda**, faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, Vol. XXXIX, Fasc. 2 (2001). (PP 71-84).
- BERQUE Jacque, **Structure sociales du Haut- Atlas**, presses universitaires de France, Paris, 1^{er} Edition 1955.
- BOURQIA Rahma, "Don et théâtralité réflexion sur le rituel du don (HADIYYA) offert au sultan au 19^e siècle", **Hespéris-tamuda**, faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, Vol XXXI,1993.
- De GANNIERS Arthur, **Le Maroc d'aujourd'hui d'hier et de demain**, dar al aman, Rabat, 2017.
- Doutté Edmond, **Merrakech**, Paris, 1905.
- Eugène aubin, **Le Maroc d'aujourd'hui**, Dar Al Amane, rabat, 2017.
- HANDAINE Mohamed, **Anti-atlas histoire et société de l'Adrar N Lkst Illalen**, Bouregreg, Rabat, premiere Edition 2009.

- HARDY Georges, **Les colonies françaises -le Maroc- 1930**, Dar Al-aman, Rabat, 2013.
- MARTIN Alfred Georges Paul, **Quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902 au Maroc de 1894 à 1912**, Félix Alcan, Edition la porte, Paris, 1923.
- Miegé, J.L:
 - **journaux et journalistes a Tanger au XIX siècle**, Hespéris, vol XLI, 1954. (PP 191-228).
 - **Le Maroc et l'Europe (1830-1894)**, T2, presses universitaires, France, 1961.
- Montagne Robert:
 - **l'aghar et les hautes vallées du grand atlas**, Hespéris, Paris, librairie Larousse, tome VII, 1927. (pp 1- 32).
 - **Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc essai sur la transformation politique des berbères sédentaires (groupe chleuh)**, Dar Al Amane, Rabat, 2013.
- Nicolas Michel, **l'Approvisionnement de la mghalla au Maroc au XIXe siècle**, Hesperis-Tamuda, Vol. XXIX, Fasc. 2, 1991. (PP 313-340).
- Normand Daniel, **Les expéditions de Moulay Hassan essai statistique**, Hespéris tamuda, vol XIX, 1980- 1981. (PP 61- 75).
- OUHAJOU Lekbir, **Espace Hydraulique et société au Maroc cas des systèmes d'irrigation dans la vallée du**

dra, publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, el maarif al jadida, Rabat, 1996.

PASCON, Paul :

- **Les systèmes du sol dans le haouz de marrakech**, RGM, no1-2, 1962.
- **le Haouz de Marrakech**, T1, ouvrage publié avec le concours du (CURS, CNRS, INAV), Rabat, 1983.
- **La maison d'Illigh**, eller, rabat, 1984.
- Renaud H.P.J, "La Peste de 1799 d'après des document inédits", **hesperis**, vol 1, 1921. (PP 83- 90).
- Rosenberger (B) et Triki (H), famines et épidémies au Maroc aux XVI et XVII siècle, Hespéris Tamuda, partie 2, vol XV, 1974. (PP 5- 103).
- Sadiki Ali, **La montgne marocaine et le pouvoir central: un conflit séculaire mal élucidé**, Hespéris-Tamuda, Volume 28, 1990, (PP 15-28).
- Walter B. Haris, **Le maroc au temps des sultans**, traduit par paul odinot, dar al aman, rabat, 2016.
- Weisgerber, **Au seuil du Maroc moderne**, Rabat, 1947.

III. باللغة الإنجليزية:

- Jackson, James Grey, **An account of the empire of Marocco and the districts of Suse and Tafielt : to which is added an account of shipwrecks on the Western coast of**

Africa and an interesting account of Timbuctoo, the great emporium of Central Africa, pall-mall, london, 1809.

❖ الرواية الشفوية

- "الحاج المنتار أحمد"، أحد قدماء الساكنة المصلوحية المزداد بتاريخ 1943م.
- "الأزهاري عبد الله"، من أحفاد الزاوية المصلوحية.

فهرس الموضوعات:

1.....	مقدمة:
18.....	الباب الأول: الماء والمخزن بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر
20.....	الفصل الأول: حقوق المخزن المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر
21.....	I. الحقوق المائية المخزنية بحوز مراكش "السواقي نموذجاً".
21.....	1- مصدر الأملاك:
28.....	2- السواقي المخزنية بمجال الحوز خلال القرن التاسع عشر:
34.....	II. تدبير الحقوق المائية المخزنية.
34.....	1- التدبير المخزني لحقوقه المائية والمشرفين عليها:
38.....	2- إصلاح السواقي:
43.....	3- سلطة الماء:
48.....	III. المخزن والصراع على الماء "السواقي المخزنية":
48.....	1- النزاعات حول السواقي المخزنية.
52.....	2- التحكيم المخزني:
58.....	الفصل الثاني: الجبايات المخزنية في ظل الأزمات المائية:
58.....	I. الوضعية المالية لمغرب القرن التاسع عشر:
58.....	II. تأثير الأزمات المائية على الجبايات في القرن التاسع عشر:
65.....	III. التحصيل الجباي بين الأزمات المائية وردود الفعل القبلية:
70.....	الفصل الثالث: الأزمات المائية والتدابير المخزنية بمجال حوز مراكش خلال القرن التاسع عشر..
70.....	I. الأزمات المائية بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر:
73.....	II. الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية للأزمات المائية بحوز مراكش:
85.....	III. المعالجة المخزنية للأزمات المائية:
86.....	1. ترتيب الأقوات من مناطق الوفرة إلى مناطق القلة:
87.....	2. وقف تصدير الحبوب إلى الخارج.
89.....	3. استيراد الحبوب من الخارج:
91.....	4. مواجهة الاحتكار وغلاء الأسعار.
93.....	5. استنهاض هم الفلاحين وإرجاع المهاجرين:
97.....	الباب الثاني: الماء والزوايا بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر
101.....	الفصل الأول: الماء ونشأة الزاوية بحوز مراكش

102.....	I. لمحة تاريخية عن بعض زوايا الحوز.
109.....	II. الماء وموقع الزاوية.
114.....	III. الزاوية والمخزن.
121.....	الفصل الثاني: الرأس مال الرمزي -المائي- للزوايا بمجال الحوز:
123.....	I. الإنعامات المائية المخزنية على الزوايا ودورها في ولاء زوايا حوز مراكش.
124.....	1- ظواهر التوقير والاحترام:
130.....	2- الانعامات المائية:
138.....	II. الرأس مال الرمزي المائي: زاوية تاملوحت نموذجا.
139.....	1- الرأس مال الرمزي المائي:
145.....	2- تدبير الرأس مال الرمزي المائي بزاوية تاملوحت خلال القرن التاسع عشر
158.....	الفصل الثالث: الصراع حول الحقوق المائية
160.....	I. الترامي على الحقوق المائية للزوايا.
167.....	II. تدبير النزاعات المائية المرتبطة بالزوايا
177.....	الباب الثالث: الماء والقبيلة بحوز مراكش خلال القرن التاسع عشر
179.....	الفصل الأول: الماء والقبيلة.
179.....	I. التقنيات المائية بحوز مراكش:
185.....	II. الأزمات المائية وانعكاساتها على البنية القبلية بالحوز:
185.....	1- الأزمات المائية وأثرها على التحصيل الضريبي.
188.....	1-1 السياسة الضريبية زمن الأزمات المائية:
190.....	2-1 السياسة الضريبية خلال المواسم الجيدة/ التساقطات المطرية:
195.....	2- الأزمات المائية وتنامي ظاهرة الهجرة بحوز مراكش
195.....	2-1 تأثير العوامل الطبيعية على البنية الديموغرافية:
197.....	2-2 الأزمات المائية والهجرة:
202.....	الفصل الثاني: الماء والمخزن والقبيلة.
202.....	I. تدبير القبائل للمسألة المائية بالأراضي المخزنية
210.....	II. دور الإنعامات المائية المخزنية في ولاء بعض القبائل.
210.....	1- الإنعامات المائية على رجال المخزن:
214.....	2- الإنعامات المائية على القبائل:
216.....	3- الصراع على الإنعامات المائية:
220.....	الفصل الثالث: نزاع القبائل حول الماء والتدخل المخزني:

I. الصراعات المائية القبلية بمجال حوز مراكش	220
II. الإجراءات المخزنية للحد من الصراعات القبلية "ترحيل القبائل"	232
1- الماء والذعائر التأديبية:	232
2- ترحيل القبائل:	234
III. الإجراءات المخزنية للحد من الصراعات القبلية: الحركة وإشكالية الماء	238
1- بعض حركات حوز مراكش والهدف من تنظيمها:	239
1-1 الخروج لقمع التمردات القبلية:	239
2-1 استطلاع أحوال القبائل:	242
2- الحركة وإشكالية الماء:	243
1-2 الماء ووقت خروج الحركة:	245
2-2 أهمية الماء في اختيار مسلك الحركة:	247
3- الأزمات المائية وأثرها على الحركات المخزنية بمجال حوز مراكش:	253
خاتمة:	258
ملحق لبعض الوثائق المعتمدة في البحث:	263
الفهارس:	286
البيبلوغرافيا	286